الألف كتاب (الثانى)

الثورة الإصلاحية فى اليابان

« ميجى إيشين »

إعداد : ناجاى ميشيو

ترجمة : [illegible]

الألف كتاب (الثانى) ١٠٨

مكتبة الشرق المعاصر ٢
إشراف
د. أنور عبد الملك

الثورة الإصلاحية فى اليابان

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

لمعى المطيعى

مدير التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

محمود عبده

الإشراف الفنى

محمد قطب

الإخراج الفنى

مراد نسيم

الثورة الإصلاحيّة في اليابان

«ميجي أشن»

إعداد
ناجاي متشيو
ميجول أورشيا
ترجمة
عادل عوض



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

Meiji Ishin :
Restoration and Revolution

Nagai Nichio
Miguel Urrutia

تحرير

صبرى الفضل

مقدمة

بسقوط حكم طوكوجاوا (Tokugawa) والحكام العسكريين (Shoguns) الذين كانوا يساندون ذلك الحكم فى عام ١٨٦٨ ، انتهت العزلة القومية التى فرضتها اليابان حول نفسها ، وانتهى حكم الاقطاع للبلاد الذى استمر قرابة ثلاثة قرون ، وأخذت اليابان تخطو أولى خطواتها نحو بناء دولة حديثة مستقلةذات سيادة منفتحة على بقية العالم • ويعرف هذا التحول الاجتماعى الكبير باسم« ميجى (*) اشن (MEIJI ISHIN)

(★) صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة « جامعة الأمم المتحدة » عن التحولات الاجتماعية التى تعنى بدراسة التحولات الاجتماعية التى طرأت على المجتمعات غير الأوربية ، مثل تلك التى حدثت فى اليابان ، والصين ، وروسيا ، والمكسيك خلال القرن الماضى • ومشروع جامعة الأمم المتحدة عن الدراسات المقارنة للتحولات الاجتماعية يبحث التفاعلات بين العوامل الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والبيئية العالمية المختلفة ذات الأثر فى تلك التحولات والمحاولات لايجاد مفاهيم جديده لمثل هذه العلاقات المتبادلة •

وكتاب « الميجى اشن » ، هو نتاج مؤتمر دولى ، عنى بدراسة هذا الحدث الهام فى تاريخ اليابان من وجهات نظر نظرية مختلفة لعلماء مختصين من اليابان ، والصين ، والاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة الأمريكية •

والجزء الثانى من هذه السلسلة « سلسلة التحولات الاجتماعية » ، وهو حاليا تحت الاعداد ، سوف يبحث فى الثورة المكسيكية •

يستخدم الكتاب كلمة Restoration بمعنى « الاستعاده » كمقابل للميجى اشن فى الانجليزية ، ولكن هذه الترجمة ليست بالترجمه الدقيقة للفظة كما سيتضح للقارىء فيما بعد • ومن ثم فضلنا استخدام الكلمة اليابانية ذاتها ايثارا للدقة (المترجم) •

والترجمة الحرفية لكلمة (ishin) يمكن أن تكون « التجديد » ـ renewal ، أو « الابتكار » ـ innovation ، ولكن هناك على الأقل تعبيرين انجليزيين قد تم استخدامهما بتوسع ، احدهما "restoration" بمعنى الاصلاح والاستعادة ، ويعكس هذان الحقيقة الهامة للانطلاق الاجتماعى الذى حدث انذاك ، الا وهو استعادة الامبراطور لسيطرته على مقاليد الحكم . ومن القرن الثامن عشر الى القرن التاسع عشر استقرت قوة سياسية وعسكرية حقيقية فى أيدى قادة الطبقة المحاربة ، والتى كان مقرها الرئيسى فى كاماكورا فى أول الأمر ، ثم فى ميروماتشى بكيوتو (Kyoto) ، ثم انتقلوا الى مدينة ايدو (EDO) أثناء فترة حكم طوكوجاوا (Tokukawa) . وفى تلك الفترة صار الامبراطور وحاشيته الارستقراطية مجرد رمز تقليدى أو شعار للدولة . ومع التغيرات الكبيرة التى حدثت فى السنوات الأولى من فترة الميجى ، شهد العالم مولد دولة مركزية حديثة ، وأصبح الامبراطور مركزا للقوة السياسيه مرة أخرى . وبذلك يمكننا القول بأن عبارة « ميجى اشن » تعنى استعادة الامبراطور لمركزه الامبراطورى الجدير به .

وهناك ترجمة أخرى لعبارة « الميجى اشن » . وهذه الترجمة هى ثورة الميجى (Meiji Revolution) . وقد نشر مورى أرينورى Mori Arinori ـ أول ممثل رسمى لليابان بالولايات المتحدة ـ بحثا باللغة الانجليزيه فى نيويورك عام ١٨٩٢ بعنوان التعليم فى اليابان ، وسمى ما كان يحدث فى اليابان «ثورة» ، وأعلن أنه شارك فى هذه الثورة مع بقية زملائه . ورغم ذلك فلم يستخدم اصطلاح ثورة ميجى (Meiji Revolution) فى اليابان أو غيرها من البلاد الا نادرا .

ومن بين الذين اشتركوا فى مؤتمر جامعة الأمم المتحدة Conference of the United Nations University الذى عقد بشأن «الميجى اشن» ، البروفسور كواباراتاكيو Kuwabara Takeo ، والبروفسور اميرتوس Emeritus بجامعة كيوتو Kyoto ، وفرنك جيبنى Frank Gibney الذى عمل فى مجلس ادارة تحرير دائرة المعارف البريطانية لسنوات عديدة . وجميعهم يستخدمون كلمة « ثورة » ، ويصفون الميجى اشن بانها ثورة ثقافية ، ويقولون انها أحدثت تغيرات ثورية فى ميدان الثقافة . ومن المرجح أن مورى أرينورى ـ وهو من الشخصيات القيادية فى ميدان التعليم والثقافة فى الفترة المبكرة من ذلك العهد ـ كان يعنى « الثورة » باستخدامه لهذا المصطلح فى ذلك الميدان .

ولم يرض علماء آخرون عن الترجمة الانجليزية لعبارة « ميجى اشن » . لذلك كفوا عن ترجمتها ، واكتفوا بكتابتها بالأحرف اللاتينية • وتجدر الاشارة الى أن هذا الكتاب يستخدم عبارة « الميجى اشن » بصورتها اليابانيـــة للتمييز بينهـــا وبين مصطلح آخـــر هو الميجى كاكومى Meiji Kakumei الذى يعنى ثورة الميجى • والأمـر ليس مجرد معركة ، فمن الناحية التاريخية ، يمكن القول بأن عبـــارة « الميجى اشن » تعنى الاستعادة بمعناها السياسى • أما من الناحية الثقافية ، فانهـــا تعنى الثورة • وتشير هذه العبارة الى التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى وقت تجمعت فيه كل الخيوط وتشابكت لتكون نسيجا واحدا (*) •

الحوار بين مدارس الفكر المختلفة :

لعل مشكلة اختلاف الآراء بشأن تاريخ الميجى اشن نفسه أشـد تعقيدا من مشكلة اختلاف الآراء بشـــأن توصيف المصطلح • فقـد اشتد الجدل فى اليابان بين الاقتصاديين الماركسيين حول تعريف عبارة الميجى اشن » ، فاعتبرها أصحاب مدرسة رونو ــ Rono بمثابة ثورة برجوازية ، أما أصحاب مدرسة كوزا ــ Koza فاعتبروها عهدا ساد فيه الحكم المطلق نتيجة المهادنة بين الحكام الاقطـاعيين والطبقة البرجوازية • ويســـتند التفسيران الى النظرية الماركسية للتاريخ • ولا يلتزم كثير من الباحثين اليابانيين بهذين التفسيرين ، ويؤكدون على ضرورة التمســـك بالحقائق القائمة على البحث التجريبى • • وليست ظاهرة انقسام الرأى ازاء فهم التاريخ ظاهرة مقصورة على اليابان وحدها ، فوراء الاختلاف فى الفكر ، هناك الصدام العالمى بين دول المعسكر الاشتراكى ودول المعسكر الغربى • لذلك يختلف تفسير كل معسكر من هذين المعسكرين للعبارة •

وليست جامعة الأمم المتحدة فى وضع يؤهلها للحكم بصواب رأى وخطأ الرأى الآخر فيما يتعلق بتفسير هذه العبارة ، ويتفق الكاتب مع زميله الناشر ميجول أورتيـــا Miguel Urrtia ــ الذى كان آنذاك يشغل منصب نائب عميد جامعة الأمم المتحدة • ونرى أن ذلك المؤتمر هو بمثابة منتدى يتبادل فيه العلماء من مختلف أرجاء العالم الحوار الحر فيما بينهم • ولم نحرص على استدعاء العلماء اليابانيين الذين تتعدد آراؤهم

(*) كان عنـــوان الكـــــاب فى الأصــــل « الميجى اشن : الاســـتعادة والثورة Meiji Ishin : Restoration and revolution » ولما كان العنوان بتلك الصور قد ينطوى على بعض الغموض ، فضلا عن أن حركة الميجى اشن لم تنطو فى واقع الأمر على استعادة حقيقية للسلطة الملكية كمـا كان الحال فى أوروبا ، بل كانت بداية الانطلاق اليابانية ، فقد عدلنا العنوان الى صورته الحالية (المترجم) •

حول تفسير العبارة فحسب ، بل حرصنا على دعوة العلماء من بلدان كثيرة كالاتحاد السوفيتي ، والصين ، والولايات المتحدة لمشاركتنا الرأى حول هذا الموضوع • وكانت آراؤهم تفبض بالحماس والثراء ، ويضم الكتاب بعض تلك الآراء • وعقد ذلك المؤتمر بجامعة الأمم المتحدة فى الفترة من ١٨ الى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٨٣ •

شهدت اليابان الميجى اشن ، أو ما يمكن أن نطلق عليه الاصلاح والثورة ، فى القرن التاسع عشر • وقد قامت فى مختلف أرجاء العالم ثورات اجتماعية كبيرة فى بداية القرن العشرين ، مثل الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، وثورة الصين الوطنية عام ١٩١١ ، ثم ثورتها عام ١٩٤٩ ، والثورة المكسيكية فى الفترة من عام ١٩١١ الى ١٩١٧ ، ولا زال العالم يشهد تحولات اجتماعية كبرى حتى يومنا هذا • واذا كانت تلك الثورات قد أحدثت تغيرات حقيقية ناجحة ، فينبغى لنا أن ننظر للتحولات الاجتماعية العظمى الماضية وللمجريات التاريخية ، التى نتج عنها الفشل والنجاح ، نظرة موضوعية •

لقد قامت جامعة الأمم المتحدة بالتعاون مع جامعة المكسيك بعقد مؤتمر دولى بشأن الثورة المكسيكية فى مارس عام ١٩٨٥ بمدينة مكسيكو سيتى • وستنشر نتائج ذلك المؤتمر أيضا فى كتاب •

وانى أنتهز هذه الفرصة للتعبير عن خالص امتنانى لجميع من شاركوا فى هذا المؤتمر من كافة أنحاء العالم ، ولجميع العاملين بجامعة الأمم المتحدة ، لحسن تعاونهم لانجاح هذا المؤتمر • كما أعبر عن خالص شكرى للعاملين بمركز الاتصالات لما قاموا به من الاشراف على أعمال الترجمة والنشر وترجمة الأبحاث التى تقدم بها فرنك بولدوين ، وأندرو بارشاى ، وسوزان موراتا ، وباترشيا موراى ، ولين ريجز ، وتاكيتشى مانابو •

ناجاى متشيو

كبير مستشارى عميد جامعة الأمم المتحدة

٢٧ مايو ١٩٨٥

أولا :

نظرة على الميجى ايشين

على المرء التفرقة بين المصاعب التى كانت تعانيها فى الداخل وتلك التى تعانيها فى الخارج • كما أسهمت العزلة الكاملة التى عرفتها اليابان قبل « انفتاحها » على العالم ، الذى كان الغرب سببا فيها ، فى تضخيم النتائج المترتبة على تأثير اليابان بالعالم الخارجى فى الأذهان •

وقد زادت حدة الصعوبات التى واجهها النظام القديم فى الفترة من ١٨٣٠ الى ١٨٤٤ ، وعرفت تلك الفترة بفترة تمبو TEMPO ، عندما قضت المجاعة على الأخضر واليابس فى وسط اليابان وفى شمالها • وزادت حدة المجاعة بسبب سوء الادارة وعدم تشجيع الحكام للناس وحثهم على المقاومة • وعرفت اليابان الثورات فى تلك الفترة ، ومن أشهرها الثورة التى تزعمهـا اوشيوهيها تشيرو OSHIO HEINACHIRO ، أحد كبـار الساموراى الذين يتبعون مذهب كونفوسيوس الدينى فى مدينة أوساكا ، والذى حث الناس على الثورة [وأصدر بيانهـا] ، ممـا جعل المؤرخـين اللاحقين الذين كثيرا ما يؤرخون للثورة المخلصة من تاريخ البيان الرسمى الذى أصدره ، يعتبرونه بطلا قوميا • وكانت تلك الثورة حلقة واحدة فى سلسلة كبيرة من الثورات التى قامت آنذاك ، واتسع نطاق تمرد الفلاحين ، وزادت أعمال الشغب بالمدن مع النمو بشـكل مطرد لاقتصـاد اليابان المتماسك ، وانتشرت موجة التمرد ـ تمرد تمبو ـ بسرعة على امتداد طرق المواصلات ، وازداد تأييد الناس لحركات التمرد ، وكانوا يعتبرون قادتها شهداء ، ومنهم أوشيو OSHIO الذى اعتبره الشعب بطلا •

رغم تلك الثورات التى تفجرت فى تلك الفترة ، الا أنها لم تقدم بدائل من شأنها تغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى الذى أفرزها واتخذت المنشـورات والالتماسـات التى تقدم بهـا الثوار صورة مطالب وطنية محدودة • وساعدت طرق المواصلات على نشر موجة الاحتجاج وساهمت القرى فى نقل المتمردين من مكان لآخر بما لديها من دواب ، بل وأحيانا على ظهور الرجال • وزادت الحاجة الى خدمات النقل التى تقدمها القرى فى عهد طوكوجاوا بصورة ملحة •

تمثلت استجابة الحكومة لتلك القلاقل فى شكل اصلاحات التمبو • وقاد ميزونو تداكونى Mizuno Tadakuni تلك الاصلاحات عام ١٨٤١ • وشملت تلك الاصلاحات اصدار فرمانات تنهى عن الانغماس فى الترف وتحظر الهجرة من الريف الى المدن • كمـا ألغت تلك المراسـيم نقابات التجار ومنحت المزارعين الاقطاعيين فى حكومة باكوفو(*)BAKUFU فسحة

(*) حكومة السلطة الشوجونية • والمعنى الحرفى للكلمة « حكومة الخيمة » ، ويعكس الأصل العسكرى لحكم الشوجن ، ويحمل فكرة انها حكومة الطبقة العسكرية • المترجم •

من الوقت حتى يتمكنوا من تحصيل قيمة الديوان المستحقة لهم من أتباعهم، وحصرت نطاق أراضى حكومة باكوفو فى نصف دائرة قطرها ٤٠ كيلو مترا فيما بين مدينتى ايدو EDO واوساكا OSAKA وضربت المصالح المشتركة لرجال البلدية والمزارعين الاقطاعيين بحكومة باكوفو BAKUFU ولم تحقق تلك الفرمانات شيئا من النجاح ، فقد استقال ميزونو بعد عامين ونصف من بدء الاصلاح ، فى الوقت الذى حظيت فيه الاصلاحات الأخرى التى شهدتها بعض الاقطاعيات الكبيرة مثل : ساتسوما وتشوشو بنصيب أوفر من النجاح · ولم يستطع المزارعون الاقطاعيون تحصيل الايرادات المستحقة لهم من المزارعين الآخرين ، مما ساعد على تفاقم الأزمة التى لم تكن قد استفحلت بعد · وبدأت الأزمة تشتد حينما استخدمت الحكومة وسائل أقل مرونة لعلاج المشكلات · وأكدت اللغة التى استخدمت فى الأربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر على ضرورة التمسك بالماضى ؛ أى التمسك بالتقاليد القديمة · ولم يكن مفهوم السلطة المركزية قد نضج بعد فى عقول القائمين على تصريف أمور البلاد · وأخذ الضعف يصيب الشواجنة Shoguns (*) شيئا فشيئا ، مما أدى الى التصلب البيروقراطى · وأثارت محاولات ميزونو لاستعادة أملاك المزارعين الاقطاعيين ، وجعلها فى شكل قوس حول أكبر مدينتين بالبلاد ، موجة من الاحتجاج ، رغم أنه تنبأ بالاجراءات الضرورية التى سيتخذها المصلحون لعلاج الأزمة فيما بعد · وظلت حكومة باكوفو تؤيد التمسك بالنظام القديم ، واستمر كبار المستشارين يحكمون على أساس دورات التناوب الشهرية ، وألغى نظام التناوب عقب سقوط حكم طوكوجاوا عام ١٨٦٧ ·

وكان نصيب الحكومة من الدخل القومى محدودا · كما أن الطابع الروتينى الذى غلب على ادارة شئون البلاد وعلى نظام الضرائب لم يتح الفرصة لاجراء أية تغيرات جوهرية ·

ولم يكن فى وسع حكومة باكوفو الحصول الا على نسبة من الدخل القومى تعد الأكبر فيما بين نظائرها من الاقطاعيين · وقد ترتب على ذلك ضعف قدرة النظام الحاكم على توفير المال اللازم لصيانة الأسلحة التقليدية أو لشراء أسلحة حديثة ·

وأصبح ذلك عقبة ازاء الاستجابة المؤثرة فى مواجهة الأزمات الخارجية التى كانت تهدد أمن البلاد لسنوات طويلة · وشعر المثقفون

(*) يمكن تشبيه نظام الشواجنة (من شوجون Shogun بمعنى الحاكم العسكرى وجمعها شواجنة) بنظام المماليك فى مصر مع الفارق · اذ أن الساموری والشوجون كانوا من أبناء البلاد ، فالشوجون مثل سلطان المماليك كان يدين فى الاسم بالولاء للامبراطور مثلما كان يدين السلطان بالولاء الاسمي للخليفة (المترجم) ·

بالتوتر ازاء الخطر الخارجى الذى ظل يتهدد البلاد طوال القرن التاسع عشر ، وزاد توتـر الناس عقب هزيمة الصين فى حرب الأفيون فى الفترة ما بين عامى ١٨٣٨ و ١٨٤٢ ٠

تحكمت عدة حركات فكرية فى استجابة اليابان لذلك الخطر الداهم ، وذلك بعد أن أصبحت اليابان على دراية واسعة بعلوم الغرب ومعارفة ٠ فقد ازدهرت حـركة ترجمـة الكتب التى أتى بها الهولنديون فى الربع الأخير فى القرن الثامن عشر ٠ وبذلت الحكومة قصارى جهدها للاستفادة من تلك المعرفة بأمور الغرب ٠ واستبد القلق بعقول الناس ، فأخذوا يبالغون فى تقدير تلك المعرفة ٠ وفى مدينة ناجازاكى كان بمقدور المثقفين اليابانيين الاطلاع بسهولة أكثر على المؤلفات الصينية التى جلبها التجار الصينيون معهم من الصين ٠ ومن ثم تأكد حجم الخطر الذى كان يتهدد البلاد من الخارج ٠ وتعارضت تلك المعرفة مع الرغبة القومية فى التأكيد على النزعة القومية التى عرفت باسم كوكى جاكى Kokugaku فى فكر القرن الثامن عشر ٠ وقد أكد كل ذلك على الدور الذى تلعبه المؤسسات القومية ــ الخاضعة للامبراطور ــ فى الحفاظ على التقاليد القومية العريقة بالبلاد ٠ وقد ساعد شعار الاصلاح أو الاستعادة Restoration الذى قال : بجلوا الامبراطور ! ٠٠٠ واطردوا البرابرة ! ــ وهو ما يعرف بتشـعار سونوجوى Sonno-Joi ــ على امتزاج روح الولاء للوطن مع مناوأة كل ما هو أجنبى ، وذلك كاتجاه قوى نحو تأكيد العرقية ٠

ازداد تأييد العلماء الكونفوشيين للفكر الموالى للامبراطور أثناء حكم طوكوجاوا ، وأصبح العرش الامبراطورى هو المركز الذى يستمد منه كثير من الناس أخلاقياتهم وقيمهم ٠ وقامت مجموعة من العلماء بوضع القواعد التى يتعين على المؤيدين [لاستعادة الامبراطور لهيمنته] ــ [أو ما يعرف بالاستعادة] ــ الالتزام بهـا ٠ وقد جمعت تعـالبم ازاوا سيشيزاى Aizawa Seishisai عام ١٨٢٥ بين التحذير من الغرب والاصرار على اظهار الطبيعة المقدسة التى يتمتع بها النظام الامبراطورى الحاكم ٠ وازداد تأثير تلك التعاليم فى الخمسينات من القرن التاسع عشر حينمـا أخـذ السادة الاقطاعيون باقطاعية ميتو Mito ينتقدون سياسة الشواجنة ٠

فتح الموانىء ومزيد من المشاركة السياسية :

كان نظام حكم طوكوجاوا الذى تعاونه حكومة باكوفو نظاما معقدا بصورة جعلت عملية اتخاذ القرارات ذات الأهميـة القومية مقصـورة على المزارعين الاقطاعيين الذين كانوا يقومون بالاشراف على المجالس المركزية ٠

ولم يستطع سادة الاقطاعيات الكبيرة ، أو حتى أرباب الأسر الكبيرة التى تدين بالولاء للامبراطور ، كأسرة ميتو Mito ، المشاركة فى عملية صنع القرار • وبذلك لم يكن لها صوت يمثلها فى السياسة • ولم يختلف حال نبلاء البلاط عن ذلك ، فلم تمكن التقاليد السائدة أو السياسة التى كانت الحكومة تتبعها أولئك النبلاء من الاتصال بالعسكريين ، بل عزلتهم عن العمل السياسى • وفى نفس الوقت ، فان الأزمة التى حلت بالبلاد اثر المطالب التى تقدم بها الكومادور « بيرى » Commodore Perry عام ١٨٥٣ ، جعلت الأسرة الحاكمة تسعى لنيل المزيد من الاجماع حول القرارات الخاصة بالشئون الخارجية • وسرعان ما انتهز تلك الفرصة بعض من كانوا يسعون لأن يكون لهم رأى فى الشئون السياسية • وفى الحقبة التى تلت ذلك ، استقطب الرأى داخل وخارج حكومة باكوفو • ولم يلبث أن تحول المزارعون الاقطاعيون ومواليهم فى عهد طوكوجاوا الى العمل السياسى بعد أن عم السخط وانتشر خارج مركز صنع القرار الأصلى •

عندما تقدم الكومادور بيرى بمطالبة لليابان ، كان أبى ماساهيرو Abi Masahiro على رأس حكومتها (١٨١٩ ــ ١٨٥٧) • وأرسل ماساهيرو تلك المطالب للبلاط يطلب استيضاح ذلك الأمر ، كما أرسل للمزارعين الاقطاعيين آنذاك يطلب منهم اسداء النصح له • واختلفت الآراء بشأن تلك المطالب ، الا أنها اتفقت على ضرورة تجنب الصراع المباشر ، وان نادى البعض بضرورة الاستعداد لخوض غمار الحرب مع الغربيين حتى أن البلاط أصدر أمرا يقضى بصهر أجراس المعابد لصنع المدافع • وفى الأعوام القليلة التى تلت ذلك ، سعت حكومة باكوفو للحصول على تأييد السادة الاقطاعيين daimyo عند اتخاذ القرارات الصعبة ، بل انها طلبت منهم مشاركتها فى تحمل عبء الكوارث التى حلت بها ، كما أن البلاط وضع خطة تحتم على السادة الاقطاعيين ، أو على الأقل البيوتات العريقة ، مشاركته الرأى •

وأدت الاتفاقية التى عقدها بيرى الى استقدام تاونسند هاريس ليشغل منصب القنصل ، كما أن الاتفاقية التجارية التى عقدها مع اليابان عام ١٨٥٨ ، كانت علامة حقيقية لانفتاح اليابان أمام التجارة الخارجية واقامة الأجانب بها • وقد استفاد هاريس من الكوارث التى حلت بالصين حين رفضت سياسة الانفتاح ، أثناء محاوراته مع الساسة اليابانيين • وكانت حكومة باكوفو تخشى تعرض اليابان للمتاعب التى عانت منها الصين ، مما جعلها تسارع بالتوقيع على اتفاقيات مماثلة لتلك الاتفاقيات التى فرضت على الصين •

كان من الصعب على البلاط الموافقة على اتفـاقية هاريس وتعقدت الأمور . ففى كيوتو Kyoto اقترنت الموافقة على اتفـاقية هاريس بالتنازع على منصب الشوجون . ولم يكن أولئك الذين يتمسكون بالتقاليد من أتباع طوكوجاوا فى وضع يسـمح لهم بقبول أى تدخل لحل ذلك النزاع . ولدرء ذلك الخطر الداخلى ، تشكلت حكومة باكوفو برئاسة لى ناوسـوكه Li Naosuke ، الذى قام بالتوقيع على اتفـاقية هاريس وتسـوية النزاع للفوز بمنصب الحاكم العسكرى لصـالح ايموشى Iemochi . وبذلك تجاهل ناوسوكه ترشيح ابن ميتو Mito ، أحـد السـادة الاقطاعيين . ثم قام بمعاقبة الحكام الاقطاعيين الذين مارسـوا ضغوطا كثيرة لحمل البلاد على تلبية رغباتهم . وامتدت حملة التطهير التى قام بها لتشمل العملاء الذين استعان بهم السادة الاقطاعيون فى كيوتو Kyoto ، كمـا أنه أرغم عددا من الاقطاعيين الكبار على التقاعد . وعلى المستوى الأدنى صدرت الأحكام بادانة أكثر من مائة رجل ، واعدام ثمانية رجال ، ضربت أعناق ستة منهم كما تضرب أعناق المجرمين العاديين . وكان يوشيدا شوين Yoshido Shoin ، وهو من رجال التعليم ، من بين من أعدموا ، فأصبح بعد موته مثالا للوطنية والولاء .

لم يقتصر الأمر على الأزمة الخارجية ، بل تعرضت البلاد للمواجهة السياسية اثر حملة التطهير التى قام بها أنسى Ansei . فقد اغتيل ناوسوكة فى مارس ١٨٦٠ على يد مجموعة موالية لميتو Mito ، ومجموعة الفرسان الموالين لساتسوما Satsuma ، وقد أكد المنشور الذى أعلنته تلك الجماعات على أن جريمة ناوسوكة هى عدم الاهتمام بالامبراطور أو تنفيذ رغباته . وكان مقتل ناوسوكة بداية النشاط الارهابى الذى شهدته البلاد طوال عقد الاستعادة .

لم تهدأ حدة الأزمة الخارجية بالطبع ، فقد كانت الاتفاقيات التى عقدتها حكومة باكوفو مع القوة الغربية تطبق من جانب واحد ، وساعد وجود الغربيين بالبلاد على اثارة موجة الارهاب . كما ساعدت التجارة التى جلبها الغربيون لليابان ، وسعيهم لترويج تلك التجارة داخل البلاد ، على زيادة معدلات التضخم . وأثر ذلك التضخم على العمال وأصـحاب الرواتب ، فى الوقت الذى طالب فيه السـادة أولئك العمال بالتخلى عن بعض من رواتبهم حتى يتمكنوا من جمع المال اللازم للانفاق على الاستعدادات العسكرية . وتعرضت حـكومة باكوفو لعاصفة شديدة من النقد عقب توقيع اتفاقية لفتح موانىء جديدة باليابان . كما تعرضت لضغوط داخلية للاقلال من الامتيازات التى يحصل عليهـا الأجانب ، وتعرضت لضغوط خارجية لكبح جماح الارهاب ضد الأجانب . ولم توفق الادارة فى مسعاها ، اذ أنها لم تنجح فى تنفيذ أية مهمة من هاتين المهمتين .

تقدم الغربيون بمطالب للتعويض عما تعرضـوا له من ارهاب فى اليابان ، مما أرغم النظام الحاكم على اعطاء الكثير للأجانب ، فى الوقت الذى وعد فيه الشعب باعطاء القليل لأولئك الغربيين • وأرسلت الحكومة أول بعثة للخارج عام ١٨٦٠ ، ثم توالى ارسال البعثات للخارج ، فأرسلت بعثة للولايات المتحدة للتصديق على اتفاقية هاريس • وقد وقفت الحكومة على مقدار تفوق القوة الأجنبية بفضل تلك البعثات ، فى الوقت الذى كانت تعد فيه بوضع جدول زمنى لابعاد الأجانب عن البلاد ، فلا عجب أن الكثير من المسئولين البيروقراطيين الذين تولوا مسئولية ادارة الشئون الخارجية ، قد انتهى مستقبلهم السياسى فى وقت قصير ، فى مثل تلك البيئة التى استحال فيهـا الحفاظ على سياسة واحدة لا تتغير • أقرت الحكومة نظام جايكوكو بوجيو Gaikoku Bugyo عام ١٨٥٨ ، وقد ضم ٧٤ مسئولا فى عام ١٨٦٧ • وطوى النسيان السـفراء الذين أرسلتهم الحكومة للولايات المتحدة عام ١٨٦٠ ، كما واجه كثير من المسئولين فى أواخر عهد طوكوجاوا نفس المصير ، فى الوقت الذى استمر فيه بعض المسئولين الأقل درجة فى السفر للخارج ، وازداد نفوذهم ، وان ظل الخطر يتهددهم باعتبارهم موالين للغرب •

المجاهدون الأوفياء

شهدت البلاد فترة من العنف عقب اغتيـال ناوسوكه عام ١٨٦٠ • وقد ترك ذلك العنف بصماته على سياسة حكم طوكوجاوا ، وكان مدبرو الاغتيال من بين المجاهدين الأوفياء ، الذين عرفهم التاريخ باسم شيشى Shishi أو « الرجال ذوى الغاية النبيلة » ، وهم رجال من العـامة والبسطاء الذين عانوا من انخفاض الدخل وتدنى المكانة • وعاش رجال شيشى فى عالم أكثر بساطة من دنيا سادتهم ، وأتيحت لهم فرصة الاتصال بالآخرين ممن يعملون بالاقطاعيات الأخرى • ولم يكن الشيشيون ينتمون الى الطبقة الحاكمة ، وعانوا مرارة أشد من الاحباط المتولد عن ضآلة الفرصة المتاحة لهم فى الرقى ، ومن ثم اشتد تذمرهم ، فأخذوا ينتقدون رؤساءهم الذين كانوا على جانب كبير من الحذر • وتلقى كثير من رجال شيشى تعليمهم فى المعاهد الخاصة على أيدى المعلمين الذين غرسوا فى أذهانهم الولاء والمثالية ، وان افتقر كثير منهم الى المعرفة بالقضايا السياسـية والدبلوماسية ، ولكنهم استيقظوا من غفلتهم ، وشاركوا فى الجهاد اثر الدعوة التى وجهت لهم للاشتراك فى الاستعداد العسكرى الذى صاحب فتح الموانىء ، وانزال العقاب بساداتهم أثناء حملة التطهير التى تزعمها أنسى • وكانوا يميلون الى الحلول البسيطة التى تقتضى العمل المباشر •

اقترن الاحباط الذى كان يعانيه رجال الساموراى الأقل رتبة بعدم الرضا الذى كان يشعر به الأشراف المحليون من خارج دائرة الساموراى • وساعدت مسئوليات الادارة فى الريف على خلق طبقة مثقفة من القادة الريفيين • فعلى سبيل المثال ، قامت جماعة من زعماء القرى بمقاطعة توسا Tosa بتوزيع وثائق سرية وصفوا فيها أنفسهم بأنهم الممثلون الحقيقيون للنظام الامبراطورى ، وأنهم أسمى مكانة من طبقة الساموراى (*) التى تسكن القلاع بالمدينة وتدين بالولاء للسادة الاقطاعيين • واقترن ذلك الاحباط على المستويين ـ الاجتماعى والسياسى ـ بالأزمة القومية ، وساعد على خلق مجتمع من الشباب أخذوا يحكمون على أنفسهم وعلى رؤسائهم طبقا لمعايير الولاء المطلق للواجب ، لا مجرد التبعية لمن هم أعلى رتبة كما يقضى العرف • واحتج كثيرون منهم على رؤسائهم ، بل كانوا يضربونهم فى كثير من الأحيان ، ويتركون العمل تحت امرة أسيادهم ، ليمتهنوا حرفا أخرى فى المدن والمراكز الوطنية وحيث المناخ السياسى أكثر اثارة ، وهناك عرفوا باسم رونين Ronin •

قام رجال شيشى بكافة الأنشطة السياسية فى البلاد ، حتى بلغت تلك الأنشطة ذروتها • وكان الشواجنة يحركون خيوط تلك الأنشطة ، وأثرت شجاعتهم وحدة طباعهم على تشكيل سياسة طوكوجاوا وأنجبوا أبطالا لتاريخ المجاهدين الأوفياء فيما بعد • وأضفى اصرارهم على التحكم فى رؤسائهم بالاقطاعيات الأخرى طابع الحزبية والتنافس فيما بينهم ، فحارب بعضهم بعضا ، كما حاربوا رؤساءهم ، واستخدم سيد ساتسوما Satsuma فئة منهم لضرب فئة أخرى • وأدت العداوات الايدولوجية والحزبية الى نشوب حرب أهلية فى اقطاعية ميتو Mito ، مما أضعف نفوذهم فى تلك الاقطاعية • وفى تشوشو Choshu ، وجد المجاهدون الأوفياء حلفاء لهم بين رؤسائهم • وبانتهاء التعاون بينهم وبين رؤسائهم ، كانوا قد نجحوا فى قلب موازين السياسة بالاقطاعية • وسطع نجم أولئك الرجال بمقاطعه توسا Tosa لفترة من الزمن عقب اغتيال أحد الوزراء البارزين . ولكن سرعان ما كانت تتلاشى المكاسب التى يفوزون بها ، أو تتحول تلك المكاسب الى خسائر ، اذا ما عاد سيد سابق ببرنامج جديد ، يؤكد فيه سيطرته على سياسة الاقطاعية •

اتخذ اللاجئون الموالون للنظام الحاكم من المراكز الوطنية ملجأ لهم ، ولاسيما العاصمة الامبراطورية كيوتو Kyoto • وأصبح أولئك اللاجئون يعرفون باسم رونين Ronin ، وكثيرا ما كانوا يجدون المأوى والعمل فى

(*) ساموراى بمعنى محارب • كان مجتمع طوكوجاوا ينقسم رسميا الى أربع طبقات : محاربون ، وفلاحون ، وحرفيون ، وتجار • والمحاربون هم الحكام ـ المترجم •

بلاط النبلاء ، أو يحظون بحماية الاقطاعيات الأخرى الصديقة • وكان لوزراء الشواجنة وللممثلين الأجانب ما يدعوهم الى الخوف من المقاتلين البارعين الذى كان الواحد منهم مسلحا بسيفين • ولا توجد احصائية يمكن الاعتماد عليها فيما يتعلق بالعنف الشخصى فى مجال السياسة • وبلغ العنف السياسى حدا من القوة بحيث صار يشبه فى تأثيره الأثر الذى يحدثه ظهور الأجانب على الشواطىء التى ظلت مغلقة لفترة طويلة • وامتلأت مقابر معبد كيوتو Kyoto بجثث المئات من الرجال الذين سقطوا ضحايا للمؤامرات والمؤامرات المضادة ، وكان هجوم تشوشو Choshu على القصر ذاته عام ١٨٦٤ أكبر تلك المؤامرات •

التنافس الاقليمى :

كان باستطاعة رجلين مسلحين أن يثيرا القلاقل ، ولكن الأمر تطلب جهدا طائلا من أجل تغيير المنهاج السياسى الذى اتبعه حكم طوكوجاوا • وقد اتحدت عدة مقاطعات للتخفيف من سطوة ذلك الحكم واسقاطه فى نهاية الأمر • وكانت تلك المقاطعات على استعداد لايواء المجاهدين ، ومد يد العون المادى لهم • وكان ذلك بمثابة القاعدة التى ارتكز عليها البناء السياسى فى الستينيات من القرن التاسع عشر ، وأصبح القائمون على تلك السياسة هم القادة الذين اعتمدت عليهم حركة الميجى Meiji Movement فيما بعد •

كانت تلك الاقطاعيات قادرة على الاستقلالية فى العمل ، وبالمقارنة بين الاقطاعيات التى تسيطر عليها أسرة طوكوجاوا ، كانت اقطاعية ساتسوما Satsuma أكثرها قدرة على الاستقلال ، وجاءت اقطاعية ساتسوما Choshu فى المرتبة التاسعة ، وجاءت اقطاعية ميتو Mito فى المرتبة الحادية عشر ، وجاءت اقطاعية توسا Tosa فى المرتبة التاسعة عشرة •

اختلفت نسبة عدد المحاربين الساموراى فى كل اقطاعية • وكانت تلك الاقطاعيات عبارة عن وحدات متكاملة لها حدود طبيعية واضحة المعالم ، وتاريخ اقليمى تعتد به ، وموارد تعتمد عليها فى بناء قوتها العسكرية • ظلت طبقة المحاربين الساموراى فى اقطاعيتى ساتسوما Satsuma وتشوشو (١٠) Choshu ، بالاضافة الى الطبقات الدنيا باقطاعية توسا Tosa تضمر العداء لحكم أسرة طوكوجاوا Tokugawa الحاكمة ، وبقى البناء السلطوى التقليدى متماسكا ، ولم تثر الجهود التى بذلت لتقوية الاقتصاد فى بعض الاقطاعيات أى احتجاج ، وان أثارت جهودا مماثلة كثيرا من الاستياء فى الاقطاعيات

الأخرى الخاضعة للحكام العسكريين Shoguns . ولكن عندما رأى السادة الاقطاعيون ، ومعظم القائمين على حكم الاقطاعيات الأخرى ، الأخطار التى يمكن أن تهدد البلاد عندما يسيئون الحكم على الأمور فى الأوقات العصيبة ، فقد فضلوا الاحتفاظ بمواردهم وآرائهم حتى يستقر الوضع . وشهدت بعض المناطق انعدام الثقة فى حكومة الميجى التى أخذت تضرب بجذورها فى سياسة كل منطقة فى الستينات من القرن التاسع عشر .

وفى الأعوام التى تلت ذلك ، تنافست اقطاعيات ساتسوما وتشوشو وتوسا لاختيار أفضل السبل للاتيان بالتغيرات السياسية التى من شأنها زيادة تمثيلهم وزيادة تمثيل البلاط فى السياسة القومية . وفى نهاية الأمر ، استقر الرأى على أن يتولى ممثل من البلاط قيادة مسيرة عسكرية ، ويتجه بها الى ايدو Edo ، على أن يرافق جيش الاقطاعية تلك المسيرة . وأدت تلك الجهود الى اصلاحات عام ١٨٦٢ التى بشرت بالمصالحة بين البلاط والعسكريين، أو ما يعرف بكوبوجاتاى Kobu Gattai

لم يكتب النجاح لتلك الاصلاحات ، فقد عملت على اذكاء روح التنافس والشك ، وأضعفت قبضة الشوجونية Shogunate على مقاليد الحكم بالاقطاعية ، كما خففت قيود الاقامة الجبرية التى فرضت على السادة الاقطاعيين للاقامة بمدينة ايدو Edo ، ثم ما لبثت أن تلاشت تلك القيود شيئا فشيئا ، وتحددت وظائف جديدة ليوشينوبو Yeshinobu ، أحد أبناء أسرة طوكوجاوا الحاكمة . ولم يستطع ذلك الرجل الحصول على منصب الشوجونية عام ١٨٥٨ . وبدد ماتسوديرا شونجاكى ــ أحد الرجال الذين تولوا وظيفة ثانوية لدى أسرة طوكوجاوا الحاكمة ــ السلطة المركزية التى تولاها . وقام الشوجون يموتشى Iemochi بزيارة الامبراطور فى كيوتو ، حيث أبدى خضوعه للامبراطور بالسير فى المواكب الشعائرية المتجهة الى زيارة أضرحة العائلة الامبراطورية ، ثم حصل على تفويض بالحكم من الامبراطور اثر تقدمه بطلب لذلك . ومن ثم فقد أسبقيته فى السلطة على الامبراطور لأنه حصل على سلطته بطلب منه ، ثم توفى فى أوسكاكا Osaka ، وهو لايزال فى ريعان شبابه ، أثناء زيارته الثالثة للعاصمة . وخلفه يوشينو بو فى الحكم .

ولم يقم بزيارة مقر الشوجان فى ايدو Edo أثناء فترة حكمه القصير كحاكم عسكرى . ولقد أصبحت كيوتو عاصمة منافسة للبلاد .

ويدل وعد الاداريين الجدد بالعمل على طرد الغربيين عام ١٨٦٣ على مدى الضعف الذى أصاب الشوجونية . فقد تعرضت اقطاعيتى ساتسوما Satsuma وتشوشو Chashu لقصف المدافع

الأجنبية ، حينما حاولت اقطاعية تشوشو طرد الغربيين بمفردها ، بعد أن قامت بضرب سفن الشحن الأجنبية البعيدة عن شواطئها عام ١٨٦٣ . وتعرضت اقطاعية سوتسوما للقصف حينما رفضت دفع الدية التى فرضت عليها نظير قتل رجل انجليزى فى نفس العام . وتوقف الحديث عن طرد الأجانب من البلاد حينما أدركت اليابان مدى فاعلية المدافع الأجنبية ، وان ظل السياسيون يستخدمون عبارة « طرد البرابرة » فى خطبهم السياسية . وفى الأعوام التى تلت ذلك ، أرسلت اقطاعية ساتسوما بعثات من الطلاب للدراسة بالخارج ، كما فعلت حكومة باكوفو Bakufu . وأقام قادة ساتسوما علاقة مع السفارة البريطانية . وبدأت حكومة باكوفو فى الحديث عن طلب المساعدة من الحكومة الفرنسية ، ثانى أكبر امبراطورية فى العالم بعد الامبراطورية البريطانية . وبذل الوزير الفرنسى ليون روش قصارى جهده لتشجيع العلاقات العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية بين فرنسا ونظام طوكوجاوا .

ووصلت الامتيازات السياسية الاقليمية الى طريق مسدود فيما بين عامى ١٨٣٦ و ١٨٦٤ . فلم تثق اقطاعيتى ساتسوما وتشوشو فى بعضهما البعض بقدر عدم ثقتهما فى حكومة باكيفو . وفى عام ١٨٦٣ ساعدت قوات ساتسوما قوات طوكوجاوا على طرد تشوشو خارج كيوتو . وحينما حاولت تشوشو السيطرة على قصر كيوتو فى العام التالى ، اتحدت اقطاعية ساتسوما مع حكومة باكيفو ، وقامتا بتجريد حملة ضد تشوشو التى وصفت بأنها « عدو البلاط » . وحينما اقتربت الحملة من حدود اقطاعية تشوشو ، حلت ادارة محافظة جديدة محل ادارة المجاهدين الأوفياء بعد أن اضطربت صفوفها . ورضخت الادارة الجديدة لمطالب باكوفو التى أجرت آنذاك اصلاحات عسكرية ونقدية وادارية ، وكان يحدوها الأمل فى التمكن من استعادة اسبقيتها فى الحكم . وفى بادىء الأمر ، اقتصرت تلك الاصلاحات على ما حول مدينة ايدو Edo موطن أسرة طوكوجاوا الحاكمة . ويمكننا القول بأن ذلك كان بمثابة امتداد للتنافس الاقليمى ، وتحولت باكوفو نفسها الى قوة اقليمية مرهوبة الجانب بفضل ذلك التنافس .

ائتلاف الاصلاح :

عادت موجة المد بسرعة بعد أن انحصرت فترة من الزمن . فقد ثار المؤيدون لتشوشو على قبول شروط التسليم ، وتولوا زمام السلطة فى الاقطاعية مرة أخرى . ولم تستطع باكوفو الحصول على موافقة اقطاعية ساتسوما حين أعلنت تجريد حملة تأديبية أخرى على اقطاعية تشوشو .

وعانت جيوش باكوفو الأمرين على يد وحدات اقطاعية تشوشو التى أبلت بلاء حسنا فى القتال . وكانت تلك الوحدات تتكون من المحاربين الساموراى ، بجانب العامة والدهماء ، واستبسلت فى الدفاع عن الاقطاعية . واتخذت باكوفو من وفاة ايموشى ـ الشوجون ـ ذريعة لوقف القتال . كما توفى أيضا الامبراطور كومى Komei عقب رحيله . وسرعان ما تحالفت اقطاعيتى ساتسوما وتشوشو فى السر فيما بينهما ضد حكومة باكوفو . وفى تلك الأثناء ، اقتضى الأمر الاسراع فى اجراء اصلاحات فى نظام الحكم . وبذلك كان هناك برنامجان يرميان الى التغيير الشامل فى البلاد ، أحدهما تحت قيادة ساتسوما وتشوشو ، والآخر تولى مصلحو باكوفو تنفيذه .

استندت تلك الأحداث على خلفية تسودها تهديدات المجاهدين والعنف والمطالب الأجنبية لفتح موانىء جديدة والحصول على امتيازات جديدة . وتصاعدت معدلات التضخم فى المدن بشكل كبير ، مما خلق مصاعب كثيرة أمام الرجل اليابانى العادى . لذا فقد بلغت حركات التمرد مداها فيما بين عامى ١٨٦٦ و ١٨٦٧ . وظلت حكومة باكوفو تحتفظ بميزان الادارة المركزية وقوة الدفع ، فى الوقت الذى أدرك فيه الجميع ضرورة الحاجة الى اجراء تعديل فى الهيكل السياسى برمته حتى تظهر اليابان بالمظهر المهيب الجدير بها فى دنيا السياسة والدبلوماسية .

تقدم أهالى اقطاعية توسا Tosa باقتراح ينص على استقالة الشوجون . وقدم السادة الاقطاعيون ذلك الاقتراح لحكومة باكوفو فى أواخر عام ١٨٦٧ . وكانت اقطاعية توسا فى وضع يؤهلها لذلك العمل ، فقد كانت على وفاق مع ساتسوما وتشوشو ، وحازت على ثقة حكومة باكوفو ، وكان بها قائد ذكى يتصف بالقوة والمهارة . وأفسحت استقالة الشوجون الطريق أمام تشكيل حكومة جماعية تحت رعاية الامبراطور بحيث يشغل الشوجون منصبا قياديا فى تلك الحكومة ، باعتباره أعظم السادة الاقطاعيين . وقبل « الشوجون » الحاكم العسكرى ذلك الاقتراح وقدم استقالته للعرش فى نوفمبر عام ١٨٦٧ .

فاق قادة ساتسوما وتشوشو الحاكم العسكرى فى القدرة على المناورة ، كما تفوقوا على حلفائهم فى توسا ، وحصلوا على تفويض من البلاط لمباشرة مهامهم دون الرجوع الى الامبراطور . ولم يكونوا مستعدين لقبول أية تسوية جزئية تهدد مركز الصدارة الذى كانوا يتمتعون به . ونجحوا فى حمل البلاط على دعوة طوكوجاوا يوشينوبو للتنازل عن أراضيه وألقابه . وفى ٣ يناير عام ١٨٦٨ ، أعلن البلاط استعادة الحكم

الامبراطورى ، ورضخ يوشينوبو لتوسلات رجاله بالمقاطعة ، الذين كانوا يحثونه على الانتقال من اوساكا الى كيوتو للاحتجاج لدى البلاط • وفى أواخر شهر يناير ، منيت قواته بهزيمة منكرة على يد قوات ساتسوما وتشوشو • ومن ثم وصم بأنه « عدو البلاط » • وبدأت الحرب لاستعادة سلطة الامبراطور حين تقدمت القوات ، التى أطلق عليها لقب « الجيش الامبراطورى » ، نحو الشرق والشمال ، وخاضت غمار الحرب ضده وانتهت باستسلام أسطوله فى منطقة هاكودت Hakodate فى يونيو عام ١٨٦٩ •

ولم يلق الجيش الامبراطورى مقاومة تذكر قبل سقوط ايدو Edo التى استسلمت دون مقاومة فى ٥ ابريل • وبعدها لم تعد المعارضة موجهة للبلاط، بل كانت تتوجس خيفة من محاولة أهل الجنوب القيام بتشكيل حكومة جديدة لباكوفو ، وكان الشوجون السابق قد طمأن ممثلى الدول الأجنبية فى تصريح أصدره فى مستهل عام ١٨٦٨ أن الجميع منفقون على سيادة الامبراطور على البلاد • اذن لو نظرنا « للميجى اشن » باعتبارها انقلابا ، لوجدنا هذا الانقلاب ناتجا عن المنافسة الحادة بين القادة لتولى قضية اعادة بناء البلاد والارتقاء بها • وكان هناك اجماع عام على ضرورة اجراء تعديل جديد فى هيكل الحكومة صاحبة القرار •

من استعادة السلطة الى الثورة :

فى ٦ ابريل ، والقتال فى مراحله الأولى ، أصدرت الحكومة الجديدة تعهدا اشتمل على خمسة بنود تطمئن فيه السادة الاقطاعيين بأن للجميع مكانا فى النظام الجديد • وقد صيغ هذا التعهد بعبارات عامة تجنبت ببراعة التحديد والتفصيل ، ووعدت فيه الحكومة بتكوين مجالس لتدبير شئون البلاد ، وأعلنت عن الفرص العظيمة التى سيحظى بها عامة الشعب والمسئولين • كما أكدت على الغاء « الممارسات السيئة التى عرفت فى الماضى » ، وعلى أن كل شئ سيستند على « قوانين الطبيعة العادلة » • كما أكدت على ضرورة البحث عن المعرفة فى « شتى بقاع الأرض » حتى تستطيع اليابان دعم أسس الحكم الامبراطورى • وكشف ذلك التعهد عن الأدوار المتعددة التى يمكن لوثيقة واحدة القيام بها ، وكان يهدف الى طمأنة السادة الاقطاعيين بأنه لن تشكل حكومة باكوفوية جديدة تحل محل الحكومة السابقة ، كما أن الفرص ستتاح للجميع على اختلاف طبقاتهم ورتبهم • وفى واشنطن ، وبعد ذلك بعدة سنوات ، اندهش كيدو تاكويوشى Kido Takayoshi – أحد قادة الحكومة اليابانية الجديدة – عندما ذكر بامكانية الاستفادة من ذلك التعهد كمصدر يمكن الاعتماد عليه عند صياغة

لائحة رسمية للبلاد • وتم الاستشهاد به فى مواضع عدة باعتباره سابقة للديموقراطية فى اليابان المعاصرة •

كان النظام الجديد يبتعد عن الممارسات الأنانية التى اتبعها النظام السابق فى سياسته ، كما تجنب أية اشارة الى اجراء تغييرات جوهرية • وعلقت بيانات تدعو عامة الشعب الى الانصراف الى أعمالهم كسابق عهدهم • كما وجهت الحكومة الشكر للمجاهدين للدور الذى قاموا به ، وأصدرت لهم الأوامر بالعودة الى السلطات الاقطاعية التابعين لها • كما احتفظت الحكومة لنفسها بالجزء الأكبر من أراضى طوكوجاوا ، ولكنها حرصت على ألا تظهر بمظهر من يريد اضافة أراض جديدة اليها • وبعد تجارب عديدة من جانب الحكومة لادخال نظم ادارية جديدة ، وعلى نسق الصورة الأولى لتمثيل المقاطعات الاقطاعية فى الحكومة ، أعادت الحكومة تشكيل مجلس الدولة ـ أو ما يعرف بالداجوكان Dajokan ـ الذى عرفته البلاد فى القرن السابع للدلالة على رغبتها فى العودة للماضى •

اتخذت الحكومة عدة خطوات لتحقيق التجانس بين الاقطاعيات توطئة لتوحيد البلاد ، وأصدرت الأوامر لسادة الاقطاعيات لتوحيد نظم الادارة وفصل الأمور الشخصية عن الأمور العامة والميزانية • وفى عام ١٨٦٩ تقدم السادة الاقطاعيون باقطاعيات تشوشو وساتسوما وتوسا وساجا بالتماس للبلاط باعادة سجلاتهم مرة أخرى • وقبلت الحكومة ذلك الالتماس بعد تردد ، وأصدرت أوامرها برد السجلات الى سائر الاقطاعيات الأخرى • ثم قامت بتعيين السادة الاقطاعيين السابقين كمحافظين • وفى خريف عام ١٨٧٠ ، أصدرت الحكومة أوامرها باجراء اصلاحات فى ادارة الاقطاعيات • وقامت بتصنيف الاقطاعيات حسب حجمها ، فهناك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة • وفى عام ١٨٧١ ، ألغت الحكومة نظام الاقطاعيات ، لتبدأ عملية اعادة توحيد البلاد ، واعادة تقسيم المناطق ، فبعد أن كانت البلاد تضم ٢٥٠ اقطاعية أصبحت تضم ٥٠ ولاية •

حتى ذلك الحين كان من الصعب تحديد مفهوم « الحكومة الجديدة »، فكان موظفو تلك الحكومة من الشباب حديثى السن ، أمثال أتوو كاودو ، الذين لم يتمتعوا بنفوذ كبير فى اقطاعياتهم ، فى الوقت الذى سعت فيه شخصيات كبيرة نحو القوة ، أمثال كيدو Kido فى (تشوشو) واكوبو Okubo فى (ساتسوما) وايتاجاكى Itagaki فى (توسا) ، فسيطروا على مجالسها • وفى نوفمبر عام ١٨٧١ ، كانت البلاد قد استقرت بدرجة تسمح لبعض رجال الحكومة بالقيام بجولة حول العالم تحت رئاسة اواكورا Iwakura ، وكان بينهم شخصيات بارزة

أمثال ايتو Ito وأوكبو Okubo وكيدو Kido • وأتيحت لهم فرصة دراسة طرق وأساليب المؤسسات الأجنبية فى عدة دول • وعادوا عام ١٨٧٣ ، بعد أن أنهوا دراستهم • وتعهدت الحكومة المؤقتة بعدم القيام بأية تعديلات أثناء غيابهم الا بعد استشارة الأطراف الأخرى ، فكانوا على ثقة فى أنهم سيتولون نفس وظائفهم السابقة بعد عودتهم •

كان لزاما على الحكومة الجديدة اعالة طبقة الساموراى بالاقطاعية بعد أن فرضت سيطرتها الكاملة على جميع الاقطاعيات • وفى البداية تم تصنيف الرتب العسكرية ، فكانت هناك رتبة الكازوكو Kazoku التى حصل عليها السادة الاقطاعيون ، ورتبة الشيزوكو Shizoku التى حصلت عليها طبقة الساموراى ذات المستوى المتوسط ، ورتبة سوتسوزوكو Sotsuzoku التى حصلت عليها طبقة الساموراى ذات المستوى الأدنى • ولم يمض وقت طويل حتى ألغيت رتبة سوتسوزوكو ، وأصبح معظم الحاصلين على تلك الرتبة من عامة الشعب • وسمح لعامة الشعب بامتطاء صهوة الجياد وحمل أسماء عائلاتهم ، كما سمح لهم بقيد عائلاتهم بنظام القيد الذى تأسس عام ١٨٧١ • وبعد صدور قرار يقضى بالغاء الاقطاعيات عام ١٨٧١ ، صدر قرار آخر ينص على حرية السفر وحرية الانتقال وحرية اختيار المحاصيل الزراعية وحرية التزاوج بين العامة والفئات الأخرى • وتم ترقية المجموعات شبه المنبوذة الى مرتبة العامة ، أو ما يعرف بالهيمن Heimin

اضطرت المشاكل المالية الحكومة الى اجراء اصلاحات أخرى • ولما كانت طبقة الساموراى التى حصلت على رتبة الشيزوكو Shizoku تتقاضى رواتبها من الحكومة ، اضطرت الحكومة الى تقليل النفقات لتوفير الموارد ليتسنى لها الانفاق على التسليح والدفاع عن البلاد • وأثبتت التجارب التى مرت بها البلاد فى الستينيات من القرن التاسع عشر أن لطبقة الساموراى ميزة مزدوجة ، اد كان بامكان الحكومة الانتفاع بها فى الحفاظ على تماسك البلاد وفى تدريب جيش حديث • وقد تأثر القادة اليابانيون بالقصص التى كانت تحكى عن اشتراك مواطنى باريس فى مقاومة جيوش بروسيا ، عندما اندلعت الحرب بين فرنسا وبروسيا • وكان أولئك القادة يعرفون أن عامة الشعب اليابانى قد اتخذوا موقف المتفرج أثناء حروب الميجى اشن • وما كان لدولة حديثة أن تتكفل باعالة مجموعة خاملة من الساموراى ، فى الوقت الذى طلبت فيه الحكومة مشاركة أبناء الشعب مشاركة فعلية فى ادارة شئون البلاد • وهكذا اتخذت الاجراءات لحل مشكلة الساموراى •

جمعت الاجراءات المبكرة التى اتخذتها الحكومة بين خفض الرواتب

ووضع معايير جديدة للوظائف الادارية ، وأتاحت الفرصة أمام الموظفين المحليين ــ الذين كانوا من عامة الشعب ــ للترقى الى الكوادر الأعلى فى النظام الوظيفى الادارى • وفى عام ١٨٧٣ ، تركت الحكومة لطبقة الساموراى الحاصلين على رتبة الشيزوكو ، حرية الخيار بين تقاضى رواتبهم ، والحصول على مبلغ نقدى يوازى الدخل الذى يحصلون عليه فى ست سنوات • وأدخلت الحكومة ضريبة الدخل ، وشجعت على استبدال الرواتب عام ١٨٧٤ • وفى عام ١٨٧٦ ، صدر قانون يحظر تقلد السيف ، ويلزم جميع أصحاب الرواتب باستبدال رواتبهم • كما صدرت سندات تعطى لحاملها الحق فى الحصول على فوائد • وحصل أصحاب الرواتب الصغيرة على فوائد أعلى ، ثم تحولت الفوائد الى رأس مال يحصلون عليه بعد مضى فترة من الزمن فى صورة مرتبات • وكانت الحكومة تتوقع نفور طبقة الساموراى من تلك الاجراءات ، كما كانت تضيق ذرعا بنظام الاقطاع • ولحسن الحظ لم يدخل ذلك الاستياء لغة المكسب أو الخسارة الشخصية ، وانما دخل ضمن اطار السياسة الخارجية (أى الحوار القائم حول الاجراءات التى يجب اتخاذها بشأن كوريا) ، والقلق الداخلى (مدى لياقة صبغ البلاد بالصبغة الغربية) • ولحسن الحظ ، أيضا ، أن طبقة الساموراى كانت تدرك انتماءها للاقطاعية ادراكا كاملا ، فلم يتعد استياء تلك الطبقة حدود الاقطاعية • لذلك كتب البقاء للحكومة •

وبالنسبة للوضع المالى فى البلاد ، رأت الحكومة ضرورة وجود دخل ثابت حتى تستطيع تدبير أمور البلاد على خير وجه • لذلك أصدرت الحكومة صكوك تمليك الأراضى ، وقامت بتقييم رسمى لقيمة الأرض على أساس ما تدره من رأس مال ، كما قامت بتقييم الضريبة الثابتة على أساس ما تدره من المال • وصاحب كل تلك الاجراءات قيام الحكومة بتقويض أركان طبقة الساموراى ووضع قواعد التجنيد الاجبارى ونظم التعليم الشامل • ففى عام ١٨٧٧ ، وضعت الحكومة قواعد التجنيد الاجبارى ونظم تعميم التعليم ، كما سحقت التمرد الذى قام به رجال الساموراى فى ساتسوما فى نفس العام ، وهو آكثر حركات التمرد قوة • وبذلك أصبحت اليابان قوة حديثة تقوم على المؤسسات الرأسمالية التى تشبه المؤسسات التى عاينها رجال الحكومة أثناء قيامهم بجولة حول العالم •

وفى عام ١٨٧٨ ، فقدت الحكومة ثلاثة رجال من أقوى الشخصيات لديها ، ففقدت سايجو Saigo بسبب التمرد ، وفقدت كيدو Kido بسبب المرض ، وفقدت اكوبو Okubo بسبب الاغتيال • وكانت البلاد آنذاك تجتاز تغيرات داخلية كثيرة • واستفادت المؤسسات من الصفوة القديمة خير استفادة • فقد شغل الأمراء الذين تربطهم رابطة الدم ونبلاء البلاد والسادة الاقطاعيون أعلى المناصب • ثم بدأت الحكومة المركزية

نأخذ طابعها المميز ، ووجد قادة الساموراى أنه بامكانهم تولى مسئوليات رسمية كثيرة • واستمر السادة الاقطاعيون والنبلاء يمارسون مهامهم ، وان انخفض عددهم • واستمر رجال الساموراى أصحاب الرواتب يصعدون فى التسلسل الوظيفى • وبانتهاء عام ١٨٧١ ، أصبحت معظم الوظائف القيادية فى أيدى طبقة الساموراى السابقة • وكانت نواة الحكومة تضم رجالا من ساتسوما وتشوشو وتوسا وساجا • وكان أولئك الرجال يدركون الحاجة الى اقتلاع جذور الشك من قلوب الناس ، ومكافأة الخبرة والموهبة ، فقاموا بتجنيد كثير من الناس العاديين لينضموا اليهم

وعملت الحكومة على اعالة طبقة الصفوة القديمة ، وكان الامبراطور فى حاجة الى طبقة ارستقراطية من حوله • فدارت مناقشات حول ضم كل أو معظم رجال الساموراى الحاصلين على رتبة شيزوكو Shizoku لتلك الطبقة الارستقراطية ، ولكن اعتبارات العدد والنفقات حالت دون ذلك • وحينما قررت الحكومة انشاء برلمان من مجلسين كان الكثير من حاملى رتبة الشيزوكو قد أعوزتهم الحاجة ولم يعودوا أهلا لحمل لقب من ألقاب النبالة • وبصدور قانون النبلاء عام ١٨٨٤ ، أضفيت على نبلاء البلاط السابقين القاب النبالة الجديدة التى كان الانعام بها مقصورا على الاقطاعيين السابقين • ووجد معظم السادة الاقطاعيين أنفسهم فى مرتبة قريبة من أدنى مراتب الفيكونت Viscount ، بينما حظيت حفنة الساموراى الحاصلين على رتبة شيزوكو برتبة قريبة من رتبة البارون Baron • وعندما ألغيت الرتب فى الأعوام التى تلت الحرب ، كانت ٩١٣ أسرة قد حصلت على رتبة البارون •

واجهت الحكومة الجديدة عدة مشكلات ، وكان يتعين عليها اعادة بناء قوة اليابان ، واعادة الثقة الى نفوس الناس ، وجعلهم ينظرون اليها باعتبارها حكومة قومية صادقة • فكان عليها عمل الكثير فى سبيل ذلك • فقد كان النظام السابق نظاما مفلسا • واطمأن قلب كل من كان يخامره الشك فى الحكومة الجديدة عندما رأى تمسك الامبراطور بكل ما هو قديم ، ولمس كل من كان يعرف تلك الحكومة عن كثب الخطوات الحادة التى تخطوها اليابان كى تصبح قوة من القوى الدولية • والامبراطور هو رمز السلطة فى اليابان ، فزادت أهمية ذلك الرمز لدى الناس ، وتنافس مؤيدو الحكومة ومعارضوها فى تأكيد ولائهم لعرشه • وقدمت الحكومة عدة ضمانات للدلالة على مصدقيتها ، منها قيام بعض الساسة بجولة حول العالم لدراسة نظم الحكم فى بعض البلدان ، واعلان الامبراطور عن عزمه القيام بالاصلاحات اللازمة ، ووعده بتشكيل المجالس ، وتأكيده على وضع دستور للبلاد عام ١٨٨١ • ولولا تقديم الحكومة لتلك الضمانات ، لكانت

مجرد تسوية من جانب واحد فقط . وبعد أن أدخلت الحكومة نظام الألقاب الجديد ، أصبحت الصفوة القديمة من السادة الاقطاعيين ونبلاء البلاط يشكلون طبقة الأشراف الجديدة . وكانت تلك الطبقة هى القوة الدافعة فى مجال السياسة حتى أن دستور عام ١٨٨٩ أفسح مكانا لتلك الطبقة لتمارس نفوذها السياسى .

وعلينا أن نفهم النظام القديم حتى يتسنى لنا فهم مقدار التغيير الذى طرأ على ذلك النظام . لم يكن نبلاء طوكوجاوا يهتمون بتملك الأراضى على الاطلاق . ويمكننا القول بأن الامبراطور كان يمتلك كل الأراضى . وهذا القول يتساوى مع القول بانه لم يكن يمتلك أية أراض على الاطلاق ، اذ قام البلاط بتفويض الشوجون ليحكم نيابة عنه . وقام هذا بدوره بتفويض المزارعين الاقطاعيين ليحكموا نيابة عنه . وكان كل فريق من هؤلاء على استعداد للاعتراف بأنه لا يملك الأراضى ولا من عليها ، وأنه أشبه بالمشرف منه بمالك . وعندما رد السادة الاقطاعيون سجلاتهم الى البلاط عام ١٨٦٩ ، رفعوا التماسات مطالبين باستعادتها . وكانت تلك الالتماسات تضمن اشارة تفيد بأن الأرض ومن عليها ملك لجلالة الامبراطور ، فما الذى يدعونا الى تملك الأرض ملكية خاصة ؟ ولم يختلف حال طبقة الساموراى عن ذلك , فكان قليلون منهم يرتبطون بالقرية ، ومعظمهم كان من أصحاب الرواتب ، وكانوا يسكنون المدينة . واختلفت الحال عن أوربا اختلافا بينا ، فالأوربيون من أصحاب الأراضى كانوا يعرفون ما يمتلكونه بالضبط . وفى اليابان كان هناك تضارب شديد بين التزام الحكومة بدفع رواتب رجال الساموراى ثم التخلى عن ذلك الالتزام المالى . وكانت هناك حملات مبكرة معادية للبوذية ، وقامت تلك الحملات بتجريد المعابد من أراضيها .

كان الرجل اليابانى العادى هو الفائز الحقيقى من كل تلك التغيرات . واتخذ من السخط صورة مظاهرات . وتجسدت أمال الشعب فى غد أفضل فيما يسمى بحركة « اى جا ناى كا » Ee Ja Nai Ka عام ١٨٦٧ . ولم تتحقق أمال الشعب فى التخفف من الأعباء التى كانوا ينوءون بحملها فى السنوات الأولى من عصر الميجى . كما أن برنامج المساواة فى الضرائب الذى صاحب الاصلاح الضريبى الخاص بالأراضى قد أثقل كاهل كثيرين من دافعى الضرائب فى مناطق متفرقة من اليابان . ورغم كل ذلك فقد حقق النظام الجديد مزايا كثيرة للشعب ، وكانت هناك فرص التعليم والمساواة بين الناس فى ظل القانون ، وحرية الحركة ومزاولة العمل . وقد حاول كثيرون ابراز النواحى السلبية لذلك النظام مثل ضياع الأخلاق والأمان فى المجتمع تحت وطأة الرغبات الرأسمالية

التى تحض على التملك • ولكن يمكن الرد على ذلك بأنه ما كان لمجتمع أن يتقدم لو أبقى على التقاليد القديمة التى عرفتها القرية كما هى دون أن يضع أى برنامج للتغيير • كما أن اتاحة كل تلك الفرص أمام الفرد ، رغم النظام الخشن لقوى السوق . قد أفاد الأجيال التى جاءت بعد ذلك •

ويصعب القول بأن طبقة الساموراى قد استفادت كثيرا من ذلك النظام • رغم أن كثيرين منهم قد شغلوا وظائف ادارية ، كما أصبح أولئك الذين تولوا مناصب حكومية هم قادة اليابان الحديثة • ورغم أن السنوات التاليه قد تميزت بتباطؤ المجموعات الاقليمية فى اعـلان ولائهـا الا أن النجاح الفردى لم يكتسب عن طريق الدعوات وحدها • وانتشر الفقر بين الطبقة التى حصلت على رتبة شيزوكو بعد أن عرفت البلاد نظام استبدال الرواتب بنظام المعاش عام ١٨٧٨ • ورغم شكوى النظام الجديد من جحود طبقة الساموراى ، فقد عملت الحكومة على غرس أخلاقيات تلك الطبقة فى عقول اليابانيين ، وذلك من خـلال المناهج التعليمية والقوانين الأسرية والتجنيد الاجبارى ، وعملت طبقة الأشراف الجديدة على جعل الألقاب التى يحملها أفراد طبقة الساموراى الحاصلة على رتبة الشيزوكو تفقد بريقها • وبنهاية الثمانينات . باتت عبارات مثل ايكوكى نو شى aikoku no shi تعـنى (الرجـال الوطنيـون) وليس رجـال السـاموراى الحاصلين على رتبـة شيزوكو • وبعـد مضى عشرات السنين ، أصبح هاراكاى ، الذى كان من كبار رجال الساموراى والشيزوكو ، رجلا من العـامة •

لم تعش طبقة الأشراف الجديدة فى بحبوحة من العيش ، وعاش السادة الاقطاعيون فى ترف بمقتضى التسويات التى أبرمت معهم لتوفير معاشات لهم ، فأصبحوا أعضاء أثرياء فى النظام الحكومى الجديد ، فى الوقت الذى كثر فيه الفقراء من الأشراف • أما طبقة النبلاء بالبلاط فى كيوتو Kyoto ، فلقد اضطروا لمغادرتها الى طوكيو ولعل حالتهم تحسنت قليلا • وحقق قليلون منهم نفوذا سياسيا حقيقيا بعد عودة النظام الى تمسكه بتقاليد الماضى • ومن أمثال أولئك ايواكورا Iwakura وسانجو Sanjo وسيانوجى Saionji •

ويمكن أن يقال نفس الشىء عن الأقاليم ، فلم تحصل مراكز الاصلاح على كثير من الاصلاح • وبينما حقق رجال مقاطعتى ساتسـوما وتشوشو كثيرا من النجاح ، تضاءلت الأهمية الاقتصـادية لغيرها مثل كاجوشيما Kagoshima وياماجوتشى Yamaguchi وكوتشى Kochi فى اليابان الجديدة • وبعد الغاء نظام الاقطاعيات عام ١٨٧١ ، تم تعيين أول محافظ لمنطقة يماجوتشى ، وكان من أتباع طوكوجاوا الاقطاعيين • وقد تركزت

سياسات التحديث على الأراضى التى كانت تابعة لطوكوجاوا فى كانساى Kansai وكانتو Kanto وطوكيو ٠

من الخطأ أن نعتبر طوكوجاوا وأهله من الخاسرين ، فرغم أنه قد اقصى من منصبه وأجبر على التقاعد الا أنه بعد بضع عقود استقبله الامبراطور ، رأس الأسرة ، وأثنى على ولائه ٠ وبعد أن قامت احدى الصحف باستطلاع رأى القراء فيمن يختارونه ليكون رئيسا للوزراء عام ١٨٩٠ ، كشف استطلاع الرأى فى يوشنوبو عن اختيار ايتاجاكى تايسوكه Itagaki Taisuke ، وكان أفراد عائلة طوكوجاوا على رأس طبقة الأشراف الجديدة ٠

توضح هذه اللوحة التى رسمناها ما تتسم به فترة الاصلاح من ملامح جذابة وصعوبات تميزها عن غيرها من فترات التاريخ اليابانى ٠ ولكن كلما اتسع المنظور وكلما أمعنا فى أحوال المجتمعات السائرة على درب التقدم ، التى تضفى دراستها عمقا نسبيا لأحكام المؤرخين ، سيصبح بوسعنا أن نرقى بأحكامنا التى طالما ركنا فيها الى الأهواء السياسية الحديثة والمعاصرة وأن نضفى عليها المزيد من الدقة ٠

ثورة الميجى ومسايرة اليابان لطابع العصر

بقلم

كوابارا تاكيو Kuwabara Takeo

جامعة كيوتو

كيوتو ــ اليابان

اختلفت عن غيرى من الكتاب المشهورين الذين ساهموا بالكتابة فى هذا المرجع • فأنا لست متخصصا فى تاريخ اليابان الحديث ، بل أنا مجرد هاو ، فلم أتعمق فى دراسة تاريخ اليابان ، حيث تخصصت فى دراسة الأدب والثقافة الفرنسية • ولكن لدى اعتقاد راسخ فى ضرورة التعاون بين المتخصصين والهواة فى عالم المعرفة • فمع زيادة الميل نحو التخصص فى مجال الأبحاث العلمية ، لابد من وجود غير المتخصص ــ الذى قد لا يساهم فى مجال العلوم التجريبية الدقيقة ، ولكن لابد من اسهامة فى مجال العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية التى تتطلب دراستها اتباع منهج البحث العلمى الشامل • وأنا لا أشعر بالرضا عن النظريات المتعلقة بالاصلاح الميجى اشن التى انتشرت بين اليابانيين فى الفترة التى تلت الحرب • وقد لا يكون هذا الكتاب هو المكان المناسب لسرد تجاربى الشخصية ، ولكننى أصر على سرد هذه التجارب حتى أوضح آرائى المتعلقة بالاصلاح •

لقد ذهبت الى فرنسا للدراسة قبل نشوب الحرب العالمية الثانية • وأنا أتذكر مقدار دهشتى عندما سمعت بعض الناس ، أمثال « أندرية جيد » و « أندرية مالرو » ينتقدون النزعة العسكرية فى اليابان ، ولكنهم يمتدحون الاصلاح الميجى فى الوقت ذاته • وبعد انتهاء الحرب ، آكد

المؤرخون التقدميون اليابانيون على النظرية القائلة بأن الاصلاح الميجى اشن كان ثورة فاشلة وأنه لم يكن سوى انتقال للسلطة من يد الحاكم العسكرى Shogun الى يد الامبراطور ، وأن اليابان ظلت دولة اقطاعية يحكمها نظام امبراطورى شمولى حتى هزيمتها عام ١٩٤٥ · ولكننى لا أوافق على ذلك النفسير ، فان ظهور رجال عظام أمثال عالم البكتريا كيتزاتو شيباسابور (١٨٥٣ ـ ١٩٣١) ، وعالم الفيزياء ناجاوكا هانتارو (١٨٦٥ ـ ١٩٥٠) ، وكتاب القصة الكبار ، أمثال مورى أوجاوى (١٨٦٢ ـ ١٩٢٢) وناتسوم سوسيكى (١٨٦٧ ـ ١٩١٦) ، خير دليل على التغيير الاجتماعى الكبير الذى شهدته فترة الميجى ·

لقد جبت بأنحاء الاتحاد السوفيتى والصين عام ١٩٥٥ لمعاينة الوضع الأكاديمى ، ولمست مقدار ما يكنه العلماء هناك من اعجاب لتلك الحركة · كما اكتشفت أن المؤرخين التقدميين ـ الذين يزورون اليابان ـ لا يفهمون التصريحات التى يدلى بها المؤرخون الماركسيون باليابان فى بعض الأحيان ·

ورغم ذلك الوضع ، فلم تقع أذنى على أى نقد من أعضاء الجاليات الثقافية الأخرى باليابان · ونشرت مقالا قصيرا بعنوان « اعادة تقييم الميجى » فى عدد أول يناير سنة ١٩٥٦ بجريدة أساشى شيمبون Asashi Shimbun ، ذكرت فيه أن الاصلاح الميجى كان ثورة برجوازية لدولة غير متقدمة ، وأنه يجب أن ننظر اليه على انه انجاز عظيم للشعب اليابانى ، وان رغبة ذلك الشعب فى تحقيق الاستقلال والنهوض بالبلاد تستحق منا المديح والثناء · ولم أقم بنشر أية أبحاث نظرية أخرى عنها منذ ذلك الحين ، ولكننى عبرت عن آرائى فى مجلات استطلاع الرأى وفى المحاضرات · ويميل المؤرخون اليابانيون ـ الذين يستلهمون روح الفكر الماركسى ـ الى تقديس الغرب ، وهم يسعون الى تقديم نموذج مثالى أوروبى للشعب اليابانى · وقد بذل اليابانيون الكثير من الجهد للحفاظ على استقلالهم فى ظل ظروف صعبة للغاية ، أثناء فترة الميجى ، لذلك فهم يستحقون منا كل تقدير ·

طرحت أفكارى الخاصة بالثقافة المعاصرة فى اليابان فى صورة سلسلة من المقالات باللغة الانجليزية ، ونشرت مطبعة طوكيو تلك المقالات فى مجلد تحت عنوان « اليابان والحضارة الغربية » ، وناقشت الموضوع الذى نحن بصدده بأحد تلك المقالات تحت عنوان « ثورة الميجى والروح القومية » Meiji Revolution and Nationalism

دعونى أقدم تعريفى الحالى لعبارة الميجى اشن ، ولتترجموها بما يعن لكم من أسماء · وان لم تستطع أفكارى عمل شىء ، فيكفى هذه الأفكار أنها فتحت باب المناقشة فى هذا الموضوع الذى نحن بصدده ·

وأنا أرى الميجى اشن على النحو التالى : استطاع الشعب اليابانى ـ الذى قطع كل سبل الاتصال بالعالم الخارجى ، وحافظ على استقلاله عن طريق العزلة القومية ـ خلق ونشر ثقافة عالية فى جميع أرجاء البلاد طوال ٢٥٠ سنة عاشتها البلاد فى سلام ٠ وأدرك الشعب اليابانى أن العلاقات بين القوى الدولية كانت تقتضى ضرورة انفتاح البلاد فى منتصف القرن التاسع عشر ٠ لذا عمل على ادخال الحضـارة الغربيـة الى البلاد طواعيـة ٠ وكانت الميجى اشن ثـورة ثقافيـة تهدف الى خلق دولة.

دعونى أتناول ذلك بمزيد من الشرح ٠ فالفترة التى عاشتها اليابان فى سلام طوال ٢٥٠ سنة كانت لهـا أهمية كبيرة ، ولا يعرف تاريخ الشعوب الأخرى مثالا آخر مشابها لهـا ٠ وأنا أستمد فكرة « الثقافة العالمية » من وصف قدمه جورج ب٠ سانسم George B. Sansom فى كتاب « العالم الغربى واليابان » ، حيث يقول « ان المجتمع الأوربى لم يكن أكثر تحضرا من اليابان آنذاك » ٠ ولم تكن ثقافة اليابان مقصورة على فئة معينة دون غيرها ، بل كانت ثقافة عامة يتقاسمها الشعب كله ٠ لذلك اختلفت تلك الثقافة اليابانيـة عن الثقافـة الفرنسية التى كانت مقصورة على عدد قليل من الارستقراطيين فى قصر فرساى ٠ ولا يجب أن نغض النظر عن أهمية كلمة « طواعية » ، فهذه الكلمة تؤكد على حقيقة هامة ، وهى أن اليابان لم تكن مستعمرة ، بل كانت دولة مستقلة ٠ وقد لا يوافق البعض على اسـتخدامى لمصطلح « ثـورة » فيما يتعلق بالميجى اشن ٠ وينعين على أولئك الذين يسعون لاحداث الثورة اليوم ، أن يرفضوا فكرة أن تـكون الميجى اشن مجـرد ثـورة ، وينبع رفضهم من ضرورة استراتيجية بحتة ٠ ولكن ان كانت الثورة تعنى تغيرا اجتماعيا شاملا ، فانى لا أجد كلمة أخرى أصلح من كلمة « ثورة » يمكن استخدامها ٠ ويقول تومـاس ٠س٠ سميث C. Smith Thomas انـه يعتقد « أن السنوات العشر العجاف التى شهدتهـا الميجى اشن تمثل تغيرا اجتماعيا فى اليابان يفوق التغيير الذى أحدثته الثورة الفرنسـية عام ١٧٨٩ » (١) ٠ وأعتقد أنه من السخف تحاشى استخدام مصطلح « ثورة » فيما يتعلق بالميجى اشن ، ثم استخدامها دون تدقيق فى مواضع أخرى ، كأن نستخدمها عند مناقشة ثورة يوليو بفرنسا (١٨٣٠) أو ثورة فبراير (١٨٤٨) ، ان الثـورة لم تكن السبب فى مصرع الشوجون ، ويرجع ذلك الى رجاحة عقل اليابانين وحكمتهم ٠ ولا ينبغى علينا أن ننظر الى الثورة على أنها لا تستحق هذا الاسم لأنها لم تعرف اراقة الدماء الا بقدر ضئيل ٠

وليس هناك ما يدعو الى الجدل حـول الطبيعة البرجوازية لثورة الميجى ٠ ولقد نعتها ذات يوم بثورة بورجوازية من الثورات المعهودة فى

المجتمعات المتخلفة • ولكنى قررت عدم الاعتماد على تلك المصطلحات • ان الميجى اشن تنطوى على أوجه لا يمكن تفسيرها وفقا للنظرية الماركسية التى تنـادى بتطور التاريخ عبر مراحل تؤدى الى الماركسية • كما أنه لا يوجد ما يدعو الى الانقياد وراء تلك النظرية دون تبصر . وانما أفضل أن أطلق عليها ثورة ثقافية نابعة من نعرة قومية • واذا قلنا بأنها لم تمثل سوى انتقال السلطة من نظام الى نظام آخر – أى أننا لم ننظر اليها الا من الناحية السياسية فقط – فلن نحسم قضايا كثيرة • ولن يفسر لنا ذلك سبب فوز « انووكواشى » باحترام ناكاى تشومين (١٨٤٧ – ١٩٠١) • وكان انووكواشى أحد الشخصيات القيـادية البارزة فى حكومة الميجى المركزية ، وقام بسحق الحركات الشعبية التى طالبت بالحقوق ، وأصدر قرارا فى ١٨٨١ ، وعد فيه بانشاء جمعية وطنية بعد تسع سنوات ، وساهم فى وضع دستور الميجى ولائحة التعليم • وتساءلت عن السبب الذى يجعل مثل ذلك الرجل ينـال الحظوة لدى تشومين ، ولكنى لم أجد الاجابة على ذلك التساؤل • واذا كان تشومين يهـدف الى الأخذ بيد اليابان . لتصبح دولة قـوية مثل دول أوربا ، فلم يكن أنوو بالرجل الرجعى ، بل كان يرمى الى النهوض باليابان وجعلها تساير طابع العصر • واستمر فيكيوزاوا يكوتشى يحاضر فى الجامعة أثناء القلاقل التى شهدتها البلاد أثناء حكم الميجى اشن • وهذا خير دليل على أنها قد أكدت على أهمية الدور الذى لعبته حركة التنوير فى حياة اليابانيين • وقد رفع ذلك الرجل شعار datsu A nyu-O ، ويعنى لننفصل عن آسيا ولننضم الى القوى الأوربية • ويسهل علينا فهم ذلك الشعار اذا أدخلناه ضمن السياق الثقافى للثورة •

ماذا حققت الميجى اشن ؟ لقد خلقت دولة مركزيـة تهـدف الى الاسـتقلال والازدهار ودعم الجيش الوطنى ، على أن يبقى الامبراطور على رأس ذلك الجيش • وحقيقة الأمر أن الامبراطور لم يكن حاكما مطلقا • وقد أطلق قادة الحركة على الامبراطور الذى عملوا على استعادته لسلطته وبسط نفوذه ، اسـم جيوكو gyoku ، وهى تسمية شبيهة بالاسم الذى يطلق على الملك فى لعبة شوجى Shogi المعروفة فى اليابان ، وهى لعبة تشـبه الشطرنج • ولم ينظر أولئك القـادة الى الامبراطور على أنه يستمد قوته من الذاته الالهية ، بل نظروا اليه على اعتبار أنه شخصية يمكن التحكم فيها ، والاستفادة منها لصالحهم • وأنا أعتقد فى ضرورة تقسم « الدور الفعال » الذى يقوم به الامبراطور ، وذلك لما ساهم به لجعل اليابان تسـاير طابع العصر • فهو ليس مجرد قيمة اسمية تستمد منه مؤسسات الدولة قوتها • وكان للدولة الجديدة طابعا عسكريا منذ البداية • واذا كان عدوان اليابان على الدول الأخرى أمرا يدعو للرثاء ،

الا أننا لا يجب أن ننسى أننا نقوم بتحليل الموضوع تحليلا موضوعيا ،
وأن الدول المتقدمة بالغرب تدخل ضمن نطاق ذلك الموضوع ، وأن هناك
دولا متقدمة كثيرة فى آسيا وأفريقيا وجنوب أمريكا يسيطر العسكريون
على مقاليـــد الحكم فيها • ويمكن أن نعزو سبب سيطرة العسكريين على
مقاليد الحكم فى اليابان الى الأسباب التالية : (١) التقاليد القديمة المتطرفة
التى عرفتها البلاد ، حيث سيطرت طبقة المحاربين على مقاليد الحكم (٢)
تأثير افكار بعض الرجال أمثال : يوشيدا شوين ، وهوندا توشياكى ،
وتاكنو تشواى ، الذين كانوا على اقتناع بأن اليابان فى حاجة الى مراكز
لها عبر البحار للذود عنها ضـــد أى عدوان تقوم به القوى الغربية •
(٣) ازدياد خوف اليابان من القوى الغربية ، وظل ذلك الخوف يسيطر
على عقول اليابانيين حتى نهاية حكم طوكوجاوا • وقد بلغ ذلك الخوف
درجة يصعب علينا فهمها اليوم •

نجحت اليابان فى مسايرة طابع العصر بسرعة لم تعهدهـا دولة
أخرى فى التاريخ • وسواء انطوى ذلك على الخير أم الشر ، فهذه قضية
لا تفيدنا • وأود أن أذكر ست نقاط تستخدم فى اختبار مدى النجاح
الذى حققته البلاد فى مسايرة طابع العصر • وقد وضعت قائمة تتضمن
تلك النقاط عام ١٩٥٧ ، كمحاولة من جانبى للتحقق من القدر الذى حققته
اليابان من تقدم • وهذه النقاط هى : (١) حكومة ديموقراطية (٢) اقتصاد
رأسمالى (٣) اعتماد الصناعة على انتاج المصانع (٤) نظام وطنى للتعليم
الاجبارى (٥) اقامة قوة عسكرية وطنية (٦) تحرير عقل المواطن من سيطرة
النظام الشمولى (أى اطلاق حرية الفرد ، والتحرر من قيود التقاليد) •

والآن أود أن أتناول خمس نقاط منها بشىء من التعليق •

١ ـ قد يثير البعض كثير من الجدل حول تعريف الديموقراطية ،
ولكنى أرى أن الحكومة الديموقراطية هى الحكومة التى لا تخضع لحكم
الفرد ، ولا تضم بين صفوفها الارستقراطيين أو الأشخاص الذين يتمتعون
بمزايا خاصة • ولذلك فلنا أن نعتبر الدول الاشتراكية كالاتحاد السوفيتى
(سابقا) والصين دولا ديموقراطية • ومن الناحية السياسية ، لم يكن
بالامكان وصف ليابان بأنها دولة ديموقراطية حتى عام ١٩٤٥ • وعلينا أن
نتذكر دائما أن اليابان سبقت دول الغرب المتقدمة حينما قامت بالغاء الطبقات
الاجتماعية الغاء شاملا • وقد بدأت فى صبغ المجتمع بالصبغة الديموقراطية
وتطبيق مبادىء المساواة على كافة قطاعات الشعب عقب الحرب العالمية
الثانية • ولكن لا يمكننـــا القول بأن اليـــابان قد حققت قدرا كبيرا من
الديموقراطية أثناء فترة الميجى •

٢ ـ عمدت هنا الى ادراج رأسمالية الدولة State Capitalism

التى تتمثل فى نظام كالاتحاد السوفيتى فى فئة الرأسمالية • ففى اليابان لم تنشأ الرأسمالية من المستويات الدنيا ، كما هو الحال فى انجلترا مثلا ، بل أن حكومة الميجى قد أفرختها ، وقد يعد ذلك نقطة ضعف ولكن لم يكن هناك بديل آخر أمام بلد نام •

٤ ـ عرفت انجلترا نظام التعليم الاجبارى عام ١٨٧٠ ، واليابان عام ١٨٧٢ ، وفرنسا عام ١٨٨٢ ، والولايات المتحدة عام ١٩١٨ ، وألمانيا عام ١٩١٩ • وفى اليابان اشتهرت نظم التعليم الاجبارى بتطبيق مبدأ المساواة ، لذلك فهى تختلف عن نظم التعليم البريطانية • ففى انجلترا ، هناك مدارس للفقراء وأخرى للأثرياء •

٥ ـ نجحت اليابان فى النهوض بالنظام العسكرى • واعتمد ذلك النظام العسكرى على مبدأ المســـاواة أكثر من النظم العسكرية بالدول المتقدمة بالغرب آنذاك •

٦ ـ أما فيما يتعلق بتحرير عقل المواطن من ســـيطرة النظـام الشمولى ، فلا يمكن أن نزعم أن اليابان حققت قدرا كبيرا من النجاح أثناء فترة حكم الميجى • وفى الوقت الذى نعتبر فيه أن اطلاق حرية الفرد هى المحك الذى يعيننا فى التعرف على مقدار ما حققته البـلاد من تقدم ، فلا يمكن اعتبار هذه الحرية هى الهدف الذى تسعى اليه الدول المتخلفة التى تحاول أن تلحق بركب التقدم • وعندما يرتفع مستوى المعيشة ، يزداد ادراك الفرد لذاته واعتداده بنفسه ، وذلك عن طريق تطوير التعليم ونظم التصنيع • ورغم أن أوربا عرفت مفهوم الحرية الفردية منذ عصور سحيقة ، فانها لم تطلق حرية الفرد الا بعد عهود التوسع والوفرة التى حققتها بلدانها • ويستحيل اطلاق حرية الفرد دون البدء بعملية النهوض بالبلاد وجعلها تساير طابع العصر •

يتضح لنا من ذلك أن اليابان نجحت فى مسايرة طابع العصر أثناء فترة حكم الميجى ، فقد نجحت فى احراز أربع نقاط من النقاط الست (ما عدا نقطة ١ ، ٦) التى وضعت لقياس مدى نجاح الأمة فى النهوض ومسايرة طابع العصر • ولكن كيف استطاعت اليابان التى تقف بمفردها بعيدا عن الغرب كثيرا لتطوير نفسها ؟

هناك عوامل متداخلة كثيرة ساعدت على ذلك • وهذه العوامل هى : (١) الظروف الجغرافية (٢) الاستقلال القومى (٣) استقرار المجتمع ، ويرجع الفضـــل فى ذلك الى التجانس العرقى والعزلة القومية الطويلة (٤) نظام اقطاعى متطور (٥) ٢٥٠ سنة عاشتها اليابان فى سلام (٦) نشر التعليم (٧) الوحدة القومية (٨) انعدام « النزعة الفلسفية » (٩) القدرة على مع الظروف (١٠) انعدام تأثير الدين (١١) الغاء الطبقات الاجتماعية •

وليست هذه القائمة مستوفاة ، ولا يهم ترتيب النقاط الست بها ، فهى مرتبة ترتيبا عشوائيا · فكل نقطة منها تمثل قضية هامة تستحق البحث والدراسة · وسوف أعلق على كل نقطة منها بايجاز ·

١ ـ كانت اليابان دولة بعيدة جدا عندما انطلق الغرب يخضع دول العالم لسيطرته · واليابان عبارة عن جزر لا يربطها بقارة آسيا سوى بوغاز كوريا · وهذا البوغاز عريض ، فلا يمكن للمرء السباحة فيه · فكان من السهل على اليابان اتباع سياسة العزلة ·

٢ ـ ترتبط النقطة الثانية بالنقطة الأولى · فاليابان واحدة من الدول القليلة التى لم تتعرض للغزو من جانب شعب آخر ، وهى مثال نادر من أمثلة الشعوب التى لم تتعرض للاستعمار الأجنبى قط · وتختلف ثورة الميجى عن الثورات التى يقوم بها الناس فى الدول الخاضعة للاستعمار ، فهى ثورة داخلية وثقافية · ورغم التقاليد المحافظة ، فقد اختفت عناصر الرفض الشامل للعلم · وحتى مؤسس دراسات الفولكلور اليابانى ـ ياناجيتا كونيو Yanagita Kunio ـ كان عالما متنورا يحترم الفكر العلمى ·

٣ ـ تتناول هذه النقطة والنقاط التى تليها الأحوال التى نتجت عن العزلة القومية · وما يزال العلماء يختلفون حول تقييم سياسة العزلة · فرغم أن تلك العزلة لم تخدم مصلحة اليابان من حيث انها جعلت اليابان تتخلف عن الركب ، الا أنها حافظت على ثقافة اليابان الفريدة التى ازدهرت فى ظل تلك العزلة · وقد يثير البعض الشك حول التجانس العرقى لليابانيين ، ولكننى لا أتحدث عن فترات جومون Jomon أو فترات يايوى Yayoi ، وانما أتحدث عن اليابان منذ مطلع القرن السابع عشر وحتى الآن · وأنا أشارك نايتو كونان Naito Konan اعتقادة بأن دراسة اليابان الحديثة لا تقتضى العودة للوراء الى ما قبل حروب اونين Onin (١٤٦٧ ـ ١٤٧٧) ·

٤ ـ المؤسسات الاقطاعية لا تساير طابع العصر الحديث · ولكن الاقطاع مرحلة لابد للبلاد أن تجتازها حتى يمكن لها النهوض ، ومسايرة طابع العصر · وأعتقد أن اليابان خير مثال على ذلك · عرف حكم طوكوجاوا نظام تقسيم العمل والنظام البيروقراطى ، وعرفت دول قليلة أخرى أنظمة مشابهة للنظام الاقطاعى ·

٥ ـ لم تعرف دولة أخرى ٢٥٠ سنة من السلام · وسمحت تلك الفترة الطويلة لليابان أن تنهض بثقافتها ، وتصل بها الى مستوى رفيع جدا ، رغم فترة الركود التى عانتها ·

٦ ـ أثناء فترة السلام الممتدة التى عاشتها البلاد ، أصبحت الـ : تيراكويا Terakoya شكلا من أشكال التعليم الشعبى • وأنا أنصح بالرجوع الى كتاب « التعليم فى عهد طوكوجاوا » للبروفسير رونالد دور Ronald Dore لمن يريد قراءة المزيد عن هذا الموضوع • وأثناء الميجى اشن كانت نسبة من يعرفون القراءة والكتـابة هى ٤٣ بالمـائة للرجال و ١٥ بالمائة للنساء • ولا توجد احصائيات تتعلق بنسبة من كانوا يعرفون القراءة والكتابة فى فرنسا عندما قامت الثورة بهـا • ويقال ان نسبة الرجال الذين كانوا يقدرون على توقيع عقود الزواج هى ٤٧ بالمـائة ، وكانت نسبة القراء ٢٧ بالمائة • وكانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة منخفضة عن هذه الأرقام • وعند قيام الثورة فى روسيا والصين ، كانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة ١٥ بالمائة فى البلدين • أما فى الهند فكانت النسبة ١٠ بالمائة وقت حصولها على الاستقلال • وأعتقد أنى أول من أكد على قضية معرفة القراءة والكتابة عند دراسة الثورة •

٧ ـ أما فيما يتعلق بالدول الأوربية ، فكانت فرنسا دولة متحدة ، ولكن طرق الزراعة وأنظمة القانون اختلفت فى شمال البلاد عنهـا فى الجنوب وقت قيام الثورة الفرنسية • وعرعت اليابان الوحدة الوطنية أثناء فترة الميجى اشن • وكان اليابانيون يتحدثون لغة واحدة ، مما دعم تلك الوحدة •

٨ ـ يقول ناكاى تشومين ان اليابان لم تعرف الفلسفة منذ عصورها الأولى وحتى الآن • وربما كان مبعث هذا الاعتقاد هو أن الصراع المدنى انخفض الى أدنى حد له فى اليابان ، رغم الحروب المدنية الطويلة فى فترة حكم سينجوكو Sengoku (فى القرن الخامس عشر والسادس عشر) • ونعمت البلاد بفترة من الاستقرار أثناء حكم طوكوجاوا ، فلم يكن هناك ما يدعو الى الصراع الايديولوجى • وعرف اليابانيون برقة المشاعر منذ عصور سحيقة ، ولكنهم لم يميلوا الى التفكير المجرد أو التصورات النظرية • لذا اختفى المنطق الذى عرفه الأوربيون من حياة الشعب اليابانى •

والآن دعونى أقدم فقرة من كتاب تشومين Chomin بعنـوان ايتشنين يوهان Ichinen Yuhan :

عند مقـارنة الشعب اليابانى بالشعوب الأخرى ، نجد أنه تتوافر لليابانيين القدرة على فهم كيفية عمل الأشياء ، كما تتوافر لديهم القدرة على التغيير لمسايرة الزمن ، بدلا من التمسك بالأمور السابقـة • لذلك لم يعرف اليابانيون الحروب الدينية المأساوية التى يفيض بها تاريخ الغرب ، دون أن يكون هناك سبب قومى لقيامها • ونهضت اليابان أثناء الميجى اشن بعد أن تطاحن أبناؤها بالسيوف ، وان لم ترق دماء غزيرة • ولقد تنازل

ثلثمائة سيد اقطاعى عن أراضيهم ونفوذهم للامبراطور عن طيب خاطر . وقد أمكنهم اتخاذ تلك الخطوة لأنهم لم يتشبسوا بالعناد . وساعدهم ذلك عندما تحولوا عن سلوكهم التقليدى فجأة ، واتبعوا العادات والسلوك الأوربى ، دون أن يظهروا أى تعلق بالماضى . ولكن تلك السلاسة الخلفية قد انقلبت أحيانا الى رعونة أو تدبذب أو عدم قدرة على اتخاذ قرار . وأدى ذلك الانحراف فى المزاج الى انعدام وجود الفلسفة أو أية مبادىء سياسية ، كما أدى الى عدم بقاء الصراع السياسى فترات طويلة من الزمن. ويعرف اليابانيون بالدهاء والمهارة ، ولكنهم لم يخلقوا للاتيان بالأعمال العظيمة . وهم عمليون ، ولا يمكنهم تخطى حدود الفطرة (٢) .

وقد يكون تشومين قاسيا فى حكمه على اليابانيين . ولكن هذه الفقرة التى أوردها تصلح كمادة لمناقشة قضية الثقافة اليابانية . ولن أخوض فى مزيد من التفاصيل ، ولكن تبقى لى كلمة ، وهى أن صفة العناد التى اتسمت بها الشخصية اليابانية مرتبطة بقدر اليابانى على التكيف مع الظروف ، التى سنشير اليها فيما بعد .

٩ ـ يؤكد البروفسير ساكوتا كيتشى Sakuta Keuchi ، أحد علماء الاجتماع ، على وجود تقاليد عريقة عرفها المجتمع اليابانى . وتحض تلك التقاليد على « تقبل كافة الظروف التى تفرض على المرء ، وتحض على تقبل المواقف المختلفة التى يجد الانسان نفسه فيها » . وهذا هو ما يعرف بالتكيف مع الظروف .

وتخلى رجال شيشى عن شعار : بجل الامبراطور ! واطرد البرابرة ! ، وأصبحوا يؤيدون فتح الموانىء أثناء فترة حكم باكيوماتسو Bakumatsu فقد عرف عن اليابانيين نزعتهم القوية الى تغيير آرائهم لتتماشى مع المواقف المختلفة . وقد يبدو اليابانيون فى صورة من ليس لهم مبادىء يتمسكون بها ، ولكنى أعتقد أن سرعة تكيفهم مع الظروف المحيطة بهم قد ساعدتهم على التقدم بسرعة مذهلة فى مجالات التصنيع ، وجعلتهم ينبذون روح المحافظة التى عرفها المجتمع الزراعى القديم .

١٠ ـ تجنبت اليابان المواجهات الدينية ، وان عرفت الحروب الدينية فى العصور الوسطى . كما عرفت أساليب المواجهة عندما كان حاكم الأقليم يطرد حاكما آخر ويستمولى على أرضه . وناوءت الحكومة الديانة المسيحية أثناء حكم طوكوجاوا ، وأخضعت المذاهب البوذية لسلطتها . ولذلك لم تقف القوة الدينية وراء من كانوا يتمسكون بالتقاليد القديمة ، أو من كانوا يحافظون على الفكر القديم حين قاوموا جهود الحكومة للنهوض بالبلاد ومسايرتها لطابع العصر . ومن ثم نجد أن اليابان تختلف عن الدول الأخرى بقارة آسيا فى النواحى الدينية .

١١ ـ نجحت اليابان فى الغاء نظام الطبقات برمته بصورة أكثر من أية دولة أخرى ، فما زلنا نرى آثار تلك الطبقات فى عدة صور مختلفة فى الدول المتقدمة كانجلترا وفرنسا ٠ وكانت الميجى اشن ثورة حقة ، فقد جعلت المجتمع أكثر ديناميكية ، وشجعت على بعث الروح القومية ٠

وهناك عدة نقاط اخرى يجب علينا تذكرها ، مثل الدأب لدى اليابانيين ، أو ما يعرف بـ "Kinben" ٠ وكتفى بهذا لتقديم خلاصة موجزة لعهد الميجى اشن الذى يعد نقطة البداية لانطلاق المجتمع اليابانى نحو التقدم ٠

مراجـــع وملاحظـــات :

١ ـ Thomas C. Smith, "Japan's Aristocratic Revolution. Yale Review, Spring 1967; Jean-Pierre Lehmann, The Roots of Modern Japan (st. Martin's Press, New York, 1982), p. 154.

٢ ـ اقتبست مع القليل من التحوير من :

Kuwabra Takeo, Japan and Western Civilization. (University of Tokyo Press, Tokyo, 1983), pp. 80-81.

الاستقلال ومسايرة طابع العصر فى القرن التاسع عشر

بقلم
توياما شيجيكى Toyama Shigcki
ادارة السجلات التاريخية ـ يوكوهاما
اليابان

خطر الوقوع فى براثن الاستعمار :

فى منتصف القرن التاسع عشر ، كانت اليابان تخشى خطر الوقوع فى براثن الاستعمار الغربى شأنها فى ذلك شأن بقية دول آسيا . ففى عهد طوكوجاوا جاءت نهاية العزلة القومية التى فرضتها اليابان على نفسها طوال ما يزيد على قرنين من الزمان ، بعد أن استخدمت انجلترا وأمريكا دبلوماسية البوارج الحربية . وفى عام ١٨٥٨ عقدت اليابان معاهدات تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا وروسيا وانجلترا وفرنسا (معاهدات أنسى Ansei) . وكانت تلك المعاهدات غير عادلة ، فجعلت اليابان فى مرتبة أقل من الدول التى عقدت معهـا المعـاهدات . وبذلك تشابهت تلك المعاهدات مع معاهدات تيانتسن Tientsin ، التى عقدتها الصين مع انجلترا ، وبقية الدول الغربية .

فى اليابان وقعت مصادمات عسكرية بين الحكام الاقطاعيين والقوى الغربية ، مثلها فى ذلك مثل بقية دول آسيا . ففى عام ١٨٦٣ ، هاجم اسطول بريطانى صغير اقطاعية ساتسوما . وفى عام ١٨٦٤ اشتركت قـوات بريطانيـة وفرنسية وهولندية وأمريكية فى الهجوم على اقطاعية تشوشو . وبرهنت هاتان الحادثتان على أن السلاح الغربى يفوق الدفاعات اليابانية بكثير . وفى الفترة من عام ١٨٦٣ وعام ١٨٧٥ ، ظلت القوات

البريطانية والفرنسية متمركزة فى يوكوهاما لحماية أرواح الأجانب ٠ واضطر الشوجون وحكام ٣٧ اقطاعية أخرى الى استخدام الأرز والحرير الخام ومنتجات أخرى كضمان للحصول على القروض الأجنبية التى بلغت قيمتها ١٠ ملايين ، بفوائد مرتفعة جدا ، واستخدمت تلك القروض فى الانفاق على تحديث القوة العسكرية فى اليابان ٠ وكانت تلك القروض توازى ربع الجزية السنوية التى تدفعها الاقطاعيات والأراضى الخاضعة للحاكم العسكرى ٠

وكانت اليابان تخشى الوقوع فى براثن الاستعمار بسبب ضعف قوتها العسكرية ، ولكنها نجت من ذلك المصير بفضل عدة عوامل خارجية وأخرى داخلية ٠ ومن أجل مزيد من الايضاح ، ساتعرض لمناقشة هذه العوامل وتلك ، كلا على حده ٠

العوامل الدولية :

لم تتعرض اليابان للأخطار التى تعرضت لهـــا الدول الآسيوية الأخرى ٠ فقد عانت تلك الدول ــ وعلى رأسها الصين ــ من ضغوط القوى الغربية ٠ كما اختلفت اليابان عن تلك الدول فى ثلاث نواح ٠

أولا : جاءت مهمة الكومادور ماثيو بيرى Commodore Mathew Perry التى كلف بها لفتح اليابان بعد مضى عشر ســـنوات على حرب الأفيون (١٨٣٩ ــ ١٨٤٢) ٠ وكان القادة الاقطاعيون يعرفون أن الهزيمة قد لحقت بالصين ، فتبهوا الى مقدار تعرض اليابان لخطر التهديد الأجنبى ، وقاموا ببعض الاستعدادات لتحاشى التعرض لذلك الخطر ٠

ثانيا : كانت الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة تسعى الى اقامة روابط تجارية مع اليابان ٠ ولم تقم بريطانيا بذلك الدور رغم تفوقهـا البحرى والتجارى الهائل ٠ ولم تحصل الولايات المتحدة على امتيازات أو أراض فى منطقة الباسفيك أو آسيا ، فقد جاءت فى المرتبة الثانية بعد انجلترا من حيث علاقاتها التجارية فى آسيا ٠ وأكدت واشنطن على أن سياستها تختلف عن سياسة لندن التوسعية ، وأنها تنتهج سياسة اللين ولا ترمى الى التوسع ٠ وتزايدت المسئوليـــات التى القيت على كاهل بريطانيا فى آسيا ، فكان عليها التصدى للمقاومة الشعبية فى الصين بعد انتهاء حرب الأفيون ٢ والقضاء على تمرد سيبوى Sepoy فى الهند عام ١٨٥٧ ٠ لذا لم تتوفر لديها القوة العسكرية التى يمكن استخدامها ضد اليابان ٠

انتزعت معـــاهدات تيانتسن Tientsin (١٨٥٨ ــ ١٨٦٠) امتيازات كثيرة من الصين ، تفوق تلك الامتيازات التى انتزعتها معاهدات

أنسى Ansei من اليابان ، والتى حظرت استيراد الأفيون • واختلفت المطالب التجارية لكل من انجلترا والولايات المتحدة ، ويرجع ذلك الاختلاف الى التنافس الشديد بين البلدين •

عندما تعرضت ساتسوما وتشوشو لهجوم القوى الغربية ، واضطرت اليابان الى الاستدانة من الخارج ، ازداد الاحتلاك بين القوى الغربية بسبب التنافس بين انجلترا وأمريكا ، ودخول انجلترا وروسيا فى « مباراة كبرى » فى منطقة جنوب شرق آسيا ، والتنافس بين لندن وباريس عبر الحدود الصينية • ونظرا للعداء المتبادل بين القوى الغربية ، لم تستطع أية دولة من دول الغرب القيام بهجوم منفرد على اليابان ، كما لم تستطع تلك القوى الغربية تنسيق جهودها للحصول على امتيازات كبيرة من اليابان فى عهد طوكوجاوا • ولكن من السذاجة الاعتقاد بأن ذلك التنافس بين القوى الغربية قد قلل من خطر وقوع اليابان فى قبضة الاستعمار وتحويلها الى مستعمرة غربية • وكان من الممكن نشوب الحرب بين القوى الغربية من أجل استعمار اليابان ، ولكن ذلك لم يحدث لسببين :

اولا : كانت انجلترا ــ التى جاء دبلوماسيوها على رأس الدبلوماسيين الأجانب فى اليابان ــ ترى أن أسواق الهند والصين تفوق فى أهميتها التجارة مع اليابان • ونظرا لأن بيع الأفيون كان محظورا فى اليابان بمقتضى معاهدات أنسى ، فلم تدخل انجلترا اليابان ضمن النظام التجارى البريطانى فى آسيا ، الذى كان يعتمد على الاتجار فى الأقمشة القطنية الانجليزية والقنب الهندى والشاى الصينى والحرير ، والذى عاد بأرباح وفيرة على الرأسمالية البريطانية •

ثانيا : كانت الدول الغربية تخشى المقاومة الشعبية اذا ما أقدمت على استخدام القوة العسكرية لغزو اليابان ، كما فعلت فى آسيا • لذا استخدمت تلك الدول قوتها فى اعتدال • وأرادت انجلترا انهاء الحكم الاقطاعى الذى كان يحول دون التوسع التجارى ، وأدركت أن الثورة الشعبية أو التدخل الغربى المباشر سيعمل على اعاقة نشاطها التجارى ، ففضلت تشجيع القيادات الاقطاعية التى كانت ترى ضرورة الحاجة الى ادخال الحضارة الغربية والقيام « بالاصلاح التدريجى بدءا بالقمة فما دونها » •

عندما احتدم الصراع بين الشوجون طوكوجاوا وتشوشو عام ١٨٦٦ ، وقفت فرنسا بجانب حكم طوكوجاوا ، بينما وقفت بريطانيا بجانب تشوشو وساتسوما • واستغلت القوى الغربية ذلك الصراع لنيل مزيد من الحقوق ، وقل خطر وقوع اليابان فى قبضة الاستعمار لسببين •

أولا : ساعد التنافس الشديد بين الدول الغربية على توازن القوى ٠

ثانيا : ساند الغرب ـ ولاسيما بريطانيا ـ الروح القومية لدى المصلحين ٠ فوقف الغرب بجانب المجموعات المستنيرة في الاقطاعيات المناوئة للحكام العسكريين والمجموعات الموجودة بين صفوف الحكام العسكريين ، كما أيد الغرب سياسة التغيير التدريجي ٠

العوامل الداخلية :

فى الوقت الذى قامت فيه الفرقة البحرية بزعامة بيرى Perry بالقاء المرساة أمام شواطىء أوراجا Uraga عام ١٨٥٣ ، كانت قوة الحكام العسكريين والاقطاعيات قد اضمحلت ، وعجلت مطالب الغرب باقامة علاقات تجارية مع اليابان بانهيار تلك القوة ٠ وكان ذلك الانهيار مريعا ٠ فلم تكن هناك حاجة الى التدخل الأجنبى أو التهديد باستخدام القوة لاخضاع اليابان للسيطرة الاستعمارية بعد أن انهارت العزلة القومية التى فرضتها اليابان على نفسها ، وانهارت معها الحركات المناوئة للأجانب ٠ وزاد تحمس الغرب لفتح اليابان واقامة علاقات تجارية معها بعد انهيار الحكم الاقطاعى ٠ وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على انهيار الحكم الاقطاعى ٠ وتتمثل تلك العوامل فى الصراع الشعبى المناوىء للاقطاع ، وانتقاد سياسة الشوجون ، والحركات السياسية التى تزعمها أصحاب الأراضى وبعض التجار وطبقة الساموراى الأدنى رتبة ٠ وكانت تلك الحركات السياسية تسعى الى اصلاح السياسة التى اتبعها الحكام العسكريون ٠

الاحتجاج الشعبى :

كان المحصول قليلا فى عام ١٨٣٦ ، وفى عام ١٩٦٦ ، قل المحصول بعد أن حارب الشوجون تشوشو ٠ وشهدت البلاد انتفاضة الفلاحين آنذاك ٠ فمنذ عام ١٨٣٦ اشتد صراع الفلاحين ، واشترك فيه كثيرون من مختلف قطاعات الشعب ٠ ولم يقم الفلاحون بتلك الثورات لمجرد المطالبة بخفض الاتاوة السنوية التى كانوا يدفعونها للسادة الاقطاعيين ، بل للمطالبة بعزل الموظفين الفاسدين فى القرى ٠ وقاموا بالاحتجاجات لمطالبة أصحاب الأراضى بتخفيض ايجار الأراضى ، ومطالبة المرابين بتأجيل دفع أقساط القروض ٠ وقام الفقراء باعمال الشغب فى أوساكا Osaka وايدو Edo وبعض المدن الأخرى لخفض أسعار الأرز ٠ وقام المتظاهرون بهدم منازل التجار أو احراق مخازن الغلال فى كثير من الأحيان ٠

واتسع نطاق الاحتجاجات الشعبية وتعددت مطالب الناس ، كما زاد عدد الذين شاركوا فى أعمال العنف وتحطيم الممتلكات فى الستينات من القرن التاسع عشر . وفى عام ١٨٦٦ ، اقترنت أعمال العنف بثورات الفلاحين ، فسادت الاضطرابات بعض المناطق ، وفقد السادة الاقطاعيون سيطرتهم على بعض المناطق بصورة مؤقتة . ورفع بعض المعارضين شعارات تنادى « بالاصلاح الشامل » Yonaoshi ، وبدأوا يدركون حاجة البلاد الى التغيير الاجتماعى الشامل .

ولم يكن للصراع الشعبى تنظيمات ثابتة فى فترة باكوماتسو Bakumatsu ، وكانت الثورات الشعبية متفرقة ، واقتصرت المطالبة « بالاصلاح الشامل » على عزل الموظفين الفاسدين بالقرى ووضع حدا لسوء المعاملة والامتهانات على المستوى المحلى . فلم تكن هناك خطة عامة للتغيير الشامل بكافة أنحاء البلاد ، بل كان التفكير فيما يجب أن يحدث فى الغد يشغل الأذهان . ولكن لا يجب أن ننسى أن ذلك الصراع الشعبى قد لعب دورا حاسما فى اسقاط الحكام العسكريين وفى انهيار حكم الاقطاعيات . وأدركت طبقة الساموراى أن نشوب الحرب مع الغرب سيدفع الجماهير الى الثورة والقضاء على سيطرة الحكام العسكريين والسادة الاقطاعيين ، أى القضاء على أصل الشجرة وفروعها . ودفع ذلك التهديد طبقة الساموراى الى اصلاح الحكم الاقطاعى .

التجارة :

ادت تجارة اليابان مع الغرب الرأسمالى الى اصابة الصناعة بالضرر ، كما اضطربت قنوات التوزيع بالبلاد . وتدفقت المنسوجات القطنية الرخيصة ذات الجودة العالية على البلاد ، فكان ذلك ضربة قوية لصناعة المنسوجات المتقدمة فى اليابان ، وأدى تصدير الحرير الخام الى ارتفاع الأسعار ونقص الصناع المحليين ، كما انخفض انتاج الحرير الطبيعى .

ارتفعت أسعار السلع ارتفاعا جنونيا عندما فتحت اليابان موانيها بمقتضى المعاهدات التى عقدتها مع الدول الأجنبية . كما ساهم خطر نشوب الحرب فى ارتفاع الأسعار ، فعم الحزن أرجاء البلاد . وفى عام ١٨٦٦ ، اتسع نطاق الثورة فى القرى الجبلية الواقعة غرب ايدو Edo (طوكيو فيما بعد) بعد المطالبة بانخفاض أسعار الأرز وعودة الأراضى المرهونة . وطالب المعارضون بوقف التجارة الخارجية فى يوكوهاما ، وهاجموا تجار الحرير الخام الذين باعوا الحرير للأجانب .

لم تكن معارضة التجارة مع الأجانب هى القوة المحركة التى دفعت الفلاحين الى الثورة . وتعرضت الصناعات المحلية للضرر ، ولكنها لم تصب

بالضرر الكامل ، كما حدث لصناعة المنسوجات القطنية فى الهند والصين ٠ وسيطرة تجار الجملة بمدينتى ايدو وأوساكا على نظام التوزيع ، وتمتع أولئك التجار بتأييد الحكومة لها ٠ وبعد انهيار ذلك النظام قام التجار المحليون بالقرى بتوزيع البضائع ٠ وتزايد الطلب على تصدير السلع (الحرير الخام والشاى) ، مما ساعد على زيادة الانتاج الاجمالى ونمو الصناعات الريفية والتصنيع ٠ واستخدم الصناع المحليون خبوط القطن المستورد فى صنع الأقمشة ، حتى يستطيعوا التكيف مع التحديات التى تفرضها المنتجات الأجنبية ، كما قاموا بتشجيع الانتاج للوفاء بالمتطلبات الجديدة ٠

وبذلك استطاع اقتصاد اليابان مواجهة الآثار المترتبة على التجارة الخارجية ، بعد أن شهدت البلاد فترة من الاضطرابات نتيجة فتح الموانىء ٠ كما استفادت من تلك الاضطرابات واتخذت منها قاعدة انطلاق ، فانطلقت تقيم علاقات اقتصادية رأسمالية ٠ ونما اقتصاد اليابان بفضل التوسع الذى كانت الصناعات الريفية قد شهدته وزيادة انتاج السلع التى كانت قد تحققت قبل أن تقوم اليابان بفتح موانيها ٠ ولكن انعدام الرقابة على التعريفة الجمركية وسيطرة التجار الأجانب على حركة التجارة ، قد أعاق تشكيل اقتصاد رأسمالى ، وقيد أنشطة الصناع والتجار المحليين ، وحال دون القيام بالاصلاحات التى تحتاجها قنوات التوزيع ٠

العلم والتكنولوجيا :

ظلت التكنولوجيا والعلوم الغربية تتسرب الى داخل البلاد حتى أثناء العزلة القومية التى فرضتها البلاد على نفسها طوال قرون طويلة ، ويرجع الفضل فى ذلك الى التجارة مع هولندا فى مدينة نجازاكى اليابانية ٠ وقام اليابانيون الذين اكتسبوا اللغة الهولندية أو المعارف الغربية ، بنشر معارفهم ، وان اقتصرت دراستهم للثقافة الغربية على الطب والفلك ، وفى السنوات الأخيرة من حكم الشوجون ، على العلوم العسكرية ٠ ونظرا لأن معظمهم قد انخرطوا فى خدمة الحكام العسكريين والاقطاعيات ، فلم يكن لدى الكثيرين منهم نزعات مناهضة للحكم الاقطاعى ، ولم يكونوا من المثقفين المستنيرين الذين شاركوا الشعب فى نضاله ضد الحكم الاقطاعى ٠

ترك أولئك الرواد الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب أثرهم داخل طبقة الساموراى ، وساعدوا على ظهور فريق من المصلحين المستنيرين فى الحكومة المركزية وحكومات الأقاليم ٠ وفى منتصف الستينات من القرن التاسع عشر ، أدرك قادة طبقة الساموراى التفوق العسكرى فى الغرب ، وضرورة الحاجة الى تحديث أسلحتهم وتنظيم جيشهم ، وحاولوا اكتساب المزيد من

الثقافة الغربية ، وفى الوقت الذى تطلب فيه ذلك الأمر انفتاح اليابان على العـالم واقامة علاقات مع الدول الأجنبية ، كانت اليابان تهدف الى النهوض باستعدادها العسكرى ·

الاقطــاع :

أدى تدهور الحكم الاقطاعى الى نضوب مـوارد الشوجون ومـوارد الاقطاعيات ، ولم تكن الاستعدادات العسكرية كافية · وقد أقر الاقطاعيون سياسة العداء للأجانب ، وعدم فتح البلاد لهم ، نظرا لأن العزلة القومية كانت أول خط دفاعى للبلاد ، وقد رأوا أن شعار : اطردوا البرابرة ! من شأنه دعم سيطرتهم · ولكن نقص الموارد وانهيار الروح المعنوية لدى طبقة الساموراى جعل القيادة تتشكك فى قدرة البلاد على طرد الأجانب · وكان لدى طبقة الساموراى رغبة خفية فى تحاشى الحرب مع الغرب · ورغم سيطرة الحركات الوطنية العاطفية المعادية للأجانت على الأوســاط السياسية فى عامى ١٩٦٢ و١٨٦٣ ، فقـد زاد معـدل التجارة وازداد الاتصال بدول الغرب للحصول على السلاح والمشورة العسكرية · وظلت اليابان تنتهج سياسة الانفتاح ·

فى أوائل الستينات من القـرن التاســع عشر ، استغلت الزمـرة المعادية للحكم العسكرى شـعار « اطـردوا البرابرة » لاضعاف سيطرة طوكو جاوا · وفى عام ١٨٦٦ ، تشكلت حركة جوى Joi لقلب نظــام الحكم العسكرى نفسه · ولاقى ذلك التحول قبولا لدى القوى الغربية ، ومن بينها انجلترا التى كانت تعمل على تنوير تلك الزمرة المعادية للحكم العسكرى · وتضاربت أفكار تلك الزمرة ، فكان فريق منها يرغب فى اسقاط الحكم العسكرى ، فى حين رأى فريق آخر الاكتفاء باصلاح ذلك الحكم ودعم قوته · وضم الفريق الأخير كثيرين من مؤيدى « اتحاد البلاط والحكام العسكريين » (Kobu gattai) وضرورة استقالة الحاكم العسكرى كجزء من التسوية السياسية ·

ومع ذلك فقد اتفقوا على ضرورة الاسراع بتوحيد البلاد حتى تصبح قوة اقطاعية متماسكة ، باستطاعتها القضاء على الصراع الشعبى وتحديث القوة العسكرية ، وكانت هذه الاجراءات كفيلة أيضا بمهادنة الغرب ·

استعادة السلطة :

نجحت الميجى اشن لأن التغيرات العظيمة التى آتى بها نظام باكوهان قد تحققت بسرعة مذهلة · وتتمثل تلك التغيرات العظيمة فى استعادة

الحكم الامبراطورى عام ١٨٦٨ ، والتنازل عن الحقوق فى الاقطاعيات للحكومة الجديدة عام ١٨٦٩ وانشاء نظام الولايات عام ١٨١٧ . وأثناء تلك الفترة الحرجة تم احتواء الحرب الأهلية التى عرفت باسم بوشن Bashin ، التى قادها السادة الاقطاعيون المتمردون الذين رفضوا الخضوع للسلطة . وعملت الحكومة على تجنب الاحتكاك بالقوى الغربية الا فى أضيق الحدود . وكانت اليابان ملزمة بفتح البلاد بصورة لا يمكن التراجع فيها .

تعد فكرة الميجى اشن ثمرة التفاعل بين القوة المحلية والقوة الدولية ، وكان العنصر الحاسم هو طبيعة نظام باكوهان التى اختلفت عن الاقطاع فى غرب أوربا وعن نظام الحكم المركزى فى دول أسيا القديمة .

وتمثلت نقطة ضعف نظام طوكوجاوا الحاكم فى عدم قدرة الشواجنة أو السادة الاقطاعيين على التعامل مع أزمة الاقطاع بعد أن اشتدت . كان الحاكم العسكرى سيدا مرهوب الجانب ، وكانت اقطاعيته تمثل ربع مساحة اليابان ، ولكن أراضيه لم تكن متجاورة ، بل كانت متفرقة ومتناثرة فى شتى أنحاء البلاد . فلم يستطع اخماد الكفاح الشعبى الذى اخذ يمتد عبر مناطق شاسعة ، كما لم يتمكن من السيطرة على الاقتصاد أو شبكة الأسواق الواسعة :

اعتمد الحكام العسكريون على تعاون قادة الاقطاعيات لبسط سلطانهم على أراضيهم . وكان أولئك القادة خاضعين لسيطرة الحكومة ومقرها مدينة ايدو . وكانت أراضى السادة الاقطاعيين ، خصوصا ما كان منها صغيرا أو متوسط المساحة ، متفرقة ومتباعدة عن بعضها البعض . وكانت كل اقطاعية فى حاجة الى مبالغ طائلة من المال لدفع أجور العاملين والموظفين الذين يتولون شئون الادارة بها ، فاضطرت الاقطاعية الى بيع الاتاوة السنوية من الأرز فى الأسواق المركزية بمدينة أوساكا أو مدينة ايدو للحصول على المال اللازم ، ونظرا لأن تلك الأسواق ، وبقية وسائل النقل الأخرى والمراكز التجارية ، كانت تقع بالمناطق الخاضعة للشواجنة ، فقد كانت تلك الاقطاعيات تعتمد على حماية الشوجون .

ولم يكن لمعظم المزارعين الاقطاعيين التابعين للشوجون أو للسيد الاقطاعى أراضى (اقطاعيات) خاصة بهم ، فكانوا يتقاضون رواتب ، ويتطفلون على سادتهم ، ونظرا للأزمات المالية المزمنة التى عانى منها الشواجنة والاقطاعيات ، لم ترغب الاقطاعيات فى أن تبقى على نفسها ككيانات مستقلة عند سقوط حكم طوكوجاوا . وكان السادة الاقطاعيون مستعدين للمعاونة فى اقامة نظام مركزى جديد يحل فيه الامبراطور محل

الشوجون • وعندما وافقت حكومة الميجى الجديدة على تولى مسئولية ديون الاقطاعيات وضمان الفوائد المالية للسادة الاقطاعيين وطبقة الساموراى ذات الرتب العالية ، وذلك عن طريق تحويل المزايا التى كانوا يحصلون عليها الى سندات حكومية ، فقد وافقوا على الغاء نظام الاقطاعيات على الفور •

وواقع الأمر أن العالم شهد ولادة دولة موحدة دون ألم ، فلم تمض ثلاث سنوات الا واستتب الأمر لحكومة الميجى المركزية الجديدة ، وان وصفها فوكوزاوا يوكيتشى Fukuzawa Yukichi بأنها « حكومة وليست أمة » • وكان على تلك القيام بمهمتين عسيرتين ، وهما : استرضاء طبقة الساموراى ذات المرتبة الأدنى التى لم تعد تحصل على رواتب ، وخلق مواطنين يؤيدون الحكومة الجديدة •

ارساء أسس التحديث :

أرسلت الحكومة بعثة أواكورا الى أوربا وأمريكا للتفاوض بشأن المعاهدات غير العادلة التى عقدتها اليابان مع دول الغرب ، وذلك عقب الغاء نظام الاقطاعات ووضع نظام الولايات عام ١٨٧١ • وكانت تلك البعثة تضم كثيرين من كبار المسئولين ، وقامت بدراسة أحوال الغرب • وفى العام التالى وضعت الحكومة نظاما جديدا للتعليم • وفى عام ١٨٧٣ أصدرت قانون التجنيد الاجبارى وقانون ضريبة الأطيان بعد تعديله ، كما وضعت نظاما مصرفيا ، ووضعت الاطار القانونى للمشروعات المشتركة، ونفذت سياسات ترمى الى تشجيع الصناعة وأقامت المصانع التى تعتمد على الميكنة والتى تديرها الدولة ، وأدخلت المؤسسات الأجنبية والتكنولوجيا والثقافة ، رغم تفوق المجتمعات الغربية على اليابان بدرجة ملحوظة • وكان هناك فرق شاسع بين العصرية السطحية لهذه النظم المنقولة والمنهج الاستبدادى القديم الذى عملت فى اطاره تلك النظم ، ونجحت الحكومة فى سد تلك الفجوة ببراعة •

لم تكن الحكومة الامبراطورية تجميعا موحدا للقوى المتفرقة التى تمتع بها السادة الاقطاعيون من قبل • ولكن الزمرة التى عقدت العزم على الاطاحة بنظام الشوجون عملت على ترابط الجهاز الحكومى الجديد • وكان المسئولون فى ساتسوما وتشوشو ، وبعض الاقطاعيات الأخرى ، هم وحدهم الذين وقفوا بجانب الحكومة • وكانت تلك الحكومة الجديدة فى حاجة الى سبب يبرر وجودها ، فرفعت شعار « الحضارة والتنوير » bun mei kaika ، وقالت انه اذا ما أرادت اليابان منافسة القوى الغربية ، فعليها ادخال المؤسسات والثقافة التى كانت بمثابة القاعدة التى

بنى عليها الغرب قوته وحقق بها رخاءه ، وقد فرضت سيطرتها على كافة أنحاء البلاد بعد أن نفذت خطط الاصلاح بالقوة · ولكن تلك الاصلاحات قد انطوت على كثير من المتاعب · ووضعت نظام التعليم الأساسى « الاجبارى » · واستشهدت الحكومة المركزية بالمبدأ العصرى الذى نادى باستقلال التعليم والمعرفة ، لارغام الأقاليم على بناء وفتح المدارس الأساسية ، وتجاهل قانون التجنيد الاجبارى الامتيازات التى كانت تتمتع بها الطبقة الاقطاعية السابقة ، وفرض التجنيد الاجبارى على جميع الذكور القادرين على حمل السلاح ، ولكن أشكال الاستثناءات قد تعددت ، فكان يترك الابن الأول ، ويستدعى الابن الثانى والثالث من أبناء الأسرة الفقيرة · وكانت الخدمة العسكرية أشبه بنظام السخرة الذى أتبعه السادة الاقطاعيون مع الفلاحين فى ظل النظام الاقطاعى السابق ·

حرصت ضريبة الأطيان الجديدة على عدم تحول السادة الاقطاعيين الى أصحاب أراض ، واعترفت بحق المزارعين فى امتلاك الأراضى · وأظهرت تلك التغيرات مدى التطور الذى طرأ على اقتصاد الريف أثناء حكم باكوما تسو · ولم تكن ضريبة الأطيان الجديدة مجرد نسخة كربونية من النظم الغربية · فلم تتحدد قيمة الضريبة على أساس دخل الأسرة الحقيقى ··· ذلك النظام الذى اتبعته قوانين الزراعة فى الدول الرأسمالية · وكانت طرق الضريبة عشوائية ، وأصرت الحكومة على ألا يقل الايراد الضريبى عن مجموع الجزية السنوية فى عهد الشوجون · وتحددت حصة الضريبة التى تدفعها كل ولاية ، كما تم تقييم نصيب كل قرية من الضريبة، وتحديد الضريبة التى تدفعها كل أسرة من أسر المزارعين ، وذلك حتى يسهل تحديد اجمالى الضريبة المحلية ·

ونظرا للمعارضة الشعبية القوية لنظام المدارس والتجنيد الاجبارى وضريبة الأطيان الجديدة ، لم تتحقق الأهداف المنشودة · كما فشلت سياسة الحكومة للنهوض بالصناعة ، وثبت عدم ملاءمة تكنولوجيا الغرب الزراعية ومشاريع تربية الماشية لظروف الزراعة فى اليابان · ورغم أن المصانع النموذجية التى تديرها الحكومة والورش التى أسسها الساموراى باستخدام المساعدات الحكومية قد نشرت التكنولوجيا الحديثة ، عجزت الكثير من الصناعات عن الوفاء بحاجة البلاد ــ وان استثنينا الصناعات الحربية من ذلك ــ فتحولت تلك الصناعات الى الملكية الخاصة أو أغلقت ·

وباءت محاولات الصناعة الخاصة لميكنة الانتاج بالفشل ، وعاقت ضريبة الأطيان الفادحة نمو الزراعة والصناعة المحلية · وكانت سياسة النهوض بالصناعة تميل الى تأييد مصالح طبقة الساموراى السابقة

وتحمي مصالح رجال الأعمال الذين كانت تربطهم بالحكومة علاقات حميمة ٠

وكان بمقدور الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات تغيير النهج السياسى الذى سارت عليه حكومة الميجي اشن ٠ وقد اتخذت تلك الحركات صورة احتجاجات بدأتها طبقة الساموراى السابقة التى استخدمت المفاهيم السياسية الغربية ـ كالدستورية والحقوق الطبيعية والرأى العام ـ لمكافحة التعسف الحكومي ، وفى عامى ١٨٨٠ و١٨٨١ تحول الاحتجاج الى حركة شعبية تضم ٣٠٠ر٣٠٠٠ من أصحاب الأراضى وأصحاب الصناعة والمزارعين ٠ فقد تخطى الجهاد الشعبى ثورات الفلاحين المحدودة وأعمال الشغب التى عرفتها المدن فى الماضى ، واتسم ذلك الجهاد بطابع التنظيم فى كافة انحاء البلاد ، ووضع برنامج قومي له ٠ وكانت أهداف الحركات الشعبية تتلخص فى تشكيل برلمان وطنى ، وخفض ضريبة الأطيان ، واعادة النظر فى المعاهدات غير العادلة ، والحكم المحلى الذاتى ٠ واستفادت البلاد من تلك الحركات ٠ فقد درس المشاركون فيها الفكر الديموقراطي وأساليب الانتاج الحديثة وغيرها ، وقاموا بنشر الأفكار الجديدة من خلال الكتب والمحاضرات ٠ ولكن تلك الحركات قد منيت بالهزيمة عام ١٨٨٤ بسبب الشقاق الداخلي وسياسة القوة التى اتبعتها الحكومة ٠ ورغم قصر مدة تلك الحركات الشعبية ، فقد كان لها نتائج هامة :

أولا : ارغمت موجة الاحتجاج السلطات الحاكمة على منح الدستور وعقد الجمعية الوطنية ٠ وسمحت الحكومة البيروقراطية بوضع نظام دستورى للبلاد حتى تتغلب على مقاومة رجال الساموراى السابقين ، والفوز بتأييد الشعب ٠ ولولا ذلك لتأخر اتخاذ تلك الاجراءات ، ولكان الدستور أكثر تحفظا ٠

ثانيا : حالت تلك الحركات دون زيادة ضريبة الأطيان عام ١٨٨٠ ، مما ساعد المزارعين على التقاط أنفاسهم لبعض الوقت ولا سيما مع ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية فى تلك الفترة بسبب التضخم الناتج عن فشل السياسة المالية للحكومة ٠ لذلك لم يعد المزارعون يشعرون بالعبء الثقيل عند قيامهم بدفع ضريبة الأطيان ٠ وزاد انتاج السلع الريفية ، كما زاد التصنيع بالقرية ٠ وبعد تصنيف سكان القرية فى طبقات ، تراكم رأس المال لدى أصحاب الأراضى ، فى الوقت الذى تضاعف فيه عدد الفلاحين الأجراء المعدمين ٠ وأصبحت ضريبة الأطيان الجديدة الأساس الذى قامت عليه الرأسمالية فى الأعوام التى شهدت تصاعد الحركات الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات ٠

ثالثا : انتشرت الأفكار والأساليب الغربية بين أهل المدن ، وكانت تلك الافكار تحظى بتأييد الحكومة · ثم مالبث أن قام سكان المدن بنشرها فى القرى · وزاد اقبال الشباب على التعليم والالتحاق بالأكاديميات الخاصة والمدرس التى لا تخضع لنظام المدارس الحكومية العامة · وقد ارتفع الوعى السياسى لدى طلاب تلك المدارس ، ومن الانصاف القول بأن الوعى بمفهوم المواطنة المعاصر قد بدأ مع الحركات الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات ·

وبعد أن لحقت الهزيمة بالحركات الشعبية التى طالبت بالحقوق والحريات ، وضعت الحكومة الدستور عام ١٨٨٩ ، وافتتحت « البرلمان » Diet عام ١٨٩٠ · ومنح الدستور سلطات واسعة ومستقلة للامبراطور، لا تتقيد بالتشريع ، وأكد على المكانة الرفيعة التى يتمتع بها العسكريون والبيروقراطيون · وكانت الحكومة فى وضع يؤهلها لتقبل مثل تلك السياسات الدستورية ، فبدأت فى صياغة القوانين المعاصرة الجديدة · وساعد الغاء المقاطعات واستبدالها بنظام الولايات haikan chiken على ظهور اليابان بمظهر الدولة الموحدة ، فجاء الدستور ليجعل اليابان دولة موحدة بحق · ولكن الأمر استغرق عدة سنوات قبل أن تتمكن الحكومة من تنفيذ السياسات الدستورية التى عزمت على تنفيذها ·

شكلت الأحزاب السياسية المناوئة للحكومة الأغلبية فى مجلس النواب ، ودخلت فى صدام مباشر مع الحكومة من أجل تخفيض ضريبة الأطيان وخفض الميزانية · وكانت الميزانية تتضمن بنودا للانفاق المتزايد على التسليح · وفى بادىء الأمر ، أيدت الأحزاب السياسية السياسة العسكرية التى انتهجتها الحكومة عام ١٨٩٤ ، عندما نشبت الحرب بين اليابان والصين ، حيث استعانت الحكومة البيروقراطية بتلك الأحزاب للحصول على تأييد أصحاب الأراضى والفئات الرأسمالية ·

شهدت البلاد نمو الرأسمالية بشكل مطرد فى التسعينات من القرن التاسع عشر وخطت الصناعات الريفية خطوات واسعة بعد فشل جهود الحكومة لدعم الصناعة الحديثة فى سنوات الميجى اشن الأولى ، وكانت الحركات الشعبية التى طالبت بالحقوق ومنح الحريات قد بلغت ذروتها آنذاك · وأقام كبار الرأسماليين ، ممن كانوا على علاقة وثيقة بالحكومة ، مصانع ضخمة للغزل حالت دون نمو المصانع الصغيرة ، واندمج النظام الطفيلى لملاك الأرض فى هذا النمط من الرأسمالية ، وأصبح عنصرا لا غنى عنه من عناصرها · واعتمدت الصناعة الحديثة فى اليابان على دعامتين ، وهما :

١ ـ انتاج الأسلحة تحت اشراف الدولة ·

٢ ـ القطاع الخاص الذى قام بصناعة المنسوجات · واتجهت تلك المنسوجات الى أسواق الصين ومناطق أخرى من آسيا · وشجعت الحرب الصينية اليابانية (١٨٩٤ ـ ١٨٩٥) البلاد على الاتجاه نحو الرأسمالية ·

التزم الناس بنظام التعليم والتجنيد الاجبارى فى التسعينات · وتراوحت نسبة الأطفال بالمدارس الأساسية ما بين ٣٠ و٤٠ بالمائة لسنوات عديدة · وارتفعت تلك النسبة ببطء بعد اعلان الدستور ، ثم ارتفعت بسرعة بعد أن هزمت اليابان الصين · وأخيرا اقتربت تلك النسبة من ٩٠ بالمائة بعد الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) · كما أن نمو الرأسمالية قد ساهم فى زيادة نسبة الأطفال الذين التحقوا بالمدارس · كما ساهمت عوامل أخرى فى زيادة تلك النسبة ، منها نمو الروح القومية بعد أن خاضت اليابان غمار حربين مع الصين وروسيا ، واحكام سيطرة الحكومة على نظم التعليم ·

عرفت قوانين التجنيد الاجبارى المبكرة عدة استثناءات ، ولكن أصبح شعار « لتحمل الأمة السلاح » حقيقة واقعة بعد أن كان شعارا أجوف لفترة طويلة من الزمن ، عندما أعادت الحكومة النظر فى قانون التجنيد عام ١٨٨٩ ، وألغت كافة الاستثناءات · وكان ذلك الاصلاح جزءا من خطة تهدف الى دعم القوات المسلحة حتى تتمكن البلاد من خوض غمار الحروب خارج حدود البلاد · وأقبل الشباب على أداء الخدمة العسكرية ، بعد أن كانوا يمتعضون منها · ويرجع الفضل فى ذلك الى نظم التعليم التى غرست الروح الوطنية فى عقولهم ، ومنحت حكومة الميجى اشن حق الانتخاب المحدود للناس ، وبذلك سمحت لهم بالاشتراك المحدود فى سياسة البلاد ·

وضعت حكومة الميجى اشن الخطوط العريضة لخطة تهدف الى النهوض بالبلاد ومسايرتها لطابع العصر · واتضحت معالم تلك الخطة أثناء الحرب الصينية اليابانية · وكانت الرأسمالية العالمية على أعتاب المرحلة الامبريالية ، وقد بدأت الامبريالية اليابانية تتشكل فى تلك السنين · وعندما انفتحت اليابان على الغرب ، اتخذ العداء للأجانب طابعا عسكريا · وكانت القوة العسكرية تنتهج سياسة العدوان تجاه الدول الأجنبية ، وذلك حتى تتمكن من النهوض بالبلاد ودعم قوتها ·

ارتبطت الرغبة فى اقامة دولة قوية موحدة بالسياسات العسكرية دائما · وتقدمت الحكومة باقتراح لغزو كوريا فى بداية السبعينات من القرن التاسع عشر ، واتخذت من ذلك الاقتراح ذريعة لاستقطاب حماس

طبقة الساموراى السابقة المناوئة للحكومة . وكشف هذا الاقتراح عن مدى سغلغل الأيديولوجية العدوانية بين كبار القادة الذين ظلوا يشعرون بخطر الهجوم الغربى على اليابان منذ بداية الخمسينات من ذلك القرن . وأيد الهجوم على كوريا نفس الساسة الذين سعوا الى اقامة حضارة جديدة بالبلاد ، وأدخلوا نظاما جديدا للتعليم ، وأجروا اصلاحات شاملة ، وذلك لأن مفهوم النهوض بالبلاد قد ارتبط لديهم بضرورة الحاجة الى تقوية الروح العسكرية .

وفى الثمانينات ، زادت التوسعات التى قامت بها انجلترا وفرنسا وروسيا فى دول آسيا عن طريق العدوان . وأدت أعمال السلب التى قامت بها الدول الغربية الى نمو الروح الوطنية بدول آسيا . وعانت الصين عدة هزائم عسكرية عام ١٨٨٤ أثناء الحرب الفرنسية الصينية (١٨٨٣ - ١٨٨٥) فى نزاعهما على فيتنام . وفى كوريا قام المصلحون المؤيدون لليابان بانقلاب ضد المحافظين المؤيدين للصين . وتدخلت الصين وانتهى الانقلاب بالفشل . وقد أصاب الوضع المتوتر فى آسيا الحرية وحركة الحقوق الشعبية فى اليابان بالضرر ، اذ ساندت بعض الشخصيات البارزة أعمال العنف فى كوريا ، وكان ذلك من أسباب اخفاقها .

وقد استفادت الحكومة من تلك الأزمات لزيادة قدرة اليابان العسكرية تحسبا لخوض الحرب ضد الصين . وقد اتخذت قرار الهجوم على المملكة الوسطى (فى الصين) حين رأت امكانية الاستفادة من التنافس بين القوى الاستعمارية والحصول على تأييد انجلترا . ودخلت اليابان النادى الامبريالى بعد انتهاء الحرب الصينية اليابانية ، وانضمت الى السباق الاستعمارى لاقتسام الكعكة الصينية . وحققت الحكومة بعض الانجازات عقب انتهاء الحرب مع الصين (١٨٩٩) ، فقامت باعادة صياغة المعاهدات غير العادلة، وألغت المحاكم القنصلية والمستوطنات الأجنبية التى كان الشعب والحكومة يرغبان فى الغائها منذ تولى حكومة الميجى اشن الحكم . كما استعادت اليابان حقها فى وضع التعريفة الجمركية عام ١٩١١ ، بعد انتهاء الحرب الروسية اليابانية . وبذلك أصبحت اليابان الامبريالية فى مرتبة متساوية مع الغرب .

الخاتمـــة :

استغرق تحول اليابان من الاقطاع الى الرأسمالية أربعين عاما . وقد تأثرت عملية التحول بعدة عوامل خارجية ، من بينها الوضع الدولى الذى كان ينذر بالسوء . فقد كان خطر الاستعمار يحدق دائما بالبلاد ، وتفاوتت درجة الاحساس بذلك الخطر بين القوة والضعف ، فزادت فى

الخمسينات وقلت فى التسعينات ، وان قل الاحساس بذلك الخطر فى اليابان عنه فى بقية دول آسيا ، الا أنه ظل محدقا بها • وبذلك يجب علينا وضع العوامل الخارجية فى الاعتبار عند تحليل العوامل التى مكنت اليابان من مسايرة طابع العصر والحفاظ على استقلالها •

اذا ما تدبرنا المتغيرات التى طرأت على الرأسمالية العالمية والسياسات الآسيوية للبلدان الرأسمالية ، فسنرى أن العامل الدولى كان من المتعذر له أن يلعب دورا حتميا ، ومع ذلك فقد واجه قادة اليابان وشعبها الكثير من العناصر والمواقف المفاجئة التى لم يكن فى وسعهم حسابها أو توقعها ولا سيما فى السنوات الأخيرة من عهد طوكوجاوا العسكرى ، ولكن عنصرى الزمن والموقع الجغرافى كانا فى مصلحة اليابان :

١ ـ فقد تعرضت اليابان للضغوط الأجنبية بعد مضى عشر سنوات على تعرض الصين للغزو الغربى •

٢ ـ تقع اليابان فى شمال شرق قارة آسيا ، فكانت بعيدة عن الأراضى التى احتلتها بريطانيا •

٣ ـ كانت بريطانيا تواجه متاعب كافية أمام الحركات الوطنية المعادلة للاستعمار فى كثير من دول آسيا •

بعد أن تصدت اليابان للضغوط الخارجية ، وحولت المنافسة بين القوى الخارجية لصالحها ، استبدلت سياسة العزلة القومية ومعاداة الأجانب بسياسة الانفتاح • وقد أتت هذه السياسة بأكلها تدريجيا تطرا لأنها تمت بطريقة المحاولة والخطأ وذلك لوجود عامل داخلى تمثل فى متابعة سياسة تصفية الاقطاع • ولعب الجهاد الشعبى المناوىء للاقطاع دورا بارزا فى تحطيم النظام القديم • وبالرغم من أن قادة اكفاء جدد قد خرجوا من صفوف طبقة الساموراى الدنيا فى عهد باكوماتسو Bakumatsu ، الا أن هؤلاء أدركوا أن النظام الاقطاعى يواجه محنة بعد أن انحصر بين فكى رحى الغضب الشعبى وسياسة البوارج الحربية • فكان على الزعماء الجدد الذين صهرتهم بوتقة التحدى وصبتهم فى قالب صلب ، تشكيل سلطة اقطاعية قوية قادرة على القضاء على ثورات الفلاحين والتصدى للغرب •

تم الغاء نظام بوكوهان Bakuhan ، ولم يصحب ذلك انتشار موجة التمرد على نطاق واسع ، مما ساعد على عدم تعرض البلاد لخطر الاستعمار (وكانت اليابان فى مرتبة الدولة الخاضعة بسبب المعاهدات غير العادلة التى عقدتها مع الغرب) •وساعد انتصار اليابان فى حرب بوشن Boshin (١٨٦٨ ـ ١٨٦٩) على الحد من انتشار النضال

الشعبى ، وعقب ذلك تولى بيروقراطيو الحكومة الجديدة زمام المبادرة فى الجهود المبذولة لتحقيق استقلال البلاد والنهوض بها . وكان من بين الأولويات التى أعطتها حكومة الميجى اشن اهتمامها دعم نظام الحكم الذى يسيطر عليه الامبراطور وطبقة الأشراف (النبلاء والسادة الاقطاعيون السابقون) والبيروقراطيون ، وتطوير دفاعات البلاد . وقد ضحت الحكومة بالتغيرات الطارئة فى العلاقات الاقطاعية التى تستند عليها بنية المجتمع وبتحسين مستويات معيشة المواطنين . ورغم اعتراف الحكومة بحق الفلاحين فى امتلاك الأراضى ، الا انهم اضطروا الى دفع نفس قيمة ضريبة الأطيان الفادحة والضريبة المحلية التى كانوا يدفعونها أثناء حكم طوكوجاوا . وكانت الحركات التى قام بها الشعب للمطالبة بالحقوق الشعبية والحريات تمثل رد فعل للاستغلال الجديد الذى عانى منه الشعب ، ولكن سرعان ما قضت الحكومة على تلك الحركات .

فشلت تلك الحركات فى تحقيق أهدافها الرئيسية التى تمثلت فى .

١ ــ النهوض بالقوة الاقتصادية للمنتجين والتوسع فى الأسواق المحلية وتشكيل القاعدة الرأسمالية بما يتماشى مع مصالحها .

٢ ــ اصلاح الحكومة البيروقراطية ، وكبح جماح النزعة العسكرية الناشئة باخضاعها للرأى العام .

٣ ــ خلق حس ديموقراطى وادراك لمفهوم الشعب فى الفكر الحديث . وعندما بدأت القوى الغربية تنتهج السياسة الامبريالية فى الثمانينات من القرن التاسع عشر ، لم تكن أمام الحركات الشعبية ــ التى كانت تسعى لارساء دعائم الديموقراطية ــ فرصة كبيرة للنجاح .

ارتبطت سياسة الحكومة للنهوض بالبلاد بالنزعة العسكرية ، وحققت تلك السياسة قدرا كبيرا من النجاح فى التسعينات ، وكانت القاعدة التى أرست عليها اليابان قوتها الامبريالية . أرادت القوى الغربية لليابان أن تتحول الى قوة امبريالية حتى تتمكن من احكام قبضتها على الصين . وكانت الصين وكوريا وبعض دول آسيا الأخرى قد شرعت فى الأخذ بأسباب التقدم ، ولكن السياسة الاستعمارية التى اتبعها الغرب واليابان حالت دون ذلك . فقد انتهجت آسيا واليابان سياسة عدوانية تجاه بعضهما البعض .

الميجى ايشين : ثورة بورجوازية لم تكتمل

بقـــلم
ايجـور لايتشيف Igor Latyshev
أكاديمية العلوم السوفيتية ــ موســكو
الاتحاد السوفيتى

لم تعرف الأحداث المختلفة التى شهدها تاريخ اليابان خلافا كذلك الخـلاف الذى وقع بين العلمـاء اليابانيين والأجانب ، عنـدما تعرضـوا للتطورات الثورية التى مرت بها البلاد فى أواخـر الستينات وأوائـل السبعينات من القرن التاسع عشر ، والتى عرفت فى اللغة اليابانية باسم الميجى اشن وفى اللغة الانجليزية باسم Meji Restoration اصـلاح أو استعادة الميجى . وسـاهم علماء اليابانيـات Japanologists بنصيب وافر فى ذلك الخلاف . فقد تعرض كثيرون منهم للميجى اشن فى كتاباتهم ، أمثال ا . م . زيكوف E. M. Zhukov ، و هـ . ت . ايدوس H. T. Eidus و أ . ل . جالبرين A. L. Galprin و ب . ب . توبيهـا P. P. Topeha ، و أ . ج . فينبرج A. J. Fineberg . وسـوف أطلق على تلك الفترة اصطلاح الميجى اشن على سبيل الاختصار ، على الرغم من أننى أميـل الى استخدام مصطلحات أخـرى لتعريف تلك الفترة . وفى عام ١٩٦٨ عقد معهـد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم السوفيتية مؤتمرا شارك فيه علماء اليابانيـات Japonalogists السوفيت للاحتفال بالذكرى المئوية الأولى للميجى اشن ، واشـتد النقاش بين أولئك العلمـاء حول المغزى التاريخى للأحداث فى ذلك الوقت . وقد تقدم خمسـة وعشرون عالما من

كبار المتخصصين في تاريخ اليابان وثقافتها واقتصادها بتقارير ، ودارت بينهم حوارات جدلية حول تلك الشئون • وقد نشرت في الاتحاد السوفيتي عدد من الكتب التي وضعها الباحثون الأجانب حول الميجى اشن ، ومنها كتاب البروفسير توياما شيجيكى Toyama Shigeki عن اليابان ، وكتاب هربرت نورمان Herbert Norman ، العالم الكندى المتخصص فى دراسة اليابان ، بعنوان « ظهور اليابان كدولة حديثة "Japan: Emergence as a Modern State" • وتثير الميجى اشن كثيرا من الاهتمام هذه الأيام ، ولاتزال الصحف السوفيتية تنشر المقالات عنها • ويهتم العلماء السوفيت بالمؤلفات التي وضعها المؤرخون اليابانيون، وتعرضوا لها بالدراسة ، هذا فضلا عن اهتمامهم بالمناقشات العلمية لأولئك المؤرخين • وفى العام الماضى عقد القسم اليابانى بأكاديمية العلوم السوفيتية مؤتمرا بشأن المجلد العاشر « من تاريخ اليابان » الذى شارك فى تأليفه عدد من أساتذة جامعتى طوكيو وكيوتو • وستقوم دار ناوكا للنشر باصدار مؤلف ن • ف • ليشتشنكو N. F. Leshchenko وهو أحد الباحثين بالقسم اليابانى بمعهد الدراسات الشرقية ، تحت عنوان « الميجى اشن فى مؤلفات المؤرخين اليابانيين التقدميين » ، وهذا الكتاب يتعرض لمفهوم رونوها Roncha ومفهوم كوزاها Kozaha المنافس له • ولايعتمد علماء اليابانيات Japanologists السوفيت فى دراستهم على مؤلفات المؤرخين الماركسيين فحسب ، وانما يعتمدون على مؤلفات خصومهم الأيدولوجيين ــ خاصة العلماء الأمريكيين ، الذين ينظرون الى تاريخ اليابان من الزاوية التى يمكن تسميتها بنظرية التحديث • وتستحوذ على اهتمامنا عدة مهام أثناء قيامنا بدراسة اليابان • ففى الأعوام الخمسة القادمة ، سيقوم فريق من علماء اليابانيات بمعهد الدراسات الشرقية باعداد مؤلف يتناول تاريخ اليابان فى عدة مجلدات ، يعتمد على أهم المؤلفات التى أصدرها العلماء الأجانب •

وهنا أود أن أطرح آراء علماء اليابانيات السوفيت المتعلقة بالمشكلات التى صاحبت الميجى اشن • ترتبط المشكلة الأولى بالطبيعة الحقيقية لتاريخ الميجى اشن • فمعظم أولئك العلماء لاينظرون اليها باعتبارها مجرد انقلاب ولكن باعتبارها ثورة قام بها الشعب اليابانى ، وأحدثت تغيرات كثيرة فى تطور اليابان ونموها • وتختلف آراؤنا اختلافا بينا عن آراء المؤرخين اليابانيين فى هذه النقطة • فالمؤرخون اليابانيون يؤيدون الاتجاه شبه الرسمى المحافظ ، ويعتبرونها انقلابا ملكيا ، استطاع الامبراطور عن طريقه استعادة سلطته وبسط نفوذه على البلاد ، واستعادة السلطة التى كان قد فقدها من قبل ، « ليمنح » شعبه نعمة الحضارة الحديثة • كما

أننا لانتفق مع العلماء الأمريكيين الذين ينادون بنظرية التحديث ، وينكرون الطبيعة الثورية لأحداث عامي ١٨٦٧ و ١٨٦٨ • لقد تشابهت تلك الأحداث مع الأحداث التى شهدتها مناطق متفرقة من العالم من حيث التقارب التاريخي والتماثل الطبقي • ففي بريطانيا قامت الثورة البورجوازية عام ١٦٤٠ ـ ١٦٦٠ • وفي فرنسا قامت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي ألمانيا قامت الثورة الألمانية في منتصف القرن التاسع عشر • ونحن لانتفق مع نظرية التحديث لأنها تتخذ من الدول الرأسمالية والثقافات البورجوازية بالعالم الغربي معيارا لقياس التقدم العالمي • ويقوم أصحاب نظرية التحديث بقياس مقدار التحديث أو مسايرة اليابان لطابع العصر بالاستعانة بمعايير الحياة المادية والثقافية بالدول الغربية الرأسمالية • وتحط نظرية التحديث من قدر أنواع التطور الاقتصادى الأخرى ، كما تنظر الى النظم الثقافية فى البلدان الأخرى ـ ولاسيما طرق التنمية فى الدول الاشتراكية ـ باعتبارها طرقا عتيقة أو شاذة • وخطأ هذا المنهج واضح كل الوضوح ، فزملاؤنا الأمريكيون يستخدمون مصطلح التحديث استخداما هلاميا غامضا بغية تجنب ذكر بعض الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية مثل الاقطاع والاشتراكية والرأسمالية • ويتجاهل مؤيدو نظرية التحديث الطبيعة الطبقية لدولة كاليابان أثناء مراحل التنمية المختلفة • فهم لا يقيمون وزنا للعوامل الانسانية الموضوعية كالصراع الطبقي والمصالح المتضاربة لكل من البورجوازية والبروليتاريا • ويعد العالم الأمريكي جون هول John Hall من أكثر المتحمسين لنظرية التحديث • وهو يقول فى كتابه « اليابان منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور الحديثة »
(Japan from Prehistory to Modern Times)

« لم تشهد اليابان سوى القليل من العداوات أو الأيديولوجيات السياسية من النوع الذى أشعل نيران الثورة الفرنسية أو الثورة الروسية • ولم تكن حركة الميجى اشن ثورة بورجوازية أو ثورة فلاحين ، رغم تواجد كل من الفلاحين والتجار بين من ناهضوا نظام الشوجونية (١)•

لايمكن أن يتفق علماء اليابانيات السوفيت مع هذه الأحكام • ونحن نعتقد أننا نستطيع الكشف عن الطبيعة الثورية لأحداث عامي ١٨٦٧ ـ ١٧٦٨ • وسنحاول أيضا أن نميط اللثام عن الدور الحاسم الذى لعبته قطاعات الشعب اليابانى فى تلك الأحداث • ويرد علماء اليابانيات السوفيت على نظرية التحديث ، فيعرفون الميجى اشن بأنها ثورة ، وينظرون الى الأحداث التى وقعت فى تلك الفترة كانقلاب عام ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ (الذى أشعلت شرارته فصائل من رجال الساموراى المحاربين من

اقطاعيات ساتسوما وتشوشو وتوسا الجنوبية ... الخ) على أنهـا كل لايتجزأ ، لامجرد حلقة فى سلسلة من الأحداث المنفصلة • وتضم أحداث تلك الفترة الثورات التلقائية التى قام بها الفلاحون ، والأنشطة التى قامت بها بعض المجموعات المتمردة شبه الدينية وشبه الفوضوية ، التى عرفت فى التاريخ بحركة « أى يا ناى كا » Ee ja mai Ka • كما أننا نرى أن أهمية الثورة تتمثل فى نضال الشعب ضد الاقطاع والاستعمار الأجنبى ، وليس فى الانقلاب الذى أدى الى مجرد انتقال السلطة من يد الشوجون الى يد الامبراطور • ونحن ننظر الى ثورات الفلاحين باعتبارها العامل الحاسم والجوهرى فى أحداث الثورة • وتحولت ثورات الفلاحين التى نشبت فى مناطق متفرقة من البلاد ، الى قوة دافعة أدت الى قيام ثورة الميجى (١٨٦٧ ــ ١٨٦٨) ، ولم تقتصر على اضعاف الشوجونيـة ، وانما أرغمت حكومة الامبراطور على التخلص من النظام الاقطاعى وتنفيذ اصلاحات زراعية حتى يتمكن من توطيد دعائم حكمه • وعنـد استعراضنا لتاريخ اليابان فى أواخر حكم أسرة طوكوجاوا وأوائل عهد الميجى وما شهدته من معارك دامية هزت البلاد قبل وبعد انتفاضات عامى ١٨٦٧ و ١٨٦٨ ، لايمـكن أن ننسى أن تلك المعـارك لم تقع بين قوات الشوجون وقوات الشوجون وقوات الامبراطور فحسب ، ولكنها وقعت بين فصائل الاقطاع وقوات الحكومة المركزية من جانب ، والفلاحين المتمردين من جانب آخر • ويكفى القول بأنه فى الفتـرة بين عامى ١٨٦٨ و ١٨٧٣ وقعت حـوالى ٢٠٠ ثورة تزعمها الفلاحون ، واشترك فيها الآلاف ، بل عشرات الآلاف من أبناء الشعب ، واستخدمت القوات المسلحة لاغمادها (٢) •

ان منظور الصراع الذى دخله الشوجون المسـاند للنظام الاقطاعى ضد القوى المناوئة له أضخم من ذلك المنظور الهزيل الذى يرسمه العلماء الذين لايريدون أن يروا فى تلك الوقائع ثورة • وينبغى لنا أن نذكر الدور العظيم الذى قام به المؤرخـون اليابانيون فى الفترة التى تلت الحرب ، لمساعدة الآخرين على فهم مشكلات الميجى اشن فهما صحيحا • وقد بينوا أن عامة الناس ، وليست طبقات المجتمع العليا ، هى التى قامت بالدور الحاسم فى الأحداث العنيفة التى صاحبت الميجى اشن •

ويؤكد المؤرخ اليابانى اينوو كيوشى Inoue Kiyoshi على أهمية الدور الذى قامت به عامة الشعب بقوله :

« كثيرا ما يقال ان الميجى أشن قد تحققت دون اراقة الدماء • ولكن هذا القول يناقض الحقيقة • صـحيح أن الشعب لم يسفك دماء الحكام السابقين كما حدث فى الثورات الشعبية الأخـرى فى بعض البلدان ،

حيث قام الشعب باعدام الملوك السابقين • ولكن لاينبغى اعتبار أن الميجى اشن كانت مجرد ثورة فى القصر الامبراطورى ، أو أنها قامت لتحقيق شعار « استعادة الامبراطور لنفوذه » فقط • فقد شهدت البلاد صراعا داميا استمر قرابة عام ونصف قبل قيام الثورة • وأرسلت الحكومة قوات بلغت نحو ١٢٠٠٠٠ رجل لاخماد الثورة فى توبا Toba وفوشيمى Fushimi وهاكوداته ، ولقى ٣٥٥٦ رجلا مصرعهم وجرح ٣٨٠٣ رجلا • وخسرت قوات باكوفو Bakufu والعشائر التى تساندها ٤٧٠٧ رجلا • وفاقت الخسائر التى منيت بها اليابان فى تلك المعارك خسائرها فى حربها مع الصين • فقد أرسلت اليابان ١٢٠٠٠٠ رجل الى الصين ، فقتل منهم ٥٤١٧ رجلا • وكانت الجماهير هى القوة الدافعة للثورة ••• » (٣) •

لايعتبر علماء اليابانيات السوفيت الذين يهتمون بالطبيعة الثورية للميجى اشن ، أنفسهم أول من تطرق الى البحث فى هذا الموضوع • فنحن نؤكد صحة الأحكام التى أصدرها الايديولوجيون اليابانيون التقدميون بشأن تلك الأحداث • فأنا أستشهد ، على سبيل المثال ، بكلمات كوتوكو شوسوى Kotoku Shusui ، أحد الثوريين والمفكرين فى اليابان ، الذى كتب فى بحث علمى له بعنوان « طبيعة الاشتراكية » ما يلى :

« التاريخ الاجتماعى سجل حافل بالثورات • والثورات تؤدى الى تقدم البشرية • فتخيل أحوال الجنس البشرى الآن لو لم يقم كرومويل بثورته فى بريطانيا ، أو لم يقم الأمريكيون باعلان الاستقلال ، أو لم يقم الشعب الفرنسى بالثورة على الملكية ووضع نظام جمهورى ، أو لو أبقت انجلترا على النظام الاقطاعى المتفكك ، أو لم يتم توحيد ايطاليا ، أو لم يقم الانقلاب الميجى فى اليابان (٤) •

يعتقد علماء اليابانيات السوفيت ـ بخلاف الكثير من زملائهم الأجانب ـ أن ثورة ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ ثورة بورجوازية ، وأنها لم تكن ظاهرة استثنائية بين الظواهر الطبيعية الأخرى التى تحدث فى العالم ، ونحن نرى أن الميجى اشن قد حولت اليابان من الاقطاع الى الرأسمالية شأنها فى ذلك شأن الثورات البورجوازية التى قامت فى أوربا الغربية • ونحن نستمد وجهة نظرنا من تجارب دول كثيرة • وتبين لنا تلك التجارب أن هناك عوامل كبيرة تؤدى الى قيام الثورة • تتمثل العوامل التى تؤدى الى قيام الثورة فى المزايا الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية التى تتمتع بها هذه الطبقة أو تلك • وليست الخلفية الاجتماعية أو الانتماء الطبقى

لزعماء الثورة • يظهر تحليلنا لنتائج الميجى اشن أنها كانت بداية تحول الاقطاع الى الرأسمالية ، وأن البرجوازية اليابانية قد حصلت على المزايا الحقيقية بعد الصراع الذى ذاهم البلاد عامى ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨ ، واضطرت القوى الاقطاعية الى التكيف مع المعايير البورجوازية حتى تتمكن من الحفاظ على سيطرتها على البلاد • ويتجلى ذلك فى سن قوانين الاصلاح الزراعى عـــام ١٨٧٣ ، التى حددت ملكيـــة الأراضى وفقا للقانون البورجوازى ، لا القانون الاقطاعى • ويسمح القانون الأول بالملكية الخاصة للأراضى ، كما يعطى حرية شراء الأراضى وبيعها • ونحن هنا لانتفق مع ما ذهب اليه البروفسيور اليابانى توياما شيجيكى Toyama Shigeki ، حين قال فى مؤلفه الكبير بعنوان "Meiji Ishin" « ان أحداث عامى ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨ كانت مجرد تحول البلاد من اقطاع الى اقطاع آخر » • ونحن نرى أن توياما لم يقدر مدي نمو البيئة الرأسمالية في المجتمع الاقطاعي فى عهد باكوماتسو Bakumatsu حق قدرها • كما أنه لم يمط اللثـــام عن اسهام الطبقة البورجوازية الجديدة (أى : المؤسسات التجارية والبنكية مثل : متسوى وكونونكه ، سوميتومو •• الخ) التى كانت بين من تصدوا لحكومة باكوفو • ويميل علماء اليابانيات السوفيت الى الاعتقاد بأن هناك ثلاث قوى قادت زمام النضال ضد الاقطاع الذى تمثله حكومة باكوفو • وقد سعت تلك القوى الى تحقيق أهداف مختلفة ، كما مثلت ثلاثة تيارات مختلفة • وهذه التيارات هى (١) الفلاحون البسطاء وأهل المدن الفقراء ، الذين قاوموا الحكم الاقطاعي ، بشكل عفوي ، دون أن يكون لديهم هدف سياسي واضح (٢) نبلاء البلاط والساموراي الذين حاربوا نظام الشوجون لبسط يد الامبراطور ليحكم حكمـا مطلقـــا (٣) البورجوازية التجـــارية والصناعية الناشئة التى ســـاندت الامبراطور ، وكانت تسعى لتحقيق أهدافها الطبقية المستقبلية ، وكلما مضت البلاد نحو اصـــلاحات الميجى ، كلما زادت المزايا والامتيازات التى حصل عليها التجار ورجـــال البنوك ورجال الصناعة •

وليس معنى هذا أن اليابان قد تحولت الى مجتمع من طبقة بورجوازية تحت حكم امبراطور الميجى ، فعلماء اليابانيات السوفيت يعتبرونه اتحاد لقوى ملاك الأرض والبورجوازيين ، وهو اتحاد تأثر فى القرن التاسع عشر تأثرا رئيسيا بمصالح ملاك الأرض ، وباتت الملكية المطلقة باســـــتقلالها النسبى فى تقرير سياسات الدولة رمزا للدور الرائد الذى يلعبه ملاك الأرض في الهيئة الأوليجاركية الحاكمة (حكومة تهيمن عليها جماعة صغيرة همها الاستغلال وتحقيق المنافع الذاتية) • ولكن لم يكن حكم الامبراطور حكما مطلقا كحكم البربون Bourbon فى فرنسا أو حـــــكم التيودور

Tudor في انجلترا ، الذين اعتمدوا على تأييد الاقطاعيين من أصحاب الأراضي ونبلاء البلاط • ولكن حكم الامبراطور كان نوعا آخر من الأوتوقراطية عبر في آن واحد عن مصالح البورجوازية التجارية والبنكية والصناعية اليابانية • وهذه هي أهم النتائج الاجتماعية لثورة ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨ التي ننظر اليها نحن الماركسيون باهتمام بالغ •

وهذا لايعني أننا لانهتم بأوجه الحياة الأخرى في البلدان التي تشهد أحداثا ثورية • فنحن ننظر الى أية ثورة في أي بلد ــ وحتى الثورات البورجوازية منها ــ على أنها البوتقة التي تنصهر فيها تجارب الشعوب • وهذه الثورات تؤثر على مصير الشعوب وتعطي الناس دفعة جديدة من أجل الاستمرار في الحياة ، وتبعث في نفوسهم الأمل من جديد ، كما تبعث فيهم الرغبة والاصرار على العمل • ولا تستثنى الثورة اليابانية من تلك الثورات • فقد أظهرت تلك الثورة اصرار الشعب الياباني ، بما فيه زعماء الحكومة الجديدة ، على انقاذ البلاد من الوقوع في براثن الاستعمار ، وتحقيق التنمية في ظل الاستقلال • كما أن البورجوازية القوية قد أثرت على سياسة الدولة أثناء الثورة ، فزاد نشاط التجار ورجال الأعمال والمثقفين ، وساعد ذلك النشاط في الاسراع بعجلة التنمية في مجالات التعليم والثقافة ، وزيادة الانجازات في مجال العلوم والتكنولوجيا • وسعت حكومة الميجي نحو تحقيق ذلك الهدف ، حتى تجعل من اليابان دولة قوية تسير في ركب الحضارة الرأسمالية ، وحتى تحيط صورتها بهالة من الحكمة والبصيرة والتقدمية ، وذلك رغم أن كثيرا من أوجه تلك السياسة التي اتبعتها الحكومة ــ سواء السياسة الداخلية أو الخارجية ــ لم تدعم تلك الصورة التي حاولت الحكومة رسمها لنفسها • ولا ننكر أن الاصلاحات التي أجرتها حكومة الميجي في مجال الثقافة كانت عظيمة بحق • ولا يرجع الفضل في تلك الاصلاحات الى بلاط الامبراطور أو الى العسكريين ، وانما للمثقفين اليابانيين الذين صمموا على التخلص من الأفكار الاقطاعية العتيقة ، وافساح الطريق أمام الأفكار التقدمية الجديدة • كما ينظر علماء اليابانيات السوفيت الى أنشطة وكتابات المفكرين المستنديرين البارزين ، أمثال فوكوزاوا يوكيتشي Fukuzawa Yukichi وناكاي تشومين Nakae Chomin ، باحترام بالغ • ونحن ننظر الى أولئك العلماء والمفكرين على انهم خير من مثل المجتمع الياباني أثناء فترة الميجي •

وتجدر الاشارة الى أن العلماء السوفيت لايبالغون في تقدير الأهمية التاريخية لفترة حكم الميجي ، فقد أشار كثيرون منهم ، وعلى رأسهم ا • م • زوكوف E. M. Zhukov و هـ • ت ايدوس H. T. Eidus

الى أن ثورة ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ كانت بداية تحول المجتمع اليابانى من الاقطاع الى الرأسمالية ٠

رغم التغيرات الكبيرة التى شهدتها البلاد فى نهاية القرن التاسع عشر، الا أن آثار الاقطاع لم تختف الا بانتهاء الحرب العالمية الثانية ٠ وينم بقاء شكل شبه اقطاعى من أشكال ملكية الأرض بعد الثورة عن عدم اكتمال الاصلاحات البورجوازية اليابانية ٠ اذ ظل الفلاحون اليابانيون خلال القرن التاسع عشر وفى منتصف القرن العشرين رازحين تحت نير ملاك الأرض وتعرضوا لاستغلال بشع على النحو الذى كانوا يتعرضون له فى المرحلة السابقة على التحول الرأسمالى ، وقد أحست فئات الشعب العاملة بوطأة الاقطاع بأشكال عدة ٠ فكانت هناك بعض الممارسات التى لم تنته بانتهاء العهد الاقطاعى ، مثل قيام الآباء ببيع بناتهم لأصحاب المصانع ، وتقاضى العمال اليابانيين أجورا منخفضة للغاية ٠ ولم تختلف أجور العمال اليابانيين عن أجور العمال فى الدول المستعمرة فى كثير من الأحيان ٠

كما أن بنية الحكومة وسياسة الدولة ظلت تحتفظ برواسب واضحة من النظام الاقطاعى ، فلم تتخلص اصلاحات الميجى من تلك الرواسب ، بل على العكس من ذلك ، فقد عملت على تأييدها ، مثل حكم الامبراطور المطلق أو ما يعرف ب « التينوسى) Tennosei ٠ ولم تضع تلك الاصلاحات حدا للامتيازات التى تمتع بها الارستقراطيون ٠ ويعد قيام الحكومة بقمع الحركات التى قام بها الشعب للمطالبة بالحقوق المدنية والحصول على الحرية ، وكذلك دأبها على زرع عقيدة الشنتو Shinto فى جسد اليابان واتخاذها الدين الرسمى للدولة ، خير دليل على سيطرة روح العصور الوسطى المناوئة للديموقراطية على عقول أولى الأمر فى اليابان آنذاك ٠

لماذا لم تتطور الثورة ؟ ولماذا لم يتخلص الفلاحون اليابانيون من عبودية أصحاب الأراضى ، وما الذى حال دون حصول كافة الشعب اليابانى على الحقوق الديموقراطية الأساسية التى حصلت عليها شعوب أخرى ، كالشعب البريطانى والشعب الفرنسى ، وشعوب بعض الدول الرأسمالية الأخرى فى غرب أوربا ؟ يمكننا الاجابة على تلك الأسئلة اذا تتبعنا سلوك أولئك الذين قاموا بالانقلاب : لم يشأ رجال البلاط الارستقراطيين أو رجال الساموراى ، أو من كانوا يسيرون فى ركابهم ، كالتجار أو رجال الأعمال أو رجال البنوك ، القضاء على الاقطاع قضاء تاما ، ولم يريدوا أن ينحازوا الى جانب المشاركين فى ثورات الفلاحين التلقائية ٠ الذين لم يكن لديهم هدف سياسى واضح يسعون لتحقيقه ٠

وكشفت الحركات الفوضوية ، شبه الدينية ــ التى عرفت باسم « اى يا ناتى كا » ــ عن أن الفلاحين والجماهير من أبناء المدن لم يتمتعوا بالنضج السياسى ، كما لم يكن لدى الطبقات الدنيا ، أو فئات المثقفين الصغيرة أو البورجوازيين اليابانيين ، أى برنامج سياسى ثورى واضح • ومما سبق يتضح لنا عدم وجود تنظيم ثورى قادر على التعبير بدقة عن مصالح ومطالب الطبقات التى تعرضت لقمع حكومة الشوجون •

أما فيما يتعلق بالقادة الأرستقراطيين ورجال التساموراى الذين تزعموا الانقلاب ، فقد سارت طموحاتهم فى تيار معاكس للثورة فى الأعوام التى تلت الثورة ، فبدلا من الحفاظ على المد الثورى ، سعوا الى استقرار الأوضاع • فقاموا باخماد الفتن وثورات الفلاحين ، ولم يتوانوا عن عن استخدام كافة أنواع الأسلحة فى سبيل تحقيق ذلك • وبعد أن وحدوا صفوفهم ، بدأ المؤيدون لمبدأ استعادة الامبراطور لهيمنته وبسط نفوذه ، أو ما يعرف بالميجى اشن ، يدسون أنوفهم فى الأنشطة التى يقوم بها السواد الأعظم من الناس ، ونجحوا فى ذلك تدريجيا • وبحلول عام ١٨٧٣ كانت ثورات الفلاحين تلفظ أنفاسها الأخيرة بسبب الاصلاحات الزراعية وما تلاها من اصلاحات أخرى ، والقضاء على من كانوا يحرضون الفلاحين على الثورة • فتم احتواء تلك الثورة • وجعلت هذه الأسباب علماء اليابانيات السوفيت يقولون ان الميجى اشن لم تكن ثورة بورجوازية فحسب ، ولكنها كانت « ثورة لم تكتمل » • وتبرز هذه العبارة معالم محددة فى تطور اليابان ، وتبين لنا أن ثورة القرن التاسع عشر قد أعيق سيرها وهى فى منتصف الطريق • لذا فقد احتفظت اليابان ببقايا النظام الاقطاعى الى أن وضعت الحرب العالمية الثانية أو زارها •

أصبحت اليابان دولة امبريالية منذ بداية القرن العشرين ، تحكمها طبقة بورجوازية احتكارية ، وتناقضت السياسة الخارجية التى اتبعتها اليابان خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، ويرجع ذلك التناقض الى عدم اكتمال الاصلاحات البورجوازية التى قامت بها حكومة الميجى ، اذ عملت تلك الحكومة على خلق قوة عسكرية قادرة على صد أى اعتداء على البلاد ، واتفق ذلك الهدف مع مصالح الشعب اليابانى ، ولكن الطبقة الحاكمة ، ممثلة فى أصحاب الأراضى والطبقة البورجوازية ، عملت على توحيد صفوفها والتمتع بقدر كبير من الحرية فى العمل ، بعد حصولها على قدر وافر من الحرية بفضل الميجى اشن • وفى نفس الوقت ظهرت تيارات جديدة فى سياسة اليابان الخارجية ، فلم توجه اليابان سياستها الخارجية نحو حماية حدودها فقط ، وانما اتجهت الى التوسع وغزو الدول الأخرى • وكانت الحملات العسكرية

التى قامت بها اليابان ضد تايوان عام ١٨٧٤ ، ثم كوريا عام ١٨٧٦ بداية تلك التيارات التوسعية • وتتمثل النتائج السلبية لعدم اكتمال الثـورة البورجوازية فى التاثير المتزايد الذى مارسه المتطرفون العسكريون ذوو الأفكار الاقطاعية على الحكومة والحياة السياسية فى اليابان • فتحولت الحكومة بدورها الى تسليح البلاد وتحويلها الى قوة عدوانية غاشمة تهدد أمن الدول المجاورة لها فى نهاية القرن التاسع عشر ، فتحول أبطـــال الميجى اشن ، وهم الذين دافعوا عن حرية بلادهم ، الى سياسة العدوان وتهديد استقلال الدول الأخرى ، ومروا بمرحلة التحول التاريخى التى مر بها أبطال الثورة الفرنسية ، وأقصد بهم نابليون وأعوانه • ان حقبة الميجى لم تجلب للشعب اليابانى الوحدة الوطنية فحسب ، بل شهدت تلك الفترة نمو الروح العسكرية الامبريالية التى جرت البلاد الى كوارث لـم تكن فى الحسبان ، فعانى الشعب اليابانى وعانت الدول المجاورة • لذلك فعلينا توخى الحذر عند تقييمنا للاصلاحات والتطورات التى شهدتهـا الميجى اشن ، كما يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ازدواجية السياسـة اليابانية التى عرفتها تلك الفترة ، ولا نغفـل ايجابيات وسلبيـات تلك السياسة •

مراجـــع وملاحظـــات :

(١) J. W. Hall, Japan from Prehistory to Modern Times Delta Books, New York, 1971), p. 266.

(٢) Translation of the Institute of Oriental Studies Vol. XV·

(٣) Collection of Articles on Japan (Academy of Sciences of the USSR, MOSCOW, 1956), p. 131.

(٤) Nihon no rekishi (A History of Japan), Vol. 20 : Meiji Ishin (chuo Koronsha, Tokyo, 1971), pp. 131-132.

(٥) G. D. Ivanova Kotoku : Revolution and Writer (Moscow 1959) p. 25.

مغزى التحولات الثورية

بقـــلم
بيوتر فيدوسييف Pyotr Fedoseyev
أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى ٠
موســكو
الاتحاد السوفيتى

يمكن لنا مقارنة التقدم الاجتماعى والقومى فى كثير من الدول ٠ ولهذه المقارنة أهمية كبيرة فى التعرف على الحاضر والمستقبل ٠ كما يمكن لنا الحصول على نتائج ايجـابية بفضل تعـاون العلماء من مختلف أنحـاء العالم فى هذا المجال ، وان انطوى هذا الأمر على كثير من الصعوبات ٠ فالمطلوب هو تحديد طابع وشكل ذلك التعاون ، مع الأخذ فى الاعتبار المفاهيم التاريخية المختلفة ، والآراء الأيديولوجية ومنـاهج البحث السـائدة فى الدول المختلفة ٠ وحتى فى البلد الواحد ـ ولتكن اليابان على سبيـــل المثال ـ تتعدد الآراء حول الاصلاح الاجتماعى وحول الميجى اشن بصفـــة خاصة ، وتتشابه آراء بعض العلماء اليابانيين مع آراء العلماء السوفيت عند تقييم الميجى اشن ٠ وتدل هذه الحقيقة على عدم تجانس الآراء المتعلقـة بأية ثورة ، وعند قيامنا بوضع الاطار العام للمقارنة وتحديد مناهج البحث العلمى ، علينا أن نتذكر وجود آراء مختلفة فى هذا الشأن ، ولكننا لا ننكر أهمية تبادل الآراء فى ندوة أو مؤتمر ، وذلك لأن تبادل المعلومات مع الآخرين وسماع آرائهم يساعدنا على المضى فى دراستنا ٠

وقد ناقشنا الميجى اشن باعتبارها ثورة يمكن مقارنتها بالثورات التى قامت فى دول أخرى ، فالتغيير الثورى ليس مجرد موضوع أكاديمى ، بل

يمكن ترجمته الى ممارسة أو واقع ، والمناقشات من هذا النوع لا تنطوى على أهمية أكاديمية فحسب ، بل يمكن أن يكون لها معنى فى واقعنا ، وتكمن أهمية الميجى اشن فى المغزى الذى يمكننا أن نستفيد منه فى حياتنا • ولقد طرح الكثير من العلماء آراء ايجابية حولها ، بينما وصف آخرون مظاهرها السلبية •

ومن الطبيعى أننا لا نستطيع أن نعرض هنا الا لأكثر الآراء عمومية حول أهمية الثورة لتطور البشرية وتقدمها • لقد ظلت الانسانية تعانى من مصائب اجتماعية رئيسية ثلاث على مدى قرون طويلة : استغلال الانسان واضطهاده لأخيه الانسان ، والاضطهاد العقلى والعنصرى ، والحروب المدمرة • وعلى مر الأجيال تناقل المفكرون الأفكار المثالية عن الاخاء والمساواة بين جميع الناس وجميع الشعوب ، وعن السلام الدائم والوئام • ولكن الى الآن لم تتوفر الظروف المادية أو القوى الاجتماعية المطابقة لها أو معرفة سبيل تحقيق هذا الحلم القديم •

وأيا كان الأمر ، فلم يكن بوسع الانسان مقاومة التقدم التاريخى • وها قد جاء الوقت الذى تتوافر فيه الظروف المادية والاجتماعية التى تساعد على التحول الثورى بالمجتمع ، وتحرير الطبقات الكادحة من الاستغلال ، والقضاء على الاضطهاد القومى والصراعات العسكرية الدامية •

ان التقدم التاريخى قد يمضى فى مسار تطورى قائم على مبدأ ثورى • ويمكننا الاستعانة بالنظرية التطورية لدراسة مراحل التغيير التغيير التدريجى ، وقد ينطلق كالرصاصة ، فيأتى بتغيير جذرى وزلزال ثورى • ويمكننا الاستعانة بالنظرية التطورية لدراسة مراحل التغيير المختلفة ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر حتمية التحول الثورى • بل اننا نرى أن التغيير التقدمى يتحول بالضرورة الى تغيير سريع فجائى ، وهو ما نطلق عليه كلمة « ثورة » • وهذا قانون تاريخى • والثورة عملية تحول ضخمة تتطلب ما هو كائن ، ليحل محله شىء جديد ، أى تحطيم الأنظمة العتيقة والقيام بالتغيرات الفجائية فى الحياة الاجتماعية • وكما يقول كارل ماركس ، ان التغيير لابد أن يجعل التقدم ممكنا من الناحية العلمية والاجتماعية والتكنولوجية • وقد قال أيضا ، ان الثورة هى الدنيامو أو القوة الدافعة للتاريخ • والقضية المطروحة أمامنا هى « ما الثورة » ؟ ليست الثورة مجرد صدام دورى بين المجموعات الطبقية داخل المجتمع ، وانما هى صدام حاسم بين الطبقة الحاكمة وجموع الشعب المضطهدة • فيؤدى ذلك الصدام الى انتقال السلطة من أيدى الطبقة الحاكمة الى أيد أخرى ، وهى تقتضى ضرورة تغيير الهيكل الاقتصادى والمؤسسات الاجتماعية والآراء الأيديولوجية •

يمكن للثورة أن تكون بطيئة وممتدة ، كما هو الحال فى الميجى اشن التى تعد ثورة بورجوازية وقومية من ناحية المضمون • ويمكن اعتبارها انتقال للسلطة من أيدى الطبقة الحاكمة إلى أيدى مجموعات اجتماعية جديدة فى اطار العملية التى اضطلعت بها اليابان لتغيير علاقاتها مع الدول الأخرى • ويمكن أن نطلق عليها أيضا ثورة قومية ، حيث أثرت الشعور القومى لدى اليابانيين • وعموما يمكننا أن ندعو الاصلاح الميجى بالثورة ، حيث أدت الى انتقال السلطة من طبقة الى أخرى • ومن ناحية الشكل ، كانت الميجى اشن استعادة للنظام الأمبراطورى • أما من ناحية المضمون ، فقد ابتعدت الميجى اشن عن الاستبداد العسكرى ونظام الاقطاع ، واتجهت نحو النظام البورجوازى • وبذلك أنهت الأوتوقراطية الاقطاعية والعسكرية ، ومهدت الطريق أمام تطور الرأسمالية •

وكانت ثورة الميجى ، والاصلاحات التى أعقبتها ، ذات أهمية كبيرة ، فقد ساعدت على تطور اقتصاد وسياسة وثقافة اليابان ، كما ساعدت على التغلب على سيطرة رأس المال الأجنبى • وجدير بالذكر أن « حيتان » الصناعة والتجارة والبنوك قد تعاونوا مع طبقة الساموراى العسكرية والاقطاعية ، وكثفوا من استغلالهم لقطاعات عريضة من الشعب اليابانى ، وانطلقوا فى طريق التوسع الجامح وبعث الروح العسكرية •

ولم تنجح أية ثورة بورجوازية فى القضاء على النظام الاقطاعى تماما ، ولكن يمكن القضاء على الكثير من بقايا الاقطاع عن طريق ثورة من هذا النوع تحت ضغط الانتفاضات الشعبية والمظاهرات التى تقوم بها كافة قطاعات الشعب ، كما حدث فى اليابان بعد الميجى اشن • وهناك مبرر لأن نزعم أن القضاء على بقايا الاقطاع لم يتحقق الا بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها تحت ضغط الجماهير •

قضت الثورات المعادية للاقطاع على سيطرة الارستقراطية المالكة للأراضى فى أوربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وحررت الفلاحين — ولو من ناحية الشكل — من الرق ، ومهدت الطريق أمام تطور الصناعة والتجارة والنقل بسرعة • ولكن القوة السياسية والاقتصادية وضعت فى يد فئة صغيرة من الملاك ونعنى بهم البورجوازيين من أصحاب الصناعة والتجارة ، فلحق الدمار بغالبية السكان ، الذين تحولوا الى اجراء أو فلاحين يعتمدون على أولئك البورجوازيين •

وفى مجال السياسه الخارجية فتحت الرأسمالية صفحة قاتمة من صفحات تاريخ غزو الاستعمار للبلاد الأجنبية واضطهاد شعوبها ، كما أدى التنافس بين الدول الرأسمالية المتقدمة على غزو الأراضى الأجنبية والصراع

من أجـــل السيطرة ـ على المستويين المحلى والعالمى ـ الى اندلاع حروب دموية مدمرة ٠

دعونا نلقى نظرة على المظهر الاجتماعى للثورة ، هناك عدة أنواع من الثورات ٠ ويوجد الآن ثلاثة أنواع من الثورات ٠ فهناك الثورة التى تقوم ضد الاقطاع ، والثورة ضد البورجوازية ، والثورة ضد الاستعمار ٠ وفى أوربا ، قامت الثورات المعادية للاقطاع فى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، وقضت على الاقطاع ، واستعباد الأقنان الذين كانوا يعملون لدى الاقطاع أراضيهم ، مما مهـد الطريق لظهور البورجوازية فى أوربا ، وقيام ثورات بورجوازية ساعدت على انتقال السلطة الى أيدى الرأسماليين ٠ وكان أقنان الأرض محرومون فى أوربا العصور الوسطى من امتلاك الأرض ومن ممارسة الحقوق السياسية ، فى الوقت الذى تركزت فيـــه القوة والسلطة التشريعية فى أيدى الملاك ٠

ما القوة الدافعة للثورة ؟ ومن البطل فى أى ثورة ، ســواء أكانت ثورة على الاقطاع أو ثورة على البورجوازية أو ثورة على الاستعمار ؟ تتجمع عـدة قوى وتساعد على ظهور البطل ٠ فيمكن للبورجوازية أن تلعب دور البطل وأن تصبح هى القوة الدافعة للثورة ضد الاقطاع ، بأن تحشد ضده تأييد الجماهير الشعبية ٠ وتكون النتيجة هى ولادة دولة بورجوازية قومية ، ولكن جماهير الشعب لاتستفيد بخيرات تلك الثورة ٠ ويمــكن أن تكون هناك قوى أخرى معادية للاقطاع ٠ ففى اليابان ، حظيت الحركات المعادية للاقطاع بتأييد الشعب الذى عانى من ظلم الاقطاعيين ، كما حظيت بتأييد عناصر فردية من صفوف الاقطاعيين مثل الساموراى أو جماعات الشيزوكو Shizoku الذين عارضوا الدكتاتورية العسكرية ٠ وهذا يعنى أن الحركة المعادية للاقطاع استطاعت الاعتماد على تأييد بعض ممثلى الطبقة الحاكمة ، التى لم تكن تشعر بالرضا عن الأوضاع القائمة على الاطلاق ٠ كما يمكن للبروليتاريا والمزارعين أن يتحولوا الى القوى الدافعة للثورة ضد الاقطاع ، وبذلك يشكلون تحالفا ديموقراطيـــا للقوى الاجتماعية ، كما حدث فى ثورة ١٩٠٥ وثورة فبراير عام ١٩١٧ فى روسيا ٠

استعمرت الدول الرأســـمالية بلدانا كثيرة فى أمريكا اللاتينيـة وأفريقيا وآسيا ، وعانت تلك الشعوب المستعمرة من اضطهاد الطبقـات الحاكمة ٠ وكانت حركات التحرر الوطنى تعادى الاستعمار والاقطاع وبعض مظاهر الرأسمالية فى أن واحد ، فكانت موجهة ضد القوة الاســـتعمارية والملاك المحليين ورجال الأعمال الأقوياء الذين يساندون الطبقة الحاكمة ٠ وظهرت حركات التحرر الوطنى فى الصين وفيتنام وبعض دول أمريـكا اللاتينية والمكسيك ، وتميزت تلك الحركات بطابع العنف المسلح ٠

ويمكننا ملاحظة أوجه التشابه بين الثورة التى قامت فى المكسيك وتلك التى قامت فى اليابان · ورغم هذا التشابه ، فقـــد كان جوهرهما مختلفا · ولكن هناك أوجه تشابه بين ثورة المكسيك والثورات التى قامت فى بعض بلدان أمريكا اللاتينية ، كما أن هناك أوجه تشابه بين ثـورة المكسيك والثورة الصينية التى قامت فى شنغهاى عام ١٩٢٧ · ولكن لايمكن أن يعتمد تحليلنا للثورات على أساس أوجه التشابه وحدها ، فعلينا أن نأخذ فى الاعتبار القوى الاجتماعية للثورة ، وكذلك الأهداف والأفكار والايديولوجيات التى تصاحبها والاصلاحات التى تأتى بها · فقد شهدت فرنسا ما يعرف بحركة التنوير قبل قيام الثورة بها ، مثلما ساد الفكر الديموقراطى الثورى الرأى العام فى روسيا · ومهد المفكرون الطريق لقيام الثـــورة فى روســـيا · ومن أولئك المفكرين نيقولاى تشيرنشيفسكى Nikolai Chernyshevsky ، الذى قضى ثلاثين عاما بالسجن ، ثم نفى الى سيبيريا بعد أن صدر عليه الحكم بالأشغال الشاقة والنفى الى منطقة استراخان Astrakhan ، حيث توفى هناك · وظل ذلك الرجل يعد لقيام الثورة رغم المعاناة والآلام · ولم تخل دول أمريكا اللاتينية من الأبطال ، أمثال ذلك الرجل ، الذين عملوا على ايقـــاظ الروح القوميـــة والاعداد للثـــورة ·

والثـورة البورجوازية ليست الحلقـة الأخـيرة فى سلسلة الصراع الثورى ، اذ لابد أن تعقبها ثورة بروليتاريا اجتماعية ان عاجلا أم آجلا · كما أن الثورة البورجوازية علامة بارزة فى طريق التقدم التاريخى · ولكن المهم هو ما يحدث بعدها وتأثيرها على العلاقات الدولية · وتتخذ الثـورة صورا متعددة قد تنطوى على صراعات مسلحة أو اجراءات سلمية · ولقد أدت ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فى روسيا الى تغيرات شاملة أثارت دهشـة العالم على حد قول جـون ريد John Reed · ويقول بعض المعارضين لها انهـا قد أطلقت العنـان للعنف المروع ، غير أن الوثائق وشهادات الشهود توضـــح أنه لم يسقط فى عملية اقتحام قصر الشتاء سوى ٢٠ شخصا حينما هاجمه الثوار وأسقطوا الحـكومة البورجوازية ، ولكن الدمار لحق بروسيا السوفيتية ، واضطرت الى بذل تضحيات كبيرة عندما تصدت للتدخل الأجنبى المسلح الذى سعى للنيل من الثـورة بعد مضى فترة من الوقت · ولكن ذلك الدمار وتلك التضحيات لم تعق التقدم التاريخى للبـــلاد ·

حررت ثورة أكتوبر العظيمة قطاعات الشعب من الاضطهاد الطبقى والقومى ، ومهـدت الطريق أمام الشعب العامل مـن كافة الأجنـــاس والقوميات للتمتع بالمساواة الحقيقية والتعاون الطوعى لتحقيق تنمية حرة

ومتناسقة الاتجاهات • وحققت جميع القوميات بالاتحاد السوفيتى ، بما فيها القوميات المتخلفة التى تقع على أطراف روسيا القيصرية ، وسط آسيا وكزاخستان وسيبيريا ، قدرا هائلا من التقدم الاجتماعى منذ قيام الثورة • وعرفت كل جمهورية من الجمهوريات السوفيتية النمو الاقتصادى السريع ورفع مستوى المعيشة واثراء الشعور الوطنى وتحقيق التقدم العلمى وازدهار الثقافة •

وهناك أبحاث علمية ترى أن الميجى اشن لم تأت بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والنفسية فحسب ، كما هو الحال فى الثورات العادية ، فقد شملت الثورة كافة مظاهر المجتمع : بما فيها الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والثقافية ••• الخ • والثورة الاجتماعية هى ثورة ثقافية أيضا ، ولكنها ليست ثورة ثقافية فحسب • وكان لينين أول من ناقش مفهوم الثورة الثقافية • وقد أثار كثير من العلماء الجدل حول العلاقة بين الثورة والثقافة • ولكن لينين هو أول من قدم نظرية الثورة الثقافية ، تأسيسا على فكرة ماركس التى تدعو الى ضرورة قيام الثورة للقضاء على المؤسسات القديمة والمخلفات السيئة للعصر السابق ، وضرورة حصول الطبقة العاملة على القوة اللازمة لقيام الثورة • وأكد ماركس على المظاهر الاجتماعية الايديولوجية للثورة ، وبرهن لينين على وجود الجانب الثقافى للثورة •

قامت ثورة أكتوبر فى روسيا ، وتلتها الثورة الثقافية التى قامت بفضل القوات الشعبية ، وقامت الثورة الشعبية باعادة تنظيم المضمون الثقافى ، وجعلت الثقافة فى متناول القاعدة العريضة من الشعب • ولم ترفض هذه الثورة الثقافية الثقافة البورجوازية برمتها ، فقد احتوت الثورة الثقافية أفضل ما كان بالماضى من تراث عند اعادة تنظيم مضمون الثقافة • والملمح الثانى هو انتفاضة الشعب لتحقيق الثورة الثقافية ، وهو ما حدث فى الثورة الروسية التى أعطت كل مواطن الحق فى التعليم العام والتعليم بالجامعات والمعاهد العليا بالمجان • والملمح الثالث المميز هو ظهور الصفوة المثقفة من العمال والفلاحين ، أى من بين قطاعات الشعب المعدمة (البروليتاريا) • والصفوة المثقفة التقليدية التى تنحصر فى نطاق دائرة محدودة منعزلة عن الطبقات العاملة ، أى أنها لم تكن من الصفوة التى يجب أن تكون فى مجتمع اشتراكى • وخلقت صفوة مثقفة من البروليتاريا من الطبقات الكادحة المعدمة • هذه هى سمات الثورة الثقافية الحقيقية فى روسيا • ويمكن لأية ثورات ثقافية أخرى أن يكون لها نفس السمات • كما ينبغى لأية ثورة فى أية أمة أن تتوافر لديها اشتراطات

مماثلة من أجل تحقيق التقدم والنهوض بالثقافة • كما ينبغى لذلك التغيير أن يوفر الظروف والاشتراطات اللازمة لتقدم المجتمع والانسان • لقد مرت دول كثيرة بالتحولات الثورية التى مرت بها روسيا ، وقد تمر دول أخرى بهذه التحولات فى المستقبل •

ثانيا :

المحيط الدولى



النهوض باليابان ومسايرتها لطابع العصر
من منظور العلاقات الدولية

بقـــلم
شباهارا تاكوجى Shibahara Takuji
جامعة ناجوياسيتى
ناجويا ــ اليابان

خاضت اليابان تجـــربة الميجى اشن فى الخمسينات من القـــرن التاسع عشر وما تبعها من عملية تحديث استمرت حتى نهاية ذلك القرن• وكانت ذروة تلك الفترة التى شهدت تغييرات هائلة تتمثل فى الانتفاضة العارمة التى اجتاحت اليابان فى الفترة من عام ١٨٦٨ وحتى عام ١٨٧١ ، وأدت الى القضاء على نظام الشوجونية Shogunate ، وقامة حكومة مركزية عصرية ، فكان ذلك نقطة تحول فى تاريخ اليـــابان ، التى أخذت تنهض بكافة مؤسساتها ، واتجهت بخطى واســعة نحو التصنيع • وكان تأثير الغرب هو الذى دفعها الى ذلك • فقد سعت اليابان الى مســـايرة طابع العصر ، واجراء تغيرات شاملة ، حتى تستطيع الصمود أمام ضغط العالم الغربى وزحفه عليها • وارتبطت كثير من المشكلات التاريخية التى عانت منها اليابان عندما أخذت فى النهوض ومسايرة طابع العصر ، بالضغوط التى مارستها القوى الغربية عليها (مثلما هو الحال فى الجهود التى بذلتها الأمم غير الغربية وهى تخوض تجـــربة التحديث) • لذلك لايمكن لنـــا الاستغناء عن دراسة البيئة الدولية اذا ما أردنا فهم الميجى اشن •

وصل الأسطول الأمريكى الى شواطىء اليـــابان عام ١٨٥٣ بقيادة

الكومادور بيرى • وكان ذلك بداية سلسلة طويلة من الضغوط الغربية على اليابان باستخدام القوة • وتعددت مظاهر تأثير الغرب على اليابان ، فاضطرت الى فتح موانيها أمام « التجارة الحرة » ، مما أدى الى تغييرات اجتماعية واقتصادية (شملت تلك التغيرات البنية الصناعية والتسويقية ومحاولة اعادة البناء التى صاحبت اندماج اليابان فى السوق العالمى) • ثم عانت اليابان من الضغوط السياسية والدبلوماسية والعسكرية ، التى مارستها القوى الغربية عقب ابرام اليابان اتفاقيات غير عادلة مع تلك القوى (وتضمنت بنود تلك الاتفاقيات التعريفة الجمركية التقليدية ، وتمتع القوى الغربية بالحق فى بناء مستوطنات أجنبية ، ومعاملة الدولة الأولى بالرعاية من جانب واحد ، والمحاكم القنصلية ، وغيرها من الشروط) • سعت اليابان الى توطيد علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع القوى الغربية ، وأدخلت العلوم الحديثة وتكنولوجيا الصناعة الى البلاد ، وزاد تأثرها بالقيم والحضارة والثقافة ومظاهر نظمها السياسية الغربية • واختلفت العلاقات التى كانت تربط بين القوى الغربية (بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا) ، فاتسمت بطابع التعاون تارة والعداء والتنافس تارة أخرى • واختلفت درجة تأثر اليابان بالغرب وفقا لهذه العلاقات التى كانت تربط بين القوى الغربية ، ووفقا لقدرتها الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية على الاستجابة لتأثير الغرب • ولا نستطيع أن نحدد بدقة أى من تلك الأوجه أسهم فى تحديث اليابان وأى منها أعاق عملية التحديث • واذا أردنا تقييم مدى تأثر اليابان بالغرب تقييما صحيحا ، فلابد لنا أن نأخذ فى اعتبارنا العوامل الداخلية والخارجية •

وفى الوقت الذى انطلقت فيه الدول الغربية صوب الشرق للبحث عن أسواق جديدة لمنتجاتها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، بعد أن شهدت صحوة رأسمالية تصنيعية ، ظلت الصين واليابان فى الطرف القصى من العالم الذى كان الغرب قد شرع فى استكشافه وارتياده • فقد ظلت هاتان الدولتان بعيدتين عن الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى استقر المستوطنون فى ولاية كاليفورنيا وعمروها فى منتصف القرن الماضى • وتغيرت الأوضاع بعد أن استغلت الولايات المتحدة قوة البخار فى تسيير السفن ، فعبرت سفنها المحيط الهادى • وتختلف هاتان الدولتان عن بقية الدول الآسيوية الأخرى ، كالهند وفيتنام التى تحولت الى مستعمرات غربية فى القرن التاسع عشر • فقد تمتعت هاتان الدولتان بالاستقلال السياسى والاقتصادى النسبى ، رغم ابرامهما لمعاهدات غير عادلة مع الغرب ، واضطرارهما الى فتح الموانىء عنوة • وأجرى العلماء كثيرا من

البحوث للمقارنة بين هاتين الدولتين ، وبحث الأسباب التى ساعدت اليابان على المضى نحو التقدم بخطى واسعة ، بينما لم تلحق الصين بركب التقدم ، رغم أوجه التشابه التاريخى بينهما ·

لماذا استطاعت اليابان النهوض بمؤسساتها الاجتماعية وعرفت التصنيع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فى الوقت الذى عجزت فيه الصين عن القيام بذلك ؟ قدم لنا العلماء اليابانيون تفسيرين لهذه الظاهرة · يقول التفسير الأول ان اليابان كانت قد توافرت لديها كثير من متطلبات التقدم فى منتصف القرن التاسع عشر · ويقول التفسير الثانى ان الصين كانت أكثر خضوعا للغرب من اليابان فى الناحيتين السياسية والاقتصادية · ومن ثم استطاعت اليابان تحقيق التنمية فى ظل الاستقلال ، ويأخذ كثيرون من المتخصصين غير اليابانيين بهذين التفسيرين · ويؤيد ادوين ريسشوار Edwin Reischaur وجون فيرنبك John Faisbank (١) التفسير الأول فى مؤلفهما الكلاسيكى بعنوان « شرق آسيا : المأثور الكبير "East Asia : The Great Tradition" ، ويؤكدان على أهمية العوامل المتعددة ، التى المتعددة ، التى ساعدت المجتمع اليابانى التقليدى على النهوض ومسايرة طابع العصر · ويسلم الباحثون الصينيون والسوفيت ، الذين ينظرون الى الميجى اشن على اعتبار أنها ثورة بورجوازية لم تكتمل ، بأن اليابان كانت أكثر تقدما من الصين · أما فيما يتعلق بالتفسير الثانى ، فيعزو ب · أ · باران P. A. Baran فى كتابه « الاقتصاد السياسى للنمو The Political Economy of Growth » (٢) نجاح حركة التصنيع فى اليابان الى الاكتفاء الذاتى (انخفاض معدل الاعتماد على الدول الأخرى) ، وهو أمر لم تعهده الدول الأخرى غير الغربية الا فى النادر · وقد أثر الرأى الذى نادى به باران على « نظرية الاعتماد الجديدة "new dependency theory » التى لاقت كثيرا من التأييد فى دول العالم الثالث · ويعمل الاتجاه المعاصر على الجمع بين التفسيرين عند تحليل الظروف الداخلية والخارجية التى ساعدت اليابان على النهوض والأخذ بأسباب التقدم فى ضوء ظروفها الداخلية والخارجية ·

ونظرا لأن هذا المقال يرمى الى تقييم البيئة الدولية ازاء الميجى اشن ، فانى أود أن أتناول بالتحليل الرأى القائل بأن ضآلة اعتماد اليابان على الغرب قد ساعدها على النهوض ومسايرة طابع العصر · كما احب أن أعلق على كتاب ف · ف · مولدر F. V. Moulder بعنوان « اليابان والصين والاقتصاد العالمى المعاصر — Japan, China and the Modern World Economy (٣) · ويعتبر هذا

الكتاب رائعا لدراسة الصين واليابان،ويقدم مناقشات وحجج منهجية تساند التفسيرين السابقين ٠ وتنكر مولدر فى كتابها وجود أى خلاف نوعى فى الأنظمة السياسية الاقتصـــادية والتنموية بين الصين واليابان ، أو فى التغيرات التى صاحبت نمو اقتصاد السوق قبل الدخول في مجال التجارة مع القوى الغربية ٠ كما تقول بأن اختلاف الأحوال الاجتماعية فى البلدين قبل انفتاحهما على الغرب لم يكن بالعامل الرئيسى فى نجاح اليـابان فى مسايرة طابع العصر وفى تخلف الصين عن الركب ٠ كما تبين لنا العوامل الرئيسية ، التى أثرت على علاقة الدولتين بالقوى الغربية الرأسمالية ، وتؤكد أن الصين قد اعتمدت اعتمادا كبيرا على القوى الغربية الرأسمالية ، فى مجالات كثيرة ، أهمها التجارة والاستثمار والسياسة والدين ـ فكانت دولة تدور فى فلك الغرب ، بينما احتفظت اليابان باســـتقلالها فى هذه المجالات ٠ ثم تناقش مولد الاصلاحات السياسية والسياسات التى اتبعتها الدولتان فيما يتعلق بالتجارة والتمويل واجراءات الحمـــاية والنهوض بالصناعة لتسهيل عملية التصنيع ٠ وتؤكد فى استنتاجها على أن هذه الاصـــلاحات لم يكن من الممكن لهـــا أن تكتمل فى الصين بسبب تبعيتها الكاملة للقـوى الغربيـــة ، بينما تمتعت اليـابان بالاســتقلال النسبى ، فاستطاعت النهوض والتقدم ٠

وترى مولدر أن هنـــاك عدة اختـــلافات بين الدولتين فى علاقاتهما بالدول الأخرى ودرجة خضوعهما للقوى الأجنبية لأسباب عدة ٠ أولا : تشير مولدر الى أنه فى منتصف وأواخر القرن التاسع عشر ، ركزت القوى الغربية جهودها فى آسيا على غزو وحكم الهند ، وأندونســـيا ، والهند الصينية ، والصين ، ولم تكترث كثيرا باليابان ، تلك الدولة الصغيرة ذات الموارد الفقيرة والأسواق المحدودة ٠ ثانيا : بالاضافة الى تجارة الأفيون الشهيرة ، توسعت الصين والقوى الغربية فى تجارة السلع الاستهلاكية الأساسية (فعلى سبيل المثال ، كانت بريطانيا تستورد الشاى من الصين ، وكانت الصين تستورد البضائع القطنية من بريطانيـــا) ٠ أما بالنسبة لليابان ، فكانت تجارتهـــا محـــدودة مع الغرب ٠ ولم تكن تلك التجارة تتضمن السلع الأساســـية (فقد كانت الولايات المتحدة تستورد السلع الكمالية كالحرير الخام والشاى من اليابان ، وكانت اليابان تستورد كميات قليلة من المنتجات القطنية من الولايات المتحدة) ٠ ثالثا : كانت الصين ترزح تحت عبء دفع تعويضات فادحة أرغمت على دفعهـــا عقب هزائمها المتلاحقة فى حروبها مع القوى الغربيـــة ٠ وأصبحت الصين فى موقف ضعيف بسبب استثماراتهـــا الضخمة فى السكك الحديدية والمناجم والديون الخارجية ٠ وأرغمت القوى الغربية الصين على الســـماح بنشر

الديانة المسيحية فى أراضيها ، كما قامت القوى الغربيــة باخضــاع واستعمار الدول الخاضعة للسيادة الصينية • وتقول مولدر بأن اليابان كانت أقل تعرضا للتدخل الأجنبى فيما يتعلق بالمسائل المالية والسياسية والدينية • وهى تبنى هذه الحجج ، التى تؤكد الاختــلافات فى البيئة الدولية بتأثيرها على اليابان والصين ، على مناقشــة الحقائق تاريخية من أوائل القرن التاسع عشر حتى السنوات الأولى من القرن العشرين •

وأود أن أتعرض فى هذا المقال للآراء المتعلقة بالبيئة الدوليــة ، عندما بدأت اليأبان تأخذ بأسباب التقدم ومســايرة طابع العصر ، مع التركيز على بعض الافتراضات الجوهرية • ويمكن للقارىء أن يجد مناقشة أكثر كمالا للأسانيد التى ارتكز عليها فى كتابى :
Nihon Kinhaike no sepaishi-teki

منذ نهاية القرن الثامن عشر ، كانت الصين أحــد أضــلاع المثلث التجارى ، وكانت بريطانيا والهند هما ضلعا المثلث الآخرين ، وذلك رغم أن الصين كانت تمارس تجارتها فى مينــاء كانتون فقط ، وتحت رقابة الحكومة • ودخلت بريطانيا فى حربين مع الصين ، فخاضت حرب الأفيون الأولى عامى ١٨٤١ و ١٨٤٢ ، وحرب الأفيون الثانيــة فيما بين عامى ١٨٥٦ و ١٨٥٨ ، وكانت تسعى من وراء هاتين الحربين الى التوسع فى تصدير الأفيون للصين ، وفتح أسواق لها بالصين لترويج منتجاتها القطنية بعد ازدهار صناعة المنسوجات القطنية لديهــا • واضطرت الصــين الى الرضوخ بعد أن اتبعت بريطانيا ســياسة القوة والتهديد باســتخدام اسطولها ، أبرمت معاهدات فى نانكنج Nanking (١٨٤٢) وتيانسن Tientsin (١٨٥٨) وبكين Peking (١٨٦٠) ، وتنازلت عن هونج كونج وكولون Kowloon لبريطانيــا ، وفتحت ١٤ ميناء • كما أرغمت على دفع تعويضات ضخمة • وبدءا من عام ١٨٤٤ ، حصلت الولايات المتحدة وفرنسا على نفس الحقوق الخاصة التى سبق أن حصلت عليها بريطانيا بمقتضى المعاهدات التى أبرمتها مع الصين •

اختلف موقف القوى الغربية من اليابان • فالولايات المتحــدة التى اتخذت زمام المبادرة ، وأرغمت اليابان على فتح أبوابهــا على مصراعيها ، لم تكن تهتم بها الا باعتبارها محطة لتموين وتزويد السفن بالوقود وهى فى طريقها الى الصين ، أو باعتبارها مأوى يلوذ به البحارة اذا ما تحطمت سفنهم ، أى لم تكن الولايات المتحدة تهتم بالتجارة اليابانية فى ذاتها • ورضخ الشوجون لتوقيع اتفاقيات انسى التجارية (مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا وهولندا) عام ١٨٥٨ (بدءا بمعاهدة هاريس Harris وهى معاهدة الصــداقة والتجارة مع الولايــات المتحــدة) ،

وذلك بعد أن استعرضت بريطانيا تفوقها العسكرى الهائل اثر انتصارها فى حرب الأفيون الثانية ، وبعد أن ترددت اشاعات تفيد بأن الأسطول البريطانى الذى لايقهر سيجبر اليابان على اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع بريطانيا · وما أن فتحت اليابان أبوابها على العالم حتى أسرعت بريطانيا العظمى ــ أكبر امبراطورية ودولة صناعية عرفتها الدنيا ــ الى اقامه علاقات دبلوماسية وتجارية معها ·

وعند مقارنة الاتفاقيات التى وقعتها القوى الغربية مع الصين واليابان ، نجد أنها تضمنت فقرات غير عادلة ، كبقاء الوزراء والقناصل بصفة دائمة وتمتعهم بامتيازات ترتبط بمراكزهم ، وانخفاض معدلات التعريفة الجمركية والرسوم الجمركية التقليدية ، واقامة مستوطنات أجنبية ، والاختصاص القنصلى فى القضاء ، وتمتع الدول الأجنبية بحق الدولة الأولى بالرعاية · وفى تلك الاتفاقيات كانت هناك فقرات مقصورة على الصين وحدها ، مثل شرعية الاتجار فى الأفيون ، وحق التجار الأجانب فى ممارسة الأنشطة التجارية داخل الصين ، والسماح بنشر الديانة المسيحية ، وتعيين مفتش عام أجنبى بالجمارك للاشراف على الجمارك البحرية بالصين (بدعوى التحقق من قيام الصين بدفع التعويضات) ، ويبين هذا الاختلاف بين البلدين ، وكذلك تنازل الصين عن هونج كونج وكولون ، وقيامها بدفع تعويضات كبيرة · أن بريطانيا والقوى الغربية الأخرى قد مارست ضغوطا عسكرية وسياسية كبيرة على الصين ، نظرا لأن أسواق الصين كانت تحظى بالأولوية لدى القوى الغربية · كما يتضح لنا أن القوى الغربية قد عاملت الصين بمزيد من القسوة أكثر من اليابان ·

ومع ذلك فلابد من القيام بتحليل مفصل لتحديد ما اذا كانت هذه الاختلافات بين البلدين ، وكذلك أوجه التشابه التى أشرنا اليها آنفا ، هى المسئولة عن تمكن اليابان من النهوض ومسايرة طابع العصر ، بينما واجهت الصين كثيرا من الصعوبات فى سبيل تحقيق ذلك ·

لنلق نظرة على العلاقات التجارية للبلدين بالغرب · مما لاشك فيه أن الكم المطلق لتجار الصين واليابان قد اختلف اختلافا شاسعا · كان عدد سكان الصين ٣٠٠ مليون نسمة ، وعدد سكان اليابان ٣٧ مليون نسمة · ورغم هذا التفاوت الشاسع فى عدد السكان ، فقد بلغ اجمالى واردات وصادرات اليابان فى عام ١٨٦٧ ــ أى بعد أعوام قليلة من بدء حركة التجارة مع الغرب ــ خمس اجمالى واردات وصادرات الصين لنفس العام ، وذلك رغم أن تجارة الصين مع الغرب كانت قد بدأت قبل ذلك التاريخ بعشرين عاما ·

كانت بريطانيا العظمى أكبر مصدر للبضـــائع للصين واليابان ، وبلغت صادراتها لليابان ثلث صادراتها للصين بين عامى ١٨٧١ ــ ١٨٧٥ ، ثم بلغت خمس صادراتها للصين فيما بين عامى ١٨٨٦ و ١٨٩٠ ٠ وبنهايه القرن التاسع عشر ، كانت صادرات بريطانيا لليابان قد فاقت صادراتها للصين بصفة مطلقة ٠ ومن المعروف أن معدل نمو التجارة ككل مع الدول الغربية كان بطيئا فى الصين وسريعا فى اليابان ٠

ولفهم أهمية العلاقات الجارية فهما صحيحا ، دعونا نركز على البضـــائع القطنية التى كانت تشكل التجارة الرئيسية فى آسيا ٠ فمنذ الخمسينات وحتى الثمانينات من القرن التاسع عشر ، كانت البضائع القطنية تشكل ثلث اجمالى صادرات بريطانيا ٠ وفى عام ١٨٨٣ ، كانت آسيا أكبر سوق للبضائع القطنية ، فكانت تستوعب ٤٤ بالمائة من اجمالى صادرات بريطانيا للعالم (وكان نصف هذه النسبة يذهب الى الهند ، والباقى الى الصين ، واليابان وجاوا ، ومناطق أخرى) ٠ وبلغت واردات اليابان من البضائع القطنية التى كان أغلبها من بريطانيا ثلث اجمالى ورداتها فى الفترة من عامى ١٨٦٠ و ١٨٨٥ ٠ وظل معدل واردات الصين قريبا من هذه النسبة حتى نهاية القرن التاسع عشر ٠

زادت واردات اليابان من خيوط القطن بسرعة ، فقد فاقت وارداتها من خيوط القطن واردات الصين فى الفترة من عام ١٨٧٠ وعام ١٨٨٣ ٠ وتركزت واردات الصين من القطن على المنسوجات القطنيـــة ، رغـــم أن مبيعاتها لم تتغلغل داخل البلاد ، بل ظلت مقصورة على الموانىء والمناطق المجاورة لها ، فى حين أن واردات اليابان من البضائع القطنية انتشرت بسرعة فى كافة أرجاء البلاد ، ووصلت الى أقاصى القرى الجبلية النائية ٠ وطبقا للتقديرات التى أجرتها حكومة الميجى ، فقد كانت اليابان تستورد ٦٧٫٥ بالمائة من اجمالى ما تستهلكه من القطن فى الفتـــرة من عـــام ١٨٧٤ وعام ١٨٧٧ ٠

ولا تقتصر أهمية التجارة الخارجية على كمياتهـــا فقط ، بل يمتد تاثيرها على الانتاج المحلى وحياة الناس ٠ وفى حالة اليابان ، فقد تدفقت المنتجات القطنية عاليـــة الجودة التى كانت تتكون معظمها من الخيوط القطنيـــة ، مما كان له أثـــر بالغ على الصـــناعة المحليـــة ، فلحق الدمار بصناعات الغزل اليدوية بالريف ، ونمت صناعة الأقمشة القطنية ، التى اعتمدت على الخيوط المستوردة بصورة فجائية فى بعض المناطق ، وانهارت صناعة النسيج التقليدية فى كثير من المناطق ، التى كانت موطنـــا لها ٠ وكانت هذه التطورات أحـــد العوامل الرئيســـية ، التى أدت الى اندلاع

النورات أثناء فترة الاصلاح الميجى • بدأت واردات اليابان من القطن فى الانخفاض فى منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وتحولت اليابان الى تصدير الخيوط القطنيـــة والأقمشة القطنيـــة بدءا من عام ١٨٩٠ • ولا يدين هذا التحول الذى شهدته البلاد بالشىء الكثير للتغيرات التى طرأت على الوضع الدولى بل انه راجع الى الجهود التى بذلتها حكومة الميجى لتقييد الواردات والنهوض بصناعة القطن الخاصة ، بعد أن عملت علىالاستفادة من الآلات والمعدات التى استوردتها من الخارج •

ويتضح مما سبق أن الضغوط الأجنبية على اقتصاد اليابان لم تكن أقل من مثيلاتها على اقتصاد الصين • وأنا أعتقد أن ضغوط البيئة الدولية على احدى الدول تعتمد بصـــــورة كبيرة على ما تفعله هذه الدولة لتغيير هذه البيئة •

ورغم حصول التجار الأجانب على حق مزاولة الأنشطة التجارية داخل الصين ، الا أن هذا الأمر انطوى على صعوبة بالغة • وفى معظم الأحوال ، زاول أولئك التجار نشاطهم التجارى من خـلال التجار الصينيين الذين كانوا يساعدونهم على بيع منتجاتهم فى المناطق النائية ، وشراء البضـــائع من داخل البلاد • وعرفت اليابان ذلك الأسلوب التجارى على نطاق واسع أيضا • ولذلك لانرى أن حصول التجار الأجانب على حق مزاولة التجارة داخل البلاد قد لعب دورا هاما فى اختلاف مصير الصين واليابان •

وعلينا أن نلقى نظرة على موضـــوع استثمار رأس المال ، لم تتعد قيمة استثمارات بريطانيا التى كانت أكبر دولة مصـــدرة لرأس المال ، واحد بالمائة فى اليابان والصين حتى نهاية عام ١٨٩٠ • وطبقا لتقديرات السيد نيقولاس ردورك أوكوز القائم بالأعمال البريطـــانى فى الصـــين ، فقد بلغت ديون الصين ٥ر٤٧٠٠٠٠ جنيه استرلينى عام ١٨٨٥ ، وهو ما يعادل ثلث الدخل القومى للصين لنفس العام • ولكن ماذا كان الوضع بالنسبة لليابان ؟ طبقا للتقديرات التى أجرتها حكومة الميجى عام ١٨٧١ ، وهو نفس العام التى ألغت فيه نظـــام الالتزام الاقطاعى ، وأحلت محله حكومة مركزية تتكون من ولايات ، فقد بلغت ديـون حـــكومة باكوفو والاقطاعيات السبع والثلاثين السابقة ١٠ مليون ين (٢ر٢ مليون جنيــه استرلينى) • وتقدمت حكومة الميجى بطلبين للاقتراض من لندن • تضمن الطلب الأول مليون جنيه استرلينى لانشاء خط سكة حديدية يربط بين طوكيو ويوكوهاما عام ١٨٧٠ ، وتضمن الطلب الثانى ٤ر٢ مليون جنيه استرلينى لتصفية الرواتب المتوارثة ، التى كانت تتقاضـــاها طبقـــة الساموراى السابقة عام ١٨٧٣ • ورغم أن الديون الخارجية تجعل الدول

الدائنة تطالب بامتيازات متعددة من الدول المدينة ، مما يؤثر على أوضاعها فتصبح فى موقف ضعيف ، الا أن ذلك الوضع لم يكن له تأثير خطير على الصين أو اليابان آنذاك • وزادت ديون الصين بصورة كبيرة بعد ذلك ، حيث اضطرت الى دفع تعويضات ضخمة بسبب هزيمتها فى حروبها مع اليابان (١٨٩٤ ــ ١٨٩٥) ، وتمرد المصارعين (١٩٠٠) • أما بالنسبة لليابان ، فلم تزد ديونها الا بعد دخولها الحرب ضد روسيا (١٩٠٤ ــ ١٩٠٥) ، فاضطرت الى الاستدانة لدعم مواردها المالية أثناء الحرب وبعدها • واختلف مفهوم الديون الخارجية فى الصين عنه فى اليابان •

بالنسبة لليابان ، فلم تزد ديونها الخارجية حتى عام ١٨٩٨ عن تلك الديون التى أشرنا اليها ، ولم تجد صعوبة فى تسديد الأصول والفوائد • ويرجع ذلك الى الجهود التى بذلتها الحكومة لتوحيد البلاد ، والنهوض بالاقتصاد القومى ، وتحسين الأنظمة النقدية والمالية :

وتعتمد مولدر على الحقائق التى توفرت بعد الحرب الصينية اليابانية لدعم نظريتها التى ترى أن خضوع الصين للدول الغربية كان أكثر من اليابان ، وذلك فيما يتعلق بالاستثمار والامتيازات • وأنا أرفض مناقشة النتائج وكأنها أسباب ، وعدم الاهتمام بالطريقة التى عالجت بها الدولتان مشكلاتهما فى الستينات والثمانينات من القرن التاسع عشر • وقد عين السير روبرت هارت Sir Robert Hart الانجليزى ــ مفتشا عاما بادارة الجمارك البحرية بالصين فى الفترة من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٩٠٨ ، واعتمدت عليه الحكومة الصينية لابداء المشورة فيما يتعلق بالشئون المالية ، والسياسية ، والدبلوماسية • وازداد نفوذ السير روبرت زيادة هائلة عندما انيطت به مشكلة الديون الخارجية والادارة الخارجية بالصين قرب نهاية حكم أسرة تشينج Ch'ing ، غير أن السلطات الصينية كانت تستطيع ــ لو شاءت ــ أن تجعل الدور الذى قام به ذلك الرجل مقصورا على المهام الرسمية المنوطة به فقط (يمكن للمرء مقارنة الدور الكبير الذى قام به هارت فى الصين والدور المحدود الذى سمحت به حكومة اليابان للمستشارين الغربيين) • وهذا لايعنى أن وجود وظيفة مفتش عام للجمارك قد ساهم فى اعتماد الصين السياسى على الغرب ، أو أدى الى خلق عقبات فى طريق النهوض ومسايرة طابع العصر •

(★) اشارة الى التمرد الذى قام به الصينيون الذين اعتمدوا على فنون المصارعة فى مواجهة الأجانب لأنهم كانوا يفتقرون الى الأسلحة الحديثة •

في مقال بعنوان « امبريالية التجارة الحرة » ، ناقش ج · جاليجار Gallager ور· روبنسن R. Robinson (٥) وجهين من أوجه التوسع البريطانى فى شتى بقاع الأرض فى منتصف العصر الفيكتورى · ارتبط الوجه الأول « بالامبراطورية الرسمية » ، أو « التجارة والحكم اذا لزم الأمر » · وارتبط الوجه الآخر « بالامبراطورية غير الرسمية » أو « التجارة والتحكم غير المباشر » · وهناك علاقة وثيقة بين وجهى التوسع البريطانى · ويطلق المؤلفان على السياسة التوسعية التى اتبعتها بريطانيا اسم « امبريالية التجارة الحرة » · ويفسر لنا ذلك سبب خضوع الهند ـ درة التاج البريطانى ـ للسيطرة الاستعمارية « الرسمية »، بينما خضعت الصين ، واليابان ، وفارس (١٨٣٦ ـ ١٨٥٧) ، وتركيا (١٨٣٨ ـ ١٨٦١) ، وسيام (١٨٥٥) ، ودول أخرى للتحكم غير « المباشر » ، حيث أبرمت بريطانيا معاهدات غير عادلة مع تلك الدول ، واستندت على تلك المعاهدات لفرض هيمنتها فى النواحى الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية · واذا أخذنا فى الاعتبار ظروف النقل والمواصلات آنذاك ، وقدرة بريطانيا المحدودة على حشد قواتها العسكرية فى تلك المناطق البعيدة عنها جدا ، فلا يمكن لنا أن نتخيل أن بريطانيا كانت لديها القدرة على غزو أو فرض السيطرة المباشرة على الصين واليابان ، ولاسيما أن هاتين الدولتين تتمتعان بتقاليد تاريخية عريقة فى الشرق الأقصى · وكانت سياسة السيطرة والهيمنة غير المباشرة التى اتبعتها بريطانيا في الشرق الأقصى ، وذلك بعد أن أخمدت تمرد تايبينج Taiping Rebellion ، ووقوفها بجانب أسرة تشينج Ch'ing الحاكمة في الصين وحكومة الميجى فى اليابان ، تدخل ضمن تكتيك معقد استعانت به بريطانيا فى مواجهة القوى الغربية الأخرى · وفى معظم مناطق القارة الأسيو أوربية تضاربت مصالح بريطانيا وروسيا · وظهرت فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية على مسرح الأحداث كدولتين رأسماليتين وصناعيتين ، وأخذتا تتنافسان مع بريطانيا فى كافة أنحاء العالم · وفى الوقت الذى أخذت فيه الصين واليابان تفتحان أبوابهما للتجارة ، أخذت العلاقات بين القوى الغربية فى التعقد فى منطقة شرق آسيا ، وكانت تلك العلاقات تتسم بطابع التعاون تارة وبطابع المنافسة تارة أخرى · وكان فتح الصين واليابان بمثابة الحلقة الأخيرة فى تشكيل السياسات الدولية الحديثة والسوق العالمى الرأسمالى ·

وفيما يلى أهم التطورات التى صاحبت الصراعات التى خاضتها القوى الغربية لفرض هيمنتها على قارة آسيا (خرجت الولايات المتحدة من السباق مؤقتا بسبب الحرب الأهلية التى وقعت فيما بين عامى

١٨٦١ و ١٨٦٥) ، فقد قامت انجلترا وفرنسا بتنسيق جهودهما فى مواجهة الصين فى الخمسينات والستينات • وتوغل الفرنسيون داخل فيتنام الجنوبية ، كما امتد نفوذ روسيا الى حدود الصين الشمالية الغربية ، والشمالية • ودخلت بريطانيا فى مصادمات مع روسيا حول جزيرة تسوشيما Tsushima عام ١٨٦١ • وانقسمت بريطانيا وفرنسا فيما بين عام ١٨٦٤ وعام ١٨٦٧ حول السياسة المتبعة تجاه اليابان • ودخلت بريطانيا وروسيا فى صدام بشأن كوريا ، ابتداء من النصف الأخير من السبعينات • وفى النصف الأول من الثمانينات ، فرضت فرنسا سيطرتها على فيتنام بأكملها ، وقامت بريطانيا بضم بورما •

وهكذا نجد أن ارهاصات الامبريالية الغربية قد بدأت تعلن عن نفسها فى شرق آسيا منذ بداية الستينات من القرن التاسع عشر ، ولم تلبث أن نضجت عندما اقترب القرن التاسع عشر من نهايته • وانتهجت الصين سياسة دفاعية ازاء الأزمات التى كانت تنشأ على الحدود ، وازاء الأزمات التى تعرضت لها الدول المجاورة الواقعة تحت سيادتها ، بينما سعت اليابان الى الاستفادة من الظروف المحيطة بها أثناء قيامها بحركة التصنيع ، فعملت على تحويل السياسة الدفاعية التى انتهجتها كل من الصين وكوريا لصالحها ، فبذلت يابان الميجى جهودا كبيرة لتحقيق أطماعها فى فرض سيطرتها على تايوان Taiwan ، وريكيوس Ryukyus ، وكوريا Korea • وتتبع هذه النزعة التوسعية موضوعا آخر من موضوعات الدراسة ، وذلك نظرا للأثر الذى أحدثته محاولات اليابان للتوسع فيما وراء البحار على تطور الأوضاع الدولية فى منطقة شرق آسيا كلها •

وفيما بين الستينات والثمانينات ، توافرت لدى الصين واليابان القدرة على الارتقاء الى مستوى معقول من الاستقلالية عند تعاملهما مع الغرب ، وذلك رغم خضوعهما غير الرسمى لنفوذ بريطانيا • فلا يجدر بالعالم أن يركز فقط على الاختلاف فى درجة الخضوع الاقتصادى والسياسى لكل منهما ، ويغفل أو يقلل من الردود الوطنية المختلفة •

لم يبق على الأمم غير الغربية سوى انجاز مهمة واحدة من المهام العديدة التى شهدها التاريخ الانسانى ، الا وهى التصنيع والأخذ بأسباب التقدم • وأثبتت التجارب المبكرة فى اليابان التى تمكنت من وضع أسس التصنيع أثناء الميجى اشن وعند نهاية القرن التاسع عشر ، وكذلك أثبتت تجارب ما يعرف الآن بالدول حديثة العهد بالصناعة — industrializing Countries newly ، وتجارب بعض الدول التى بدأت تتجه نحو التصنيع بعد الحرب العالمية الأولى أو الثانية ، أن هذه الدول ستظل تحرص على انجاز مهمة التصنيع والأخذ بأسباب التقدم ، وازدادت

أهمية دراسات المقارنة بين هذه الدول ، بما فيهـا اليابان • ولم يعد التصنيع الرأسمالى اليوم ممكنا فحسب ، بل أصبح التصنيع الاشتراكى ممكنا أيضا • وكانت تجربة اليابان التى يبلغ عمرها نحو قرن من الزمان محدودة تاريخيا ، فلم يكن لديهـــا خيار ســوى الاتجاه نحو التصنيع الرأسمالى لأنه كان هو الخيار العملى الوحيد آنذاك • والمقارنة بين الدول التى اتجهت نحو التصنيع فى القرن التاسع عشر ، مثل اليابان والصين وكوريا ، هى مقارنة بين دول اشتركت فى هذه التجربة المحدودة • لذلك لا يمكن لهذه النتائج المستمدة من المقارنة بين هذه الدول أن تنطبق على الدول المعاصرة •

ولا ينبغى أن تغيب عن أذهاننا هذه القيود عندما نحاول استخلاص بعض الدروس من تجربة اليابان ، التى يمكن الاستفادة منها فى عمليات التصنيع والتحديث • وتخضع هذه العمليات للبيئة الدولية وما تنطوى عليه تلك البيئة من نواح معقدة ومظاهر متعددة الطبقات •

أولا : باءت كافــة الاجراءات التى كانت تحظر التجارة الخارجيــة بالفشل فى النهاية • صحيح أن التجارة الخارجية أضرت الصناعة المحلية ضررا بالغا ،ولكن الحكومة بذلت جهودا منظمة للنهوض بالبلاد ومساعدة القطاع الخاص على النهوض بالصناعة المحلية ، وذلك من أجل التغلب على الآثار الناجمة عن هذا الضرر • وسعت الحكومة الى النهوض بالصناعات التصديرية ، كما سعت الى اذكاء روح المنافسة بين تلك الصناعات ، وذلك عن طريق جلب التكنولوجيا المتقدمة الى البلاد وتوطينها •

ثانيا : لتحقيق التصنيع على المستوى القومى ، كان يتعين وضــع نظام اقتصادى مستقر من خلال وضع النظم المالية والنقدية الفعالة التى تدعم الصناعة ، كما كان من الضرورى أيضـــا وضع تعريفة جمركيــة مستقلة وبناء قوة منافسة فى مجالى النقل البحرى ، والتمويل الدولى •

ثالثا : كان يتعين وجود سلطة مركزية فعالة فى مواجهة السلطات المتعددة التى تتخذ القرار ، وذلك للتخلص من الامتيازات الأجنبية المتعلقة بالتمويل وتنمية الموارد واستثمار رأس المال بصــفة عامة ورأس المــال الاجتماعى بصفة خاصة • ولتحقيق هذه الأهداف دون اللجوء الى العنف ، كانت الدولة فى حاجة الى : (١) دولة موحدة تلتزم بسياسة الاستقلال وتقرير المصير فى مواجهة الدول الأجنبية (٢) قاعدة مالية قوية (٣) كفاءة تنظيم السلطة المختصة بالتنمية •

اذا أردنا أن نحدد مدى التزام الدولة بالسعى لتحقيق هذه الأهداف أو عدم حرصها على ذلك ، رغم تعقد العلاقات الدولية ، وما اذا كانت

الجهود التى تبذلها من القوة بحيث تمكنها من تغيير العلاقات الدولية . فعلينا أن نبحث هذه القضية فى اطار رد الفعل الذى تظهره الدولة ازاء مواقف معينة ، وأنا أعتقد أن هذه النقطة هامة بالنسبة للأبحاث القائمة على المقارنة ، فاكتفاؤنا بالنظر للبيئة الدولية المحيطة بها يعد عملا لا معنى له ، بل ان علينا أن نوضح الجهود التى بذلتها الدولة لمجابهة هذه البيئة الدولية ·

وقد بين لنا التاريخ أن الضغوط السياسية والاقتصادية قد تعيق تقدم الدولة وتزيد من فقر أبنائها ، الا أن التسرع فى تنظيم السلطات الحاكمة ، واتجاه الدولة نحو التصنيع السريع والتحديث ، يخلق مشكلات أخرى ، ويفاقم من حدة الاحتكاكات السياسية الاقتصادية ، ويزكى روح العداوات السياسية الخطيرة داخل الدولة · وتؤدى صعوبة اجماع الرأى على المستوى القومى حول بعض القضايا ، وصعوبة تحقيق الاستقرار والوحدة القومية ــ بشكل أو بآخر ــ الى خلق نظام حكومى قائم على الاستبداد والتعسف · واليابان خير دليل على ذلك ، فقد تجلت هذه الظاهرة عندما بدأت اليابان تأخذ بأسباب التقدم ومسايرة طابع العصر · هذا فضلا عن نزوع الدول من هذا النوع الى السعى وراء تحقيق سمعة طيبة فى أعين شعوبها وأعين الدول الأجنبية الأخرى ، وذلك عن طريق اشعال نيران التوتر بينهما وبين الدول المجاورة ، واذكاء النعرة القومية لكسب تأييد الناس للجهود ، التى تبذلها لمد نفوذها بالخارج · وترتبط عمليات التصنيع بالجهود التى تبذلها الحكومة لدعم الحكم المطلق ، والسيطرة على مقاليد الحكم ، فهما وجهان لعملة واحدة · واقترنت رغبة اليابان فى التوسع فيما وراء البحار بمصالح القوى الغربية ، وأدت الى حدوث تغيرات كبيرة فى اطار العلاقات الدولية بين القوى الغربية فى شرق آسيا · وكانت تلك العلاقات تتسم بطابع التعاون تارة ، وطابع الصراع والتنافس تارة أخرى · ولا يجب أن تغيب عن أذهاننا تجربة اليابان التاريخية عند دراسة سبل التقدم والرقى فى الدول غير الغربية ·

مراجع وملاحظات :

(١) Edwin O Reischauer and John F. Fairbank, East Asia : The Great Tradition (Houghton Mifflin, Boston. 1958).

(٢) P. A. Baran, The Political Economy of Growth (Monthly Review Press, New York, 1957).

(٣) F. Y. Moulder, Japan China and the Modern World Evo- nomy (Cambridge University Press, Cambridge, 1977).

Shibahara Hakuji. Nihon Kinhaika no Sekaishi-teki ichi (٤)
(Japan's Modernization : A Study in the International Context) (Iwanami Shoten, Tokyo, 1981).

J. Gallagher and R. Robinson, "The Imperialism of Free (٥)
Trade", Economic History Review, 2 and Series, 6 no. I (1953).

العلاقات الدولية فى أوائل عهد الميجى اشن

بقلم
وان فنج Wan Feng
أكاديمية العلوم الاجتماعية بالصين
بكين ـ جمهورية الصين الشعبية

يركز هنا المقال على العلاقات الدولية التى أحاطت باليابان أثناء حكم باكوماتسو ، مع التأكيد على تأثير الأحداث التى وقعت بالصين على اليابان فى الأعوام السابقة للميجى اشن ٠ وكان قد طرأ تغيير على الأدوار التى تقوم بها القوى الرأسمالية والاستعمارية الغربية ، ووصلت العلاقات الدولية فى الشرق الأقصى الى منعطف خطير ٠

ويرجع اهتمام القوى الغربية بالشرق الى القرن السادس عشر ، او ما يطلق عليه كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) بداية الحقبة الراسمالية ٠ ففى عام ١٥٠٩ كان لدى البرتغال حاكم عام فى الهند ٠ وفى عام ١٥١٧ وصلت ثمانى سفن حربية برتغالية الى مصب نهر التسويانج Zhujiang عند مدينة كانتون ، وأطلقت نيران مدافعها لارهاب سكانها ٠ وفى العام التالى أقامت القوات البرتغالية تحصينات فى تامنج Tammang (جزيرة سانت جون) عند مصب النهر ، لشن هجمات على داخل البلاد ٠ وهناك حادث تاريخى آخر مشهور ، وهو انحراف سفينة برتغالية حتى وصلت شواطىء جزيرة تانجاشيما Tanegashima اليابانية عام ١٥٤٣ أو عام ١٥٤٢ طبقا لاحدى الروايات) ٠ وبدأ احتلال البرتغال للفلبين فى ذلك الوقت ٠ وكانت أسبانيا والبرتغال تمثلان القوى الغربية ، التى انطلقت تغزو شرق آسيا

فى القرن السادس عشر ، ثم حلت محلهما هولندا وانجلترا فى القرن السابع عشر ، وتفوقت بريطانيا على كافة منافسيها الغربيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فسيطرت على زمام الأمور فى الشرق • وفى الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر ، طرأت تغيرات كبيرة على العلاقات الدولية فى الشرق الأقصى ، بعد أن قامت بريطانيا ودول الغرب الرأسمالية الأخرى بحملات طموحة للتوسع والاستعمار • وتجسدت تلك المطامع الاستعمارية فى غزو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا للدول الأخرى ، فى الفترة من عام ١٨٤٠ ــ ١٨٦٠ ، وتوقيع اتفاقيات غير عادلة مع الصين (فى الأربعينات) واليابان (فى الخمسينات) لارغامهما على فتح الموانىء • وأسهمت تلك التغيرات الكبيرة التى شهدتها العلاقات الدولية فى الشرق الأقصى فى انهاء العزلة الطويلة ، التى فرضتها اليابان على نفسها على مدى قرون طويلة ، وفى اسقاط حكومة طوكوجاوا وقيام الميجى اشن على آثرها •

يعتبر معظم المؤرخين أن قصة الضغوط الغربية بدأت بعد وصول الأسطول الأمريكى بقيادة الكومادور ماثيوبيرى (١٧٩٤ ــ ١٨٥٨) الى شواطىء اليابان ، ولكننى أرى أن الضغوط الغربية قد بدأت بعد أن شنت بريطانيا حرب الأفيون الأولى والثانية على الصين • وتحولت الأنظار الى الصين بعد حرب الأفيون الأولى (١٨٤٠ ــ ١٨٤٢) ، وتأثرت اليابان بما كان يجرى فى الصين • وأرغمت الصين على فتح موانيها وابرام معاهدات غير عادلة مع الغرب فى الأربعينات ، وتكرر نفس الشىء فى اليابان فى الخمسينات • وفى الحالتين حاولت القوى الغربية البورجوازية اصلاح النظام الاقطاعى العتيق فى الشرق الأقصى ، واقامة أسواق رأسمالية موحدة •

أما السبب الذى دعا القوى الغربية الى تركيز عدوانها فى الشرق الأقصى على الصين ، فهو أن تلك القوى الغربية كانت ترى أن الصين أكثر أهمية من اليابان ، ففيها تركزت المصالح الاستعمارية والمؤسسات الاستراتيجية • لذلك كانت اليابان محظوظة بحق •

ان تحليلى للعلاقات الدولية فى آسيا فى نهاية عهد طوكوجاوا يحملنى على الاعتقاد بأن عدوان القوى الغربية على الصين قد عجل بسقوط حكومة طوكوجاوا فى اليابان ، وخلق ظروف مواتية لتحقيق الميجى اشن •

كانت حرب الأفيون التى أدت الى فتح واحتلال موانىء الصين ، صدمة عنيفة أيقظت الوعى القومى لدى اليابانيين ، وعملت قوات الساموراى ذات الرتبة الأدنى التى أطاحت بحكم طوكوجاوا على الاستفادة

من دروس الصين بعـد أن اعتدت عليهـا القوات الغربيـة ٠ وقد تأثر شوزان سـاكوما Shozan Sokuma (١٨١١ ــ ١٨٦٤) ــ أحد قادة الفـكر فى عهد باكوماتسـو ــ تأثرا شـديدا عندما قرأ جريدة هايكو توتشى Haikuo Tuchih (الجريدة المصـورة التى تسجل الشئون الدولية) ، التى كان يحررهـا العـالم الصينى واى يوان Wei Yuan (١٧٩٤ ــ ١٨٥٧) ، وندب حظه العاثر الذى جعله يولد فى الزمن العسير ، فلا يعرف شيئا عما يحدث للآخرين ٠ ذهب تاكاسوجى شينساكو Takasugi Shinsaku (١٨٣٩ ــ ١٨٦٧) ، الذى عمـل على تنظيم وقيـادة الوحدات المحليـة غـير النظاميـة بمقاطعـة تشوشـو ، الى شنغهـا بالصين برفقـة كوزاكا جنزوى Kusaka Genzui (١٨٤٠ ــ ١٨٦٤) رفيقه فى السلاح ، ووقفا على ما يجرى فى الصين ٠ وكانت تجربة الصين تكفى لاقناعهما بضرورة اتخاذ كافة الاجراءات المكنة للحيلولة دون الانزلاق الى مستنقع الاستعمار كما حدث للصين ، والحفاظ على استقلال البلاد ٠ وجعلت صدمة حرب الأفيون اليابانيين يسارعون الى اجراء اصلاحات موسعة بالبلاد ، وذلك تحت شعار « لنعمل على اثراء البلاد والنهوض بجيشها » ٠ وكان اليابانيون يعترفون بسيادة التقاليد الصينية ، التى تمثلت فى التعاليم الكونفوشية فى عالم الروح ، وسيادة العلوم الغربية فى مجال التكنولوجيا ٠ لذلك اعتمدوا على العلوم الغربية لتحقيق شعار « الأخلاقيات شرقية أما التقنيات فغربية » أو « الروح اليابانيـة والمعرفة الغربية » ٠ وبقيـام الميجى اشن تحولت اليابان تحولا تاما الى الثقافة الغربية ، فتراجعت مكانة الثقافة التقليدية ٠

واستفادت القوى الغربية من تجربة الصين بعد العدوان ، فعملت على خلق وجود شبه استعمارى لها فى اليابان ٠ ويمكن تلخيص الدروس التى استخلصتها القوى الغربية من تجربتها فى الصين بعد حرب الأفيون على النحو التالى :

أولا : أهمية ابرام معاهدات غير عادلة تخولها حق الدولة الأكثر رعاية ٠ وقد أجرى تعديل على معاهدة كاناجاوا Kanagawa (١٨٥٤) ومعاهدة انسى (١٨٥٨) بحيث تتشابه مع المعاهدات التى تم ابرامها بين الصين والقوى الغربية ــ كمعاهدة نانجينج Nanjing ، التى أبرمتها بريطانيا عام ١٨٤٢ ، ومعاهدة وانجشـا Wangsha ، التى أبرمتها الولايات المتحدة عام ١٨٤٤ ، ومعاهدة تيانتسن Tientsin ، التى أبرمتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا عام ١٨٥٨ ٠ وقد جاء على لسان لورد الجين Lord Elgin (١٨١١ ــ ١٨٦٣) قوله ، « ان تلك المعاهدات كانت سلاحا موضوعا على عنق الصين » ٠

ثانيا : التأكيد على استخدام القوة المسلحة . شنت القوى الغربية عدة حروب عدوانية واسعة النطاق على الصين . فقد كانت مقتنعة بفاعلية السلاح ، ولكنها لم تلجأ الى استخدام القوة العسكرية المباشرة لحمل اليابان على ابرام الاتفاقيات غير العادلة ، وان لوحت بامكانية استخدام قوتها العسكرية لدعم مطالبها . وقد استخدمت القوى الغربية قواتها العسكرية لسحق العناصر المعادية للاجانب فى اليابان . وشنت بريطانيا حربا على اقطاعية ساتسوما Satsuma . وقام الأسطول الذى كان يتكون من البوارج الحربية البريطانية ، والأمريكية ، والفرنسية ، والهولندية بالهجوم على اقطاعية تشوشو Choshu ، واحتلتها لفترة قصيرة . وفى كلتا الحالتين ، استعرضت القوى الغربية تفوقها العسكرى .

ثالثا : توخى الحرص فيما يتعلق بالانتفاضات الشعبية والقوات المناوئة لحكم طوكوجاوا ، فقد عانت القوات الغربية معاناة شديدة من الانتفاضات الشعبية التى اشتعلت فى الصين ، مثل ثورة بنج ينج توان Ping-Ying Tuan المناوئة للانجليز (١٨٤١) ، وتمرد تايبنج Taiping Rebellion (١٨٥١ ــ ١٨٦٤) . لذا حرصت القوى الغربية على عدم استثارة اليابانيين أو دفعهم الى الثورة ، كما اتخذوا موقفا مرنا تجاه القوات المناوئة لحكم طوكوجاوا . وبعد أن قام الوزير البريطانى الذى كان عميدا للدبلوماسيين الغربيين باليابان بدراسة الوضع الدولى والمحلى ، تخلى عن أساليب الضغط المسلح على اليابان ، واتبع سياسة المهادنة ، فأقام علاقات حميدة مع العناصر المناوئة لحكم طوكوجاوا فى اقطاعيتى ساتسوما وتشوشو ، لتشجيع الحركات الشعبية التى كانت تهدف الى تحويل اليابان من مجتمع اقطاعى الى مجتمع عصرى عن طريق الاصلاحات التدريجية . ورغم المحاولات التى قام بها ليون روش Leon Roches (١٨٠١ ــ ١٨٠٩) الوزير الفرنسى ــ لتأييد الشوجونية ، لجعلها ألعوبة فى يد فرنسا ، الا أن الغلبة كانت للخط السياسى الذى اتبعته بريطانيا . والتزمت القوى الغربية بسياسة الحياد ازاء حرب بوشن Boshin War (١٨٦٨ ــ ١٨٦٩) ، ورفضت التدخل فى تلك المعركة المحلية التى وقعت بين القوات المناوئة لحكم طوكوجاوا وقوات الشوجون . وكان ذلك الحياد أحد العوامل الهامة على الساحة الدولية ، التى ساهمت فى اسقاط الشوجون ونظامه .

لم تعتمد القوى الغربية على التجارب المستمدة فى فتح الصين فحسب ، وانما اعتمدت على الدبلوماسيين والقادة العسكريين ، الذين لعبوا دورا قياديا فى حروبها مع الصين . ونال أولئك الرجال شهرة عريضة ، عندما أغاروا على اليابان . وها هى أسماء البعض منهم : لورد الجين (١٨١١ ــ ١٨٦٣) ، وسير روثر فورد الكوك (١٨٠٩ ــ

١٨٩٧) . وسير هارى سميث باركس (١٨٢٨ ـ ١٨٨٥) ، من بريطانيا ، وهمفرى مارشل (١٨١٢ ـ ١٨٧٢) ، وتونسند هاريس (١٨٠٤ ـ ١٨٧٨) ، من الولايات المتحدة الأمريكية ، وجان بانتست لوى جرو (١٧٩٣ ـ ١٨٧٠) ، من فرنسا ، والأدميرال ايفيمى فاسيليفتش بوتياتن (١٨٠٣ ـ ١٨٨٤) ، من روسيا ٠

وكان الجين ايرلا شريفا بريطانيا ، أما « جرو » فكان بارونا فرنسيا ، وأرسلتهما الحكومتان الانجليزية ، والفرنسية الى الصين وأثناء حرب الأفيون الثانية ، التى أشعلت نيرانها الحادثة المعروفة بحادثة « السهم » عام ١٨٥٦ ٠ وقد كلف الرجلان بابرام معاهدات مع الصين أكثر اجحافا من المعاهدات غير العادلة التى أبرمت مع الصين أثناء حرب الأفيون الأولى ٠ وأسرع الرجلان بالتوجه الى اليابان بعد وصول أنباء تفيد بأن الولايات المتحدة أبرمت معاهدة مع اليابان (معاهدة أنسى) للتفاوض بشأن ابرام معاهدات مماثلة ٠ وكان لورد ألجين هو المحرض الأول على حريق القصر الصيفى (Yuan-Ming Yuan) عام ١٨٦٠ , الذى كان يبعد ١٥ كيلو مترا شمال غرب بكين ٠ وقد اهتز العالم كله من هول ذلك الحدث المريع ٠

كان همفرى مارشل (Humphery Marshal مفوضا أمريكيا لدى الصين ، واشترك فى المؤامرات والمناورات لقمع تمرد تايبينج ٠ ثم رحل الى اليابان بضرورة ابرام معاهدة أنسى ٠ وقبل وصوله الى اليابان ، كان يعمل عام وأول وزير ترسله أمريكا الى اليابان ٠ وقد لعب دورا هاما فى اقناع اليابان بضرورة ابرام معاهدة أنسى ٠ وقبل وصوله الى اليابان ، كان يعمل قنصلا فى نينجبو Ningbo . حيث قام بدور قيادى فى تدخل أمريكا فى الصين ٠

عمل سير روثر فورد الكوك Rutherford Alcock قنصلا فى فوزهو Fuzhou ،ومناطق أخرى من الصين ، قبل أن تعينه بريطانيا قنصلا عاما لدى اليابان عام ١٨٥٨ ، (وأصبح وزيرا فى العام التالى) ٠ وكان يوافى حكومته فى بريطانيا بكل ما يجرى فى اليابان أثناء اقامته بها ، وساهم اسهاما كبيرا فى رسم سياسة بريطانيا فى اليابان ٠

وقدم سير هارى سميث باركس Harry Smith Parkcs الى الصين ، وهو فى الثالثة عشرة من العمر ، وشارك فى الأنشطة العدوانية البريطانية ، وهو لا يزال فى سن صغيرة ٠ وكان يعمل وكيل قنصل فى كانتون بالصين عام ١٨٥٣ , وهو العام الذى وصل فيه الأسطول الأمريكى بقيادة الكومادور بيرى الى شواطىء اليابان ، ثم عمل مندوبا بريطانيا فى الصين أثناء حرب الأفيون الثانية ٠ وفى عام ١٨٦٥ ، أى بعد سقوط

تايبنج Taiping Tianguo (مملكة تايبنج) بفترة قصيرة ، عينته الحكومة البريطانية وزيرا فى اليابان ، خلفا للسيد روثر فورد الكوك . وظل يشغل ذلك المنصب لمدة ١٨ عاما . وكان شخصية كلاسيكية بين الدبلوماسيين الغربيين ، وذلك نظرا لأنه كان أحـد المحاربين القدماء ، الذين ساهموا فى غزو الصين ، وحاولوا مد النفوذ الغربى الى اليابان .

وكان الكونت فاسيليفتش بوتياتن أدميرالا بالبحرية الروسية . وزار بوتيـــاتن اليابان لأول مرة كمبعوث خاص عام ١٨٥٣ . وباءت مفاوضاته مع حكومة باكوفو بالفشل ، وكانت تلك المفاوضات تهدف الى اقامة علاقات تجارية مع اليابان وتسوية القضايا الاقليمية . ثم ذهب بوتياتن الى الصين ، وأخـذ يضغط على كانتون وشنغهاى للفوز بنفس المعاملة الخاصة التى حصلت عليها انجلترا من الصين . وفى عام ١٨٥٧ ، زار الصين مرة أخرى كمفوض فوق العـادة ، وحاول ارغام الحـكومة الصينية على ابرام معاهدة تتنازل بمقتضاها لروسيا عن بعض أراضيها . وفى عام ١٨٥٨ ، عينته الحكومة الروسية مندوبا ساميا فى الصين ، فنجح فى عقد معـــاهدة تيـانجن Tianjin (تيانتسن Tientsin) مع الصين ، مستغلا سيطرة انجلترا وفرنسا على المدينة .

استفادت بقية دول آسيا من مقاومة بعض دول آسيا الأخرى للقوى الغربية الاستعمارية . ويطيب لى أن أؤكد فى هذا الموضع على أن مقاومة الشعب الصينى للاستعمار والاقطاع قد ساعدت على اعاقة تقدم القوى الغربية نحو اليابان ، كما ساعدت على اسقاط نظام الشوجونية ، ونجاح الميجى إثر بطرق مختلفة . وأعاق تمرد ســـيبوى Sepoy Mutiny الذى وقع بالهنـد عامى ١٨٥٧ ــ ١٨٥٨ ، الغزو البريطانى للصـين ، ولو بشكل مؤقت . كما أعاقت الحركات الشعبية التى قامت بالصين هجـوم القوى الغربيـة على اليابان . كمـا أن انتفاضات بينج ـ يانج توان Ping-Ying Tuan وتايبنـج Taiping وهســيو تاو وهـوى Hsiqo-Tao-Hui (جمعية السيف القصير) ، وتمرد نين Nien والمسلمين وجهت ضربة شديدة للقوى الاستعمارية والأسر الحاكمة فى الصـين . وتركت القوات المسلحة الصينية المناوئة للثورة التى عرفت باسم « الجيش المنتصر للأبد » ، بصماتها على التاريخ ، بعد أن سحقت تمرد تايبنج ، وتولى قيـــادة ذلك الجيش رجل أمريكى يدعى فريدرك تونسند وارد (١٨٣١ ــ ١٨٦٢) ، ثم مغامر أمريكى يدعى هنرى اندريه برجيفين (١٨٣٦ ــ ١٨٦٥) . ثم الضابط الانجليزى تشارلز جورج جوردن (١٨٣٣ ــ ١٨٨٥) ومن المؤكد أن الشعب اليابانى كان سيعانى الأمرين لو قدر لذلك الجيش أن يطأ أرض اليابان .

ومن العوامل الأخرى التى لعبت دورا حاسما لصالح اليابان أن الصين نالت اهتمام القوى الغربية أكثر من اليابان ، حيث كان للصين أولوية استراتيجية لدى تلك القوى ، فاستفادت اليابان من تفضيل الصين عليها • وعانت الدولتان نفس المصير ، فهما قد ذاقتا مرارة التجارب شبه الاستعمارية على يد القوى الغربية الرأسمالية ، ولكن التنمية فى كل منهما قد اتخذت مسارا مختلفـــا عن الأخرى • ويعزى المؤرخون الغربيـون والشرقيون سبب اختلاف مسار التنمية فى البلدين الى اهتمـام القوى الغربية بالصين • وكتب المؤرخان الأمريكيان هوزيا بالو مورس Hosea Ballou Morse (١٨٥٥) ــ ١٩٣٤) (١) وهارلى فارنز ورث ماك نير Harley farnsworth MacNeir (١٨٩١ ــ ١٩٤٧) عن الحظ الوافر الذى وقف بجانب حكومة باكوماتسو باليابان ، فنجت من القلاقل لسنوات طويلة ، بينما ظلت الصين محورا لأطماع القوى الغربية • وتظهر لنا هذه الملاحظة مقدار ادراك الدول الغربية الاستعمارية الرأسمالية للأهمية الاستراتيجية للصين فى القرن التاسع • وقد ظل غزو الصـين ونهب ثرواتها حلما يراود خيال القوى الاستعمارية الامبريالية ردحا طويلا من الزمن ، فكانت تلك القوى الاستعمارية تنظر الى الصين ــ كما يقول التعبير الصينى ــ وقد « سال لعابها ثلاثة أقدام » •

وقد كرست القوى الغربية جهودها لتحقيق تلك الغاية بدءا من توقيع معاهدة نانجينج Nanjing ، فحظيت روسيا بالنصيب الأوفر ، بينما أبت اليابان التنازل حتى عن النذر ليسير من أراضيها ، حتى بعد أن أبرمت معاهدة كاناجاوا ومعاهدة أنسى ، وكانت الاستثناءات مؤقتـة • فعلى سبيل المثال ، لم يتابع الروس غزوهم لجزيرة تسوشيما Tsushima فى عامى ١٨٦٠ ــ ١٨٦١ • وتم تسوية النزاع الذى أسفر عن الهزيمة التى لحقت باقطاعية ساتسوما عام ١٨٦٣ فى المعركة البحرية التى شارك فيها الأسطول البريطانى ، وكذلك الهزيمة التى لحقت باقطاعية تشوشو عام ١٨٦٤ على يد القوات البريطانية والأمريكية والفرنسية والهولندية ، فاكتفى المنتصرون باجبار اليابان على دفع تعويضات • وخلاصة القول هو أن الأهمية الاستراتيجية للصين فاقت الأهمية الاستراتيجية لليابان • ولو انقلبت الآية ، لكانت اليابان قد عانت نفس المصير ، الذى عانت منه الصين •

---

(١) هـ • ب • مورس حصل على المواطنة البريطانية فى عام ١٩١٧ •

ثالثـا :

السياسة والشخصية



الميجى اشن وسياقها السياسى

بقـلم
ناجيتا تيتسوو Najita Tetsuo
جامعة شيكاغو
شيكاغو ـ الينوى ـ الولايات المتحدة الأمريكية

نظرا لأن مجال تخصصى هو التاريخ الفكرى للسياسة ، فسوف يتطرق مقالى لهذا المجال وعلاقته بالميجى اشن · وأحب أن أؤكد على نقطة سبق لى أن أشرت اليها مرارا ، وهى أن كلمة « استعادة » Restoration ليست الترجمة الدقيقة للفظ « اشن » اليابانى · وقد أثر سوء الترجمة هذا على تفهم الحركة فى أوربا وأمريكا · فحرف « i » فى عبارة Meiji Ishin يعنى جمع كافة فئات المجتمع المتفرقة ، وتقسيمها الى مجموعات · ويعنى مقطع "shin" الانطلاق فى اتجاه جديد · لذلك لا تدل كلمة الاستعادة على المعنى الثورى الذى يتضمنه مقطع shin فكلمة استعادة Restoration تعنى استعادة الامبراطور لقوته وهيمنته ، كما حدث فى بريطانيا بعد كروموبل Cromwell ، أو فرنسا بعد نابليون · ولكن لم يكن لامبراطور اليابان أية قوة حتى يستعيدها بعد فقدها · ولم تكن الصورة الرائعة التى احاطته بها الميجى اشن ، الا نتاجا للتركيب الأيديولوجى لليابان فى العصر الحديث ، ولم تكن ضمن الميراث التاريخى اليابانى ·

وبعد فهمنا لعبارة shin فهما صحيحا ، اسمحوا لى أن أقدم الفكرة الرئيسية التى يستند عليها هذا المقال · ويمكن ايجازها على النحو التالى :

ان الأحداث التحولية ، أو ما دعاه ميشيل فوكو Michel Foucault بالعتبات Thresholds ،لاتحدث تلقائيا الا فى القليل النادر ، ان حدثت، فلابد من وجود دافع يحركها • ويتمثل هذا الدافع فى تاريخ طويل من وضع المفاهيم النقدية • وأعتقد أن انطونيو جرامشى Antonio Gramsci كان محقا حينما وصف هذا اللون من التفكير بأنه « جهد نقدى مكثف من جهود فن النقد » • ومن ثم لا ينبغى أن نعالج التاريخ الفكرى للسياسة على أنه مجرد رحلة داخل الأمور المجردة ، بل باعتباره جهدا ابستمولوجيا (قائما على المعرفة النظرية) • واذا طبقنا هذا على الميجى اشن ، لوجدنا أن الرجال الذين انتقدوا « الوضع القائم » آنذاك ، وعملوا على تغييره ، فحولوا الحكومة الاقطاعية غير المركزية (hoken) الى حكومة بيروقراطية مركزية (Kokka) وحولوا الاقتصاد الزراعى والتجارى الى اقتصاد قائم على الصناعة والتكنولوجيا ، يتجسد فى منظمات واسعة النطاق • وكانوا يتمتعون بادراك فكرى قائم على الشوارد والسوانح التى استمدوها من تاريخ الأعمال الفكرية السابق على عصرهم ، وهى مفاهيم قريبة من الفطرة العامة التى لا تحتاج لتأويل العلماء • وسواء كانت الميجى اشن تضم بين صفوفها رجالا أمثال ساكوما شوزان Sakuma Shozan ، ويوشيدا شوين Yoshida Shoin ، وساكاماتوريوما Sakamoto Ryoma ، وكيدو كوين Kido Koin ، واكوبو تو شيمتشى Okubo Toshimichi واواساكى ياتارو Iwasaki Yataro وشيبوساوا ايتشى Shibusawa Eiichi الذين أوتوا القدرة على الاقناع والتأثير ، ولعبوا دورا هاما فى الميجى اشن ، الا أنه يوجد هناك قاسما مشتركا من المعرفة ، ووعيا مشتركا بافكار وأنشطة الآخرين ، رغم احتدام الجدال والخلاف الذى تجسد فى مقتل عدد من المجاهدين الشباب ، أمثال ساكوما Sakuma و ساكاموتو Sakamoto ويوشيدا Yoshida واكوبو Okubo • وأنا أحاول أن أبين أن هؤلاء الرجال الذين ساعدت أنشطتهم فى بناء اليابان وأيدلوجياتها المعاصرة كانت أفكارهم نتاجا لمحاورات نقدية سابقة •

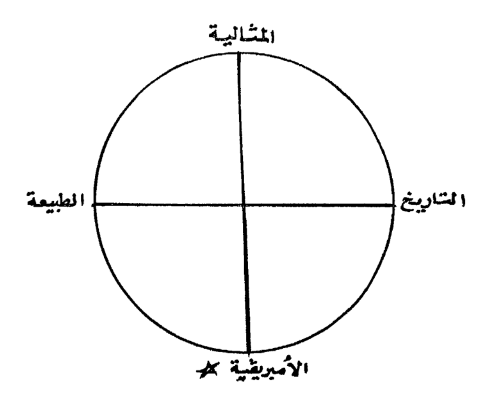
وأود أن أؤكد على أن تلك المحاورات كانت تتضمن آراء ذات صبغة كونية وعالمية طوعت لتكوين رؤية حول النشأة التاريخية لليابان أو طبيعتها فى اطار مطلق انطولوجى(*) سمح لهم بتكوين رؤية تنظر لليابان باعتبارها رافدا من روافد النهر العالمى ، أو نهر المعرفة المقارنة ، ومن ثم اعتبروا الانشغال بالعلوم الدنيوية أساسا من أسس القوة • وبقول آخر أدت هذه النظريات المعرفية العالمية الى خلق أيديولوجيات نابعة من الفطرة الانسانية ، استطاع بها اليابانيون اقامة نطاق جديد على أنقاض النظام

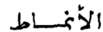
(*) الانطولوجيا علم يبحث فى النشأة الميتافيزيقية للأشياء (المترجم) •

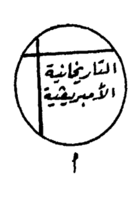
السابق ، أى أن الايديولوجية التى ترى أن المعرفة العالمية تكمن أساسا فى الطبيعة أضحت قاعدة القوة والثروة اللتين باتتا جزءا من واقع البيئة الجديدة لليابان ، التى نظم اليابانيون وفقها العمليات القانونية والانتاجية لأول ثورة من ثوراتهم الصناعية فى الثمانينات من القرن الماضى . ولابد أن يعتمد تفسير الميجى اشن على المحاورات التى انتشرت فى القرن الثامن عشر فى مجال المعرفة والطبيعة والتاريخ والاقتصاد السياسى أو ما يعرف بالجدل حول Keisei saimin وهو الاسم الذى يطلقه عليه اليابانيون بصفة عامة : أى تنظيم المجتمع وانقاذ البشرية . وفى العصر الحديث ذابت عبارة Keisei saimin فى كلمة Keizai التى استخدمت فى اليابان للدلالة على كلمة « اقتصاد » كما يفهمها الغرب . ومع ذلك كانت العبارة فى القرن الثامن عشر تشير الى احدى قضايا فلسفة المعرفة ، وهى قضية ارساء أسس المعرفة اليقينية (Sure Knowledge) عند القيام بتنظيم المجتمع وانقاذ البشر . ما المقدمات التى يمكن من خلالها البحث عن المعرفة وتطبيقها بعد ذلك داخل النظام السياسى الذى ارتضى هذه المعرفة ؟ يبين لنا الشكل رقم (١) المصادر الأساسية التى استندت اليها المحاورات حول الاقتصاد السياسى ، وأثرها على مشكلة الوعى الفكرى النقدى فى مرحلة الميجى اشـــن .

لقد وضعت هذه الأشكال التوضيحية لبيان أن المقارنة بين الأحداث التاريخية العظيمة تقتضى الاستعانة بالتنميط "typologizing" أى تجميع الظواهر التى تنطوى على معان عامة وتصنيفها فى أنماط أو فئات . ورغم أنها عملية قد تهدر بعض المعلومات ، اذ لا يمكن لأى نظام تنميطى استيعاب كل شىء ، الا أن هذا النظام يساعد على اجراء المقارنة بين الأحداث التاريخية . ويبدو لى أن المؤرخين كثيرا ما يعتمدون علـــى خبراتهم الخاصة لابراز أوجه الاستثناء ، وهى مهارة محمودة فى حـــد ذاتها ، الا أنها قد تضلنا عن المعنى العام ، فتظهر الأحداث وكأنها أحداث عرضية لا تشير الى التطور الانسانى بمعناه الواسع . وأنا ان كنت لا اعتزم الخوض فى هذه المعضلة التاريخية فى هذا المقال ، الا أننى أنوه بها هنا لأن الكثير من أحداث التاريخ اليابانى ، بما فيه أول ثورة تشهدها آسيا ، وأقصد بها الميجى اشن باليابان ، قد فسرت وعوملت وكأنهـا ظواهـــر استثنائية غريبة على الفكر الأوروبى ، وفريدة من نوعها . ومن ناحية أخرى ، فقد عمل النقاد الثقافيون باليابان فى القرن العشرين على تأكيد تفرد الميجى اشن بادعائهم تفرد اليابان عن غيرها فى ثقافتها عبر التاريخ ، واستعانوا باسطورة سلسلة الأباطرة المتصلة التى يؤكدها دستور اليابان الحديث ، لتدعيم هذا المنظور لاستمرارية الثقـافة اليابانية استمرارية

تميزها عن غيرها ، وساعد على تأكيد هذه الفكرة الترجمة الخاطئة لكلمة « اشن » بمعنى استعادة [الأمبراطور لسلطته] ، فأوحت بانقلاب قادة القصر لاستعادة سلطة الأمبراطور كما حدث مع الملوك فى أوربا الذين استطاعوا استعادة سطوتهم عن طريق الانقلابات • ومن ثم بهتت الايماءات المتضمنة فى الكلمة التى تعبر عن التحول السياسى عندما ترجمت • وفقدت الكلمة قيمتها التاريخية باعتبارها تحولا جذريا عن مسار الماضى ، ويتمثل هذا التحول فى الاعادة الكاملة للبنيان السياسى بما فى ذلك النظم الايديولوجية ، والتعليمية والاقتصادية بغية حشد طاقة الشعب ، وتحقيق الثراء ، والقوة ، واستقلال الأمة ـ وهى أهداف ثورية مازالت الكثير من شعوب العالم تتطلع اليها حتى اليوم فى كثير من أنحاء العالم • ولسنا نشك فى أن الميجى اشن قد أضفت على سلطة الامبراطور معنى جديدا واستنفرت قواه ، الا أننا نؤكد على أننا مهما وسعنا مدلول « الاستعادة » ، فيظل عاجزا عن ايفاء الأبعاد التحولية التى تنطوى عليها كلمة اشن •













الشكل (١) نماذج المذاهب الفكرية الاساسية

كما أسيء فهم الشخصيات المرتبطة بالاصلاح الميجى • وقد اعتاد المرء اطلاق بعض المسميات على تلك الشخصيات مثل « التقليديين أو الاقطاعيين أو الكونفوشيين » ، مما يوحى بأن تلك الشخصيات كانت تفتقر الى القدرة العقلية اللازمة لاحداث التحول فى هجومها على النظام القديم • وكثيرا ما يقال ان مجموعة صغيرة من رجال الساموراى الطموحين قد ردت الى النظام الامبراطورى هيبته لدعم مصالحها السياسية الضيقة • وهو رأى يتمثل فى تجنب المؤلفات الغربية التى وضعت للميجى اشن اليابانية لاستخدام كلمة الثورة ، فى حين أنها تفيض بالحديث عن الثورات الأخرى التى قامت فى ألمانيا وكوبا والمكسيك وفيتنام • اننى أعتقد أننا ابتعدنا عن مفهوم اشن باعتبارها ميدانا من ميادين السياسة نظرا لصعوبات فى

(★) الامبريقية أسلوب ينحو الى رفض المعرفة المسبقة وينحو الى التجريب والاستقراء •

تفسيرها تعرقل من فهمنا لهـا ، وتقلل من قدرتنا على تفهم المنـازعات والمجادلات العنيدة التى أدت لهذا الحدث ٠

اذا نظرنا الى حـدث معقد كالاشن ، فمن الحكمـة أن نتخـلى عن التوصيفات الايديولوجية الشاملة للشخصية السياسية والسلوك السياسى، التى تستخدم مصطلحات مثل تقليدى أو اقطاعى أو كونفوشى ، وما شابه ذلك ، والتى تنقب عن مسميات نطلقها عن الظواهر التى قد نلمحهـا فى خضـم السـاحات الأيديولوجية المعقدة للانقسامات والتحالفات الطبقية والتدرجات البينطبقية intra-class gradation (*) ٠

ورغم الهـدوء الذى كان يظهر على السـطح ، فقد خـاطر كثير من الشباب ، وضحى البعض بارواحهم ٠ وبرزت شخصيات عظيمة من بين أولئك الشبان ، ولقد لعب رجال مثل ساكوما شوزان Sakuma Shozan ويوكوى شونان Yokoi Shonan واكوبو توشيمتشى Okubo Toshimichi أدوارا بارزة حقا ٠ ولكننا لا نعرف المفاهيم التى استندت عليها المعتقدات السياسية لأولئك الرجال ٠ وهناك اعتباران لابد أن نعيرهما اهتمامنا : الاعتبار الأول ، هو أن « الاشن » استندت على دعاوى فكرية قوية أدت الى ظهور منازعات وصراعات مثلما هو الحال فى كل الأحداث التى غيرت من مسار التاريخ ٠ والاعتبار الثانى ، هو أن الوعى الفكرى الذى نبعت منه هذه الدعاوى التى أثارت النزاع هو وعى نابع من حقل عريض من المفاهيم السياسية والفلسفية التى تكونت عن طريق الخبرة العقلية العميقة التى كان اليابانيون قـد اكتسبوها قبيـل الميجى اشـن ٠ ولا تظهـر الايديولوجيات فجأة كاملة وقت الأزمـات ، بل لابد من وجـود أفـكار مترابطة تستند عليها ٠ وينطبق ذلك على الميجى اشن كما ينطبق على الثورة الفرنسية ، اذ نمت الجذور الايديولوجية للثورة الفرنسية فى أرض الواقع الفكرى السائد آنذاك ، قبل أن يشرع الفلاسفة الفرنسيون فى جدلهم ، ورغم أن الاطار الاستطرادى يمكن أن يوصف « بالملكى » أو « التقليدى » ، الا أنه أرسى لغة فكرية حافلة بالمفـاهيم تتيح تشكيل امكانيات ورؤى جديدة ٠

لو أردنا أن نقارن البيئة الفكرية للميجى اشن ببيئة فكرية مماثلة ، لوجدنا بغيتنا فى القرن الثامن عشر ، اذ جرت الأحداث فى مناخ يمكن أن نصفه بالاقطاعى ، ولكننا لا نرمى الى تفسير الميجى اشن فى ضـوء هذا السياق ، بل نستعين به وبالمفاهيم النقدية المرتبطة به لتوضيح غرض

(*) مصطلح منحوت من كلمتى بين وطبقة ، ويشير الى التدرجات التى قد تكون قائمة بين أبناء طبقةواحدة — المترجم ٠

ومعنى الحركة السياسية والتغير الذى طرأ على البنية فى اليابان • فهو يرسى الأطر الخارجية التى قد تدور داخلها الصراعات ، واعتقد أن هـذا الجدل الفكرى الذى شـهدته اليابان يوضـح مدى الوعى الفـكرى الذى تمخضت عنه حركة الميجى اشن باعتبارها حركة سياسية ، ويضفى على هذا الحدث جدية تنأى بها عن أن تكون أسلوبا مستوردا أو أن تكـون محاولة لاعادة نظام ملكى عتيق •

واذا رجعنا الى الشكل رقم (١) ، فسنجد أن هذا الرسم التوضيحى يبين لنا أربعة أقطاب تمثـل لنـا المقدمات الأساسية المتعلقة بالمعرفة ، ويبين لنا المحور الرأسى المدخل الابيستمولوجى(*) لتناول المعرفة ، حيث تأخذ المثالية مركز الصدارة • ويأت التجريب (الامبريقية) بعدها • وفى المثالية يتم اكتساب المعرفة أولا وأخيرا عن طريق الاستبطان الذى يمكن أن يفسر العالم الخارجى من خلاله فى اطار مثالى • أما فى الامبريقية ـ التى كان لها تأثير كبير فى القرن الثامن عشر ـ فيتم اكتساب المعرفة عن طريق فحص البراهين الخارجية ، سواء فى الطبيعة أو التاريخ • ومع أنه لا ينكر الروح الباطنة ، الا أنه يؤكد ضرورة اتسـاق العقـل المدرك مع المعـرفة الخارجية • ويختص المحور الأفقى بمـا كان يعتقد أنه الهـدف الأساسى للمعرفة ، أو بقول آخر « النص » الصحيح ، الذى علينا أن ننتهى الى دراسـته ، والذى يتألف من قطبين هما الطبيعة والتاريخ • ان من اكتفى بقبول محور واحد وأنكر الآخر قلة ، أما الأغلبية فقد أولت جل اهتمامها للمنظور الأفقى العريض مما تمخضت عنه آثار بعيدة المدى كما ستبين الأمثلة التالية •

يشير النمط (أ) الى « التاريخانية الامبريقية » (المذهب التجريبى) الذى يرى أن العقل الانسانى لا يجب أن يفحص ما يخرج عن نطاق التجربة الانسانية ، ونعنى بها التاريخ ، وهى فكرة تجلت فى كلمات أوجيو سوراى Ogyu Sorai ، وهذا المدخل الى المعرفة ، عند أوجيو ، يقلل من أهمية الطبيعة أو ينكرها ، باعتبارها مادة للمعرفة ، فالطبيعة فى رأيه لانهائية ويقصر عنها فهم الانسان ، ولذا لا يستطيع أن يتخذها معيارا يهتدى به لحركته ، التى يمضى بهـا التاريخ • وقد اتخذ ايتوجنساى Ito Jinsai موقفا أقل تطرفا ، اذ اعتبر الطبيعة أشبه باستعارة بلاغية تعبر عن « نشاط الحياة » الدائب • ولكن كلا هذين القطبين من أقطـاب الفلسفة قد سعيا الى البحث فى الزمن الانسانى لا فى عمل الطبيعة عن

(*) البحث الفلسفى الذى يتناول المعرفة كنظرية ـ المترجم •

الاسلوب الذى تكونت به المبـــادىء التى أضفت معنى على الوجـــود الاجتمـــاعى ٠

وكما هو معروف ، رأى ايتوجنساى أن « منشيوس » Mencius يمثل المحاولة الأولى للتعبير عن النزعة الانسانية الكونية نحو السـلوك القويم ٠ ولابد لهذا المفهوم الاخـلاقى العريض أن يسـانده كافة الفترات التاريخية التالية بصرف النظر عن المكان والزمان ٠ لـذا كانت تعـاليم منشيوس هامة فى حياة العامة ، الذين عاشوا أثناء حكم طوكوجاوا الذى اتسم بصبغة تجارية تزايدت تزايدا سريعا ٠ وقد أضفت دراسات « أيتو » الفيلولوجية الامبريقية على فكر منشيوس قيمة عالمية هائلة ، اذ رأى أن الطبقات الدنيا تتمتع بقيم أخلاقية تعادل القيم التى اشتملتها المكانة التى احتلتها الأرستقراطية بحد السيف ، وهى فكرة أدت فى نهاية المطاف الى تفكك الطبقة الأرستقراطية فى عهد الميجى اشن ٠

وساهم أوجيو سوراى Ogyu Sorai فى هدم تماسك الأرستقراطية ، وانتقد ايتو لأنه لم يناقش الأسباب التى أدت الى ظهور البنى (جمع بنية) السياسية فى التاريخ ، وما الداعى لظهورها ٠ وانتقد تعاليم منشويس ، وقال عنها انها تعاليم جدلية لا يعتمد عليها ، وسعى الى كشف النقاب عن السر الذى جعل الانسان يمتلك تاريخا دون سائر المخلوقات ٠ وبذلك طرح أوجيو قضية نشأة التاريخ ، وقال بأن السياسة هى التى أدت الى وجود التاريخ ٠ فقد سعى الملوك القدماء الى خلق التاريخ عن طريق اختلاق وسائل صناعية تمكنهم من تحقيق السلام والرخاء للجنس البشرى ، ودعم الفضائل الانسانية ٠ ومن ثم اعتبر التاريخ تاريخا أخلاقيا اذا احتفظ بالهدف الأصلى منــه ، وهــو الهدف الذى دعاه الفضيلة العظيمة للخير ٠ وطالما أن الخير لا يتأتى الا مع نشأة التاريخ ، فلا يمكن اعتباره شيئا كامنا فى نفس الانسان الفرد فى حاضر أى مرحلة من مراحل التاريخ ، وما يسميه البشر « بالفضيلة » ، ليس معيارا يساعد على نشأه التاريخ ، بل هو نعمة فاضت بها قوة خارقة ، ندعوها السماء ، على كل فرد منا ، وهى موزعة توزيعا عشوائيا ، بحيث يعجز العقل البشرى المحدود عن أن يعى أعمـــال الســماء ٠ ومن ثم فالفضيلة لا يمكن أن تكون حـكرا على الارستقراطية وحدها ، رغم أنها تتمتع بقوة يدعمها القانون تفوق قـوة العامة ٠ ويمضى أوجى فيقول بأن كل فرد لديه قدر من الفضيلة خاص به بصرف النظر عن مكانته ، وان هدف الحكومات هو دعم هذ الحشد من الفضائل لدى الأفراد ٠ وهذا يعنى أيضا أن الفضيلة السياسية لا تخص طبقة اجتماعية ، أو تخص جميع الأفراد ، ولكنها قاصرة على بعض من الخاصة ٠ لذا طالب الذهب التاريخانى الذى نادى به أوجى بضرورة عودة

المحاربين الساموراى الى الأرض • ومن الواضح أن المفكرين اليابانيين قد هاجموا الارستقراطية باعتبارها نظرية ترى أن الفضيلة السياسية حكر على أبناء الصفوة ، وقد ساعد هذا على انحلال الارستقراطية ، وظهور بناء بيروقراطى جديد يعتمد على الكفاءة فى عهد الميجى •

ومن المفيد أن ندرس الآثار التى خلفتها فلسفة « اوجيو » التاريخانية على الفعل والحركة فى اليابان • رأى أوجيو أن علينا دائما أن نحلل التاريخ فى حركته تحليلا امبريقيا ونقيمه كذلك ، وأن نستخدم فى تحليلنا وتقييمنا للمعيار الموضوعى لنشأة التاريخ ، فالتاريخ يتغير ، ولكن المعيار باق • ويرى دازاى شوندى Aazai Shundai أن ذلك يعنى بحث ظاهرة التجارة والمبدأ الزمنى التى تؤكد على تحقيق الثروة عن طريق تبادل البضائع ، وذلك بغرض التعرف على مدى امكانية تطبيق هذا التاريخ الجديد لتحقيق الهدف الأساسى للتاريخ • وآمن دازاى فى امكانية تطبيق هذا التاريخ • واذا لم يستطع البنيان الاجتماعى العمل وفقا لمعيار تكون التاريخ ، فينصح دازاى الناس بالثورة ، أو عدم القيام بشىء • وكان يقصد بالخيار الثانى أن النظام سينهار من تلقاء نفسه • وقال عن الخيار الثانى ، متهكما ، بانه كان المعنى السياسى الحقيقى للفلسفة التاوية Taoism ، وكان ميراث هذا الاتجاه التحليلى عميقا • ورفض ياماجاتا داينى Lamagata Daini الخيار الثانى القائم على السلبية تجاه الأوضاع القائمة ، ونادى بالثورة والهجوم المباشر على حكومة باكوفو Bakufu فى ايدو Edo ، أو وضع استراتيجية اقليمية للاستحواذ على احدى الاقطاعيات وحشد قوى الشعب • وبذلك تنبأ بالهجوم الذى ستقوم به اقطاعيتى ساتسوما Satsuma وتشوشو Choshu على النظام القديم • ويرى نيشى أمانه Nishi Amane ، أن نظرية أوجى فتحت دنيا جديدة ، ويرى المجتمع فيها تلفيقا واختلاقا لأشياء تحقق الأغراض الاجتماعية والأخلاقية ، وأن الشىء المهم هو تحقيق هذه الأغراض ، وليس الولاء الشخصى للسيد أو المولى • أما يوكوى شونان Yokoi Shonan الواثق أيضا من الغرض الاجتماعى للتاريخ ، فقد أكد على نظرية دازاى المتعلقة باهمية التجارة ، ونادى بنبذ سياسة العزلة الاقتصادية والسياسية التى لم تعد تتماشى مع العصر • وجدير بالذكر أن بعض المفكرين مثل موتسو مونيمتسو Mutsu Munemitsu قد استفادوا من نظرية أوجى البنيوية وصاغوا منها بناء فكريا تأمليا ، فاستطاعوا به استيعاب المبادىء الأساسية للايجابية القانونية والنفعية ، ولا سيما بالأسلوب الذى صاغها به جرمى بنثام Jeremy Bentham • ومن ثم لن نعجب اذا عرفنا أن كتابى أوجيو : بندو، وبنمى Bendo و Benmei ، وهما

من أكثر الكتب التى أطراها موتسو ، يأتيان فى الأهمية بعد كتاب بنثام ٠

ولابد لى من ايضاح ثلاثة موضوعات ، وذلك لأن هذه الموضوعات مرتبطة بالميجى اشن ارتباطا وثيقا : أولها النسق المميز فى التاريخانية الامبريقية الذى يباعد بين عقل الباحث وتفاصيل الأحداث من حوله ، والذى يعتبر معيارية خارج نطاق الحاضر الذى يحتاج الى الفحص والدراسة ، لذا نادت التاريخانية الامبريقية ، كما هو موجود فى النصوص القديمة ، بأن يقفز المرء بخياله الى عالم آخر بعيد ٠ وبعد التعرف على المعيار الكونى فى حقبة من الحقب التاريخية القديمة ، يمكن مواجهة الحاضر بعد الاستفادة من هذا المبدأ الذى يفسر نشأة التاريخ ، وتنطوى هذه العملية على امكانات نقدية اذ تسمح لنا بتحليل أحداث الحاضر باستخدام معيار خارجى يمكن التحكم فيه ٠ وفى أواخر القرن الثامن عشر ، بدأ هذا المعيار الخارج على نطاق التاريخ الذى يتلقاه الانسان من الاسلاف ، ينتقل من مجال العالم القديم الى المجالات المجردة للعلم والتكنولوجيا ٠ ومن ثم الى علم الادارة وما ندعوه أحيانا بالقانون الدستورى ٠ وباختصار ، فان محاولة وضع مفهوم سياسى لحركة التاريخ فى اطار يختلف عن الاطار القائم (مثل المعرفة الجديدة التى أطلقها ميثاق ١٨٦٨) محاولة تنطوى على امكانية نقدية يمكن للمرء ان يمسك بناصية الحاضر ويعيد تنظيمه ٠

وترتبط بهذا الموضوع النزعة الاختزالية ، التى كانت ماثلة فى التاريخانية ، أى اختزال حقل تجريبى معقد الى معيار قابل للتحكم فيه يمكن به قياس الأحداث سواء أكان لتلك الأحداث علاقة بالتجارة والاتجار على الساحة المحلية ، أو عدوان القوى الغربية القادمة من وراء البحار ٠ والهدف العام من ذلك المعيار الثابت هو ترتيب المعرفة حتى يمكن الاستفادة منها فى التنبؤ بالتاريخ المقبل ، والاقلال فى فرص التخبط التاريخى ٠ وقد يخيل للبعض أنى أبالغ فى مدى الاستفادة من هذه العملية الاختزالية الى حد الشطط ، ولكنها تبدو لى عنصرا رئيسيا نحتاجه لتبسيط وغربلة حقل من الحقول الايديولوجية المعقدة حتى يسهل التعامل مع الأيديولوجيات والتيارات التاريخية التى كانت سائدة وقت قيام الميجى اشن والعقود التالية ٠ ان الميثاق الذى وضعه كيدو كوين Kido Koin وغيره يعكس بوضوح ، كما يتراءى لى ، هذه الابستمولوجية الاختزالية التى تبسط القضايا المعقدة بمصطلحات يسهل استخدامها والعمل بها ، ففكرة وجود قوانين ثابتة أودستور (Kenpo) تنطوى على الكثير من نفس هذه الأهمية الفكرية ٠ وخلاصة القول ، ان الاختزالية (reductivism)

بالصورة التى اشتقت منها تاريخانية القرن الثامن عشر يمكن أن نعتبرها عنصرا من عناصر تشكيل الايديولوجيات الحديثة التى أوجزت فى مطلع عهد الميجى فى العبارة التالية « الثروة والقوة العسكرية من أجل السياسة القومية » ـ Fukoku Kyohei ٠

يرتبط الموضوع الثالث باستخدام البنى الاجتماعية لتحقيق الأغراض الاجتماعية ، اذ أعتقد أن الاستخدام التحليلى للمعيار كفيل باظهار التناقض بين الأنظمة الاجتماعية القائمة ومستوى البؤس الاجتماعى ٠ واعتقد أوجيو ودازاى أن هذا التناقض حاد ، وأنه اذا لم تجر تغييرات حادة فى البنيان الاجتماعى ، فلن يكتب البقاء لنظام طوكوجاوا ، وقالا بأن القادة الموهوبين سيقودون الجماهير الغاضبة ، ويسقطون الحكومة ٠ ورغم أن هذا التقدير تغلب عليه النزعة التشاؤمية ، الا أن القضية العامة التى تقول بأن البنيان الاجتماعى ثابت لا يتغير فى اطار ثبات المطلقات الكونية ، وأن هذا البنيان قد أقيم بغرض تحقيق المنفعة الاجتماعية العلمانية (وهى الفكرة التى صيغت فى صرامة تتفق مع عنف الكارثة التى واجهت اليابان آنذاك) ، ظلت احدى الأركان الرئيسية فى الفكر السياسى فى القرن الثامن عشر ٠

واتجه تحليل البنى فى ضوء المنفعة الاجتماعية بالفكر الاقتصادى السياسى تجارية ٠ وتعد شخصية هوندا توشياكى Honda Toshiaki خير دليل على ذلك ٠ وفى عام ١٨٠٠ توصل هوندا الى حتمية تغيير الهيكل الاجتماعى تغييرا جذريا حتى يمكن حل الأزمات التى تعانى منها البلاد ، وأرجع مصادر الخلاف الى التناقض بين النمو الطبيعى للسكان والقيود الطبيعية على الأرض المنتجة ، وقال ان ذلك التناقض يسود العالم بأسره ، مما يفسر الموقف العدوانى الذى انتهجته الدول الأوروبية تجاه آسيا ٠ وأوصى هوندا باتباع السياسات التجارية التالية : مركزية السياسة القومية ، والرقابة المركزية على المال والمعادن النفيسة ، واقامة نظام التعليم العام مع وجود مدرسة كبيرة فى المحور لتعليم الموهوبين من مختلف أنحاء البلاد أحدث معارف العصر ، والاستفادة من العلوم والتكنولوجيا لزيادة القدرة على نقل وتوزيع البضائع ، وبناء أسطول تجارى يساعد اليابان على القيام بالاكتشافات الجيولوجية والطبيعية فيما وراء البحار ، ووضع استراتيجية دفاعية ضد الغرب ، ونبذ سياسة العزلة التى لم تعد تلائم الوضع الراهن ٠ وبدأ أبناء اليابان يفتحون عيونهم على المشهد التراجيدى لبلادهم ، الذى أخذ يتشكل فى أواخر القرن الثامن عشر ، وذلك من خلال المذهب الاقتصادى الاجتماعى ، الذى بدأ يتشكل آنذاك والذى انتقد بشدة النظام السياسى الذى انتهجته حكومة طوكوجاوا ،

وأرسى القواعد الفكرية لدولة الميجى التوسعية • ولا نحتاج الى جهد كبير حتى نكتشف أن جميع القادة السياسيين فى عهد الميجى اشن قد ساروا على هدى الفكر التجارى الذى نادى به هولندا • ومن أولئك القادة الذين أرســـوا دعائم البنيـــان الاجتماعى ، اكوبو تشـــميشى Toshimichi kudo ، وكيـــدو كـــوين Kido Koin وايتوهيروبـــومى Ito Hirobumi ، وياماجاتا ارتيمو Yamagata Aritomo الـــخ ••• الذين يعتبرون مهندس البنيـــة الحديثـــة وايديولوجيـــة « الثروة والقوة » •

وأحب أن أتعرض الى نقطة هامة تشكلت خلال القرن الثامن عشر ، ونشطت أثناء حكم الميجى • وأنا أطلق عليهـــا اصطلاح « الانطولـــوجيا الطبيعية » natural Ontologism • ولا تنبذ هذه النقطة « التاريخ » ، ولكن الطبيعة الكونية هى التى تعتبر فى نظر معتنقى هذا المذهب الهدف النهائى من الدراسة • ويرى المدافعون عن المذهب التاريخانى ـ أمثال أوجى ـ أن الطبيعة لا يمكن الاعتماد عليها للتوصل الى المعرفة المعيارية ، وذلك لأن العقل البشرى المحدود لا يستطيع استيعاب جوهر الطبيعة • ويرى المؤيدون للانطولوجيا أن الطبيعة مطلقة وغير محدودة ، لذلك فهى تصلح لأن تكون المرجع النهائى لكافة أنواع المعرفة التاريخية أو الانسانية التى يجب أن نتعامل معها بمصطلحات نسبية • وهذا يعنى أن الذكاء البشرى لا يمكن أن يستوعب المعنى الكلى للطبيعة ، ولكن يتعين على الانسان السعى الدؤوب لدراسة التاريخ حتى تتكون لديه بصيرة ثاقبة يرى بها الطبيعة بوضوح • وهى ترى أن فكرة المذهب التاريخانى التى تقول بأن دراسة التاريخ القديم قد تميط اللثام عن معايير أساسية ، وذلك عن طريق قيام المتخصصين فى فقه اللغة بدراسة النصوص التاريخية ، هى قضية تشوبها الشوائب • وتعرض أوجيو لكثير من النقد بسبب هـــذه النقطة ، خاصة وأنه اعترف بأن الامبريقية قاعدة مفتتة وممزقة • وبعد الاشارة الى الطبيعة على أنها شىء كونى مطلق ، يسعى العقل البشرى دائما الى اكتساب المزيد من المعرفة عنها ، ولكنها تظل دائما معرفة ناقصة ، فقد أمكن اضفاء طابع النسبية على الأحقاب التاريخية المتعددة باعتبارها تقدم أدلة على أن الانسان يسعى دائما الى اكتساب بصيرة جديدة وأكثر عمقا تمكنه من الغوص فى أعماق الطبيعة • وبسبب تراكم المعرفة بمرور الزمن ، يمكن القول بأن علماء اليوم يعرفون أكثر مما يعرفه حكماء العصور القديمة ، كما ستفوق معرفة علماء المستقبل معرفة علماء اليوم ، وذلك رغم أن هذه المعرفة ـــ ســـواء المعرفة التى يحيط بها علماء الحاضر أو علماء المستقبل ـ يشوبها النقص • ولذا كان لتأملات تشوهسى Chu Hsi أهمية كبيرة فى هذا الاطار السببى ، رغم تضمنها لبعض الجوانب الميتافيزيقية

المقلقلة ، ورغم أنهـــا لا يمكن أن تعتبر كاملة لا يشوبهـــا نقص ٠ ومن أبرز تعاليمه مبـــدأ « العقل الكونى » ٠ كمـــا حظيت المعرفة التى أحرزها العلماء الغربيون ـ ولا سيما العلماء الهولنديون ـ بكثير من الاهتمام والاحترام فى هذا الاطار الفكرى ٠ وتعددت الأنشطة فى عهـــد الميجى ، فانشغل كيبارا اكيكين Kaibara Ekiken ـ الفيلسوف الذى لعب دورا محوريا فى هذا المجال ـ بالدراســـات الزراعيـــة المتعلقة بفلاحة الأرض مع زملائه مثل ميزازكى ياسوسادا Miyazaki Yasusada ٠ وكان نيشيكاوا جوكين Nishikawa Jowen وجوى رانشو Goi Ranshu من التجار الذين اشتغلوا بالتدريس ، بينما سعى ميورا باين Miura Baien الانطولوجى الى تشكيل فئات جديدة من فئات المعرفة ٠ وعمل سوجيتا جينباكو Genpaku Sugita فى ميـــدان الدراســـات الهولنـــدية وعلوم الغربية ٠ وســـعى ياماجـــاتا بانتـــو Yamagata Banto وزملاؤه والمثقفون ، الذين أدركوا أهمية التجارة الى تحقيق الاستقرار فى هـــذا العـــالم المضـــطرب على أسس عقلانية ٠ وكان نينوميـــا سوناتكو Nishikawa Jowken أحـــد الفلاحين الحكمـــاء الذين كانـــوا يحلمون بالقضاء على الفقر فى أوساط الفلاحين ٠ وتلقى كثيرون من قادة اليابان الحديثة تعاليمهم على يد ساكوما شوزان Sakuma Shozan ٠ وتستمر سلسلة المفكرين والعاملين حتى نصل الى مجاهدى الميجى اشن ، أمثال كيدو كوين Kido Koin واكوبو تشيمتشى Okubo Toshimichi فنجد تواصلا ثقافيا فى هـــذا المجال يمكن اعتباره تطورا عميقا اخترق الفواصل القائمة بين الطبقات وتوغل فيها ٠

وكما هو الحال بالنسبة للمذهب التاريخانى الامبريقى ، فقد كان للانطولوجيا تأثيرا هداما على الأسس الايديولوجية التى يقوم عليها الحكم الارستقراطى ٠ ونظرا لأن معرفة الانسان للطبيعة كانت دائما أمرا نسبيا فلا يمكن للفرد ، مهما بلغ شأن العقل الذى يتمتع به ، أن يدعى احاطته بكافة أسرار الطبيعة احاطة تامة ٠ لذلك ثبت خطأ الزعم القـــائل بأن الارستقراطية ترث الذكاء وراثة شرعية ، وبرزت الحقيقة القائلة بأن كل انسان لديه القدرة العقلية ـ بدرجات متفاوتة ـ التى تمكنه من فهم شىء عن الطبيعة الكونية من أسرار جوهرها المطلق ، الذى يسمو عما يجده المرء حوله من البنى السياسية « والهيراركية الاجتماعية » ٠ وأكدت التعاليم التى نادت بها ميازاكى Miyazaki ، ونيشيكاوا Nishikawa وجوى GOI ، على أن الطبيعة لا تخلق الطبقات بين الناس ، ولا تقيم علاقات غير متساوية بينهم ، فتجعل هذا سيدا وذلك مسودا ٠ وكثيرا ما نادى فيكيوزاوا يوكتشى Fukuzawa Yuckichi باتباع تلك

التعاليم أثناء فترة التنوير التى مرت بها البلاد فى عهد الميجى · وقال أولئك العلماء ان الطبيعة قد حبت عامة الناس بالقدرة على اكتساب المعرفة الأساسية – سواء المعرفة العلمية أو الأخلاقية – التى تمكنهم من تنظيم أوضـــاع العـــالم المحيط بهم والتحـــكم فيهـــا · وقد قال نيشيكاوا Nishikawa ، ان الانســان كالزهرة التى تتفتح اذا ما عهدتهـــا بالرعاية ، فيمكن للفلاح البسيط أن يصبح من الساموراى اذا توفرت له سبل الرعاية ، رغم أنه لم يولد فى طبقتهم · وبذلك أفرغ نيســيكاوا الارستقراطية من مضمونها مرة أخرى · وأكد أولئك العلماء على أن هدف المعرفة هو انقاذ الناس – عامة الناس – عن طريق السيطرة المنظمة على المعايير الكونية الموجودة فى الطبيعة · وكانت كافة الكتيبـات المتعلقة بزراعة الأرض ، والتى تم توزيعها على جميع أنحاء قرى اليابان ، تستند على ذلك المفهوم · ونرى هذا المبدأ جليا على المستوى القروى ، فأقيمت الجمعيات التعاونية الجماعية · وتظهر لنا الأنشطة التى قام بها الفلاحون بالريف أن أولئك الفلاحين قد أوتوا قدرا كبيرا من الحكمة أكثر مما كان يظن البعض ·

وكان للانطولوجيا الطبيعية تأثير هام بالمثل على معنى التاريخ ، حيث رأت أنه يتألف من عمليات متعاقبة · وبما أن التاريخ قد أصبح نسبيا بالقيـاس الى الطبيعة ، كما لم تعد هناك مرحلة تاريخية تفوق مرحلة أخرى ، فقد غدا تاريخ معين ، كتاريخ الصـين مثلا ، نسبيا بالقيـاس للطبيعة · وجعلت هذه النظرة الناس ينظرون الى تاريخ اليابان على أنه نسبى أيضا ، ويمكن منه أن ننفذ الى جوهر الطبيعة أو نتطرق اليها . ويعد وصف أراى هايكو سيكى Arai Hakuseki لقيام النظام اللامركزى hoken فى اليابان مثالا هاما لذلك ، اذ استعرض تاريخ اليابان من منظور التطورات التى شهدتها البلاد ، ورأى أنها كانت ستؤدى فى نهاية الأمر الى ظهور نظـام طوكوجاوا ، وكان المـمكن استخدام الانطولوجيا الطبيعية (دون الحاجة للاشارة الى الصين أو العصور القديمة وغيرها) لخدمة الايديولـوجية التى تؤكد على تمـايز التاريخ اليابانى عن تاريخ الامبراطوريات المركزية القائمة فى آسيا ، ولا يفوتنـا فى بداية القرن الثامن عشر استخدم هذا النسق التاريخى لاظهار عظمة نظام طوكوجاوا وقوته ، غير أن هذا النسق أخذ يضمحل باستمرار ، وتحولت وجهة ذلك التاريخ فى نهاية القرن ، فأظهر لنا ذلك التاريخ انهيار التنمية المحلية التى أدت الى اخفاقات الحاضر · وقـد استغل التاريخ القومى استغلالا ايديولوجيا لتعزيز الارستقراطيـــة ، كما اســـتعان به ياماجاتا هاينى Yamagata Haini ، وناكاى ريكين Nakai Riken ، وراى سانيو Rai San'yo ، وآخرون لاظهار عدم كفـاءة الارستقراطية آنذاك · واستخدم اصـطلاح هوكن hoken (الحكم اللامركزى) الذى يمثل

التاريخ السياسى تمثيلا شاملا كمرادف لكلمة « اقطاعى » فى العصر الحديث ٠

يمكن استخدام لا مركزية التاريخ بأساليب ايديولوجية أخرى ٠ فقد استخدمه المولون التجار ، أمثال ياماجاتا بانتو Yamagata Banto لتكوين رؤية اقتصادية للسياسة يمكن تفسيرها على اعتبار أنها المدخل البورجوازى للميجى اشن ٠ واستعان ياماجاتا بنظرية الانطولوجيا الطبيعية لاستنباط جميع التطورات العقلية الكبرى ، التى شهدها القرن الثامن عشر ، ووضعها ضمن مؤلفه الكبير Yume no Shiro ويعنى (فى موضع الأحلام) ٠ وقال ياماجاتا ان المعرفة اما أن تسبق علم الفلك أو تأتى بعده ، ثم قام بتصنيف المعرفة الى فروع ، تتدرج من المعرفة فى أقصى أشكالها تجردا وعالمية الى واقع الحاضر ٠ وبدأ فلسفته بنظرية كوبرنيكوس التى أضفت صبغة النسبية على العلاقة بين الأرض والكون ، ومنها انتقل الى دراسات مقارنة ، تضمنت الجغرافيا ومرحلة ما قبل التاريخ المكتوب (عندما اعتمد الانسان على الشعائر والتقاليد الشفهية) والتاريخ واللغة لتسجيل الأحداث ، التى ساهمت فى تشكيل التقاليد السياسية ٠ ثم انتقل ياماجاتا بعد ذلك الى الاقتصاد السياسى داخل نظام طوكوجاوا ، فأصر على أن الانسان لديه القدرة على اكتساب المعرفة ، وعلى ضرورة عدم اعتماد الانسان على الأحلام الخرافية ٠ وما يهمنا هنا من هذا الحديث عن الابستمولوجيا هو الدافع الايديولوجى الكامن فيها ، اذ اعتمد ياماجاتا على الانطولـوجيا الطبيعية حينما قال بنسبية الكرة الأرضـية والتاريخ والجغرافيـا ، ثم طبق مبـدأ النسبية على الأحـداث التى شـهدها حكم طوكوجاوا دون الرجوع الى الأحداث المشابهة التى وقعت فى الصين ، اذ رأى أن الكثير من الخبرات التى مرت بها الصين لا تصلح لليابان ٠ ومن هذه الخبرات الكتابة الايديوجرافية (التى تعتمد على العلامات التى ترمز لأفكار البيروقراطية) ٠ ونظرا لأن اليابان عبارة عن جذر ، فقد قال ياماجاتا بأن اليابان تشبه انجلترا ٠ وبعد أن أسند ياماجاتا فلسفته الابستمولوجية على الطبيعة ، أنكر الرأى المستمد من الدراسات القومية التى قالت بأن اليابان أرض مقدسة ٠ واعتمد ياماجاتا على ادراكه للمعرفة لمناقشة أخطاء القادة السياسيين فى تعاملهم بالقضايا المالية والتجارية والاعتمادات المالية ، ونادى بضرورة توافر المعرفة الأسـاسية المتعلقة بالاقتصاد الذى رأى أنه عماد أى حكومة فعالة ، وكون بذلك ما يمكن أن نسميه بمتطور اقتصادى للسياسة ، وسلامة الكيان السياسى كله ٠

ورغم أن الكثيرين ينظرون الى ياماجاتا على أنه مجرد مفكر ، الا أن فلسفة المعرفة التى نادى بها توحى بعقيدة ايديولوجية راسخة ، وان لم تكن بادية للعيان فى كثير من كتاباته ، وهى تعكس وجهات نظر أرباب

التجارة • وأظهرت هذه الفلسفة ، التي كان ينادى بها ياماجاتا ، وكذلك الكتاب الذى وضعه كوزاما ناوكاتا Kusama Naokata بعنوان « تاريخ المال » ، عدم كفاءة حكومة باكوفو فيما يتعلق بالنواحى المالية التى اعتبرها عقبة قومية ، ورأى أنه دون توافر معرفة علمية دقيقة فيما يتعلق بالعمليات التى تتم على نطـــاق واســـع فى مجال المال والبضائع يستحيل اطلاق يد الرجال من أمثاله فى اقتصاد البلاد ، بعد أن ثبت عدم قدرة الارستقراطية على تطوير معارفها المتعلقــة بالنواحى الاقتصــادية • وطرح أولئك الرجال ذلك الرأى وهم يدركون ادراكا لا يتسرب اليه الشك بأنهم ينتمون الى العامة ، ولكنهم استطاعوا اكتساب قدرا من المعرفة الهامة يفوق تلك المعرفة التى توافرت لدى الطبقة الحاكمة •

ونظرا لأن أنظار أولئك الرجال كانت متجهة ناحية عالم المال الذى ينتمون اليــه ، فقد عجزوا عن تقدير المدى الذى توغلت اليــه النظريات العلمية والانطولوجية فى الحياة الفكرية لدى الارستقراطيين • وتحضرنى أسماء بعض العلماء أمثال كايهو سيريو Kaiho Sciryo عالم الاقتصاد السياسى ، وأوجاتا كوان Ogata Koan أستاذ الطب الهولندى • كما أتذكر ــ على وجه الخصوص ــ ســـاكوما شـــوزان Sakuma Shozan الذى رأى أن تاريخ وثقافة معينة يتجردان من المركزية بالنسبة للمبدأ الكونى الذى اعتبره كايهو يتمثل فى جوهره فى علم الرياضيات ، وبينما استعان كايهو بالمبدأ العــام القــائم على الدقة لشرح طريقة عمل النظم الاقتصادية ، وقال ساكوما شوزان بأن ذلك المبـــدأ العـــام هو أساس التكنولوجيا ، ومن ثم فهو أساس القوة • ومن المهم هنا أن نفطن الى أن اعتبار العلم والتكنولوجيا شيئين عالميين قد أخرجهما من نطاق احتكار الدول الغربية ، وجعلهما نظريا ملكا لجميع البشر ولكافة المجتمعات ، بغض النظر عن الجوانب الثقافية والتاريخية الخاصة بكل مجتمع • لذا يمكن الجمع بين العلم بعالميته والثقافة الخاصة • واذا كان العلم أساس القوة ، فلا ينبغى للتاريخ اليابانى أن يظــل بمعزل عن الحيــاة الفكرية والسياسية اليابانية • ويتضح لنا من خــلال هــذا المقال ، أنه بمقدور الانسان اكتساب المعرفة الأساسية المتعلقة بالعلم والطبيعة • وهو ما كان ياماجاتا بانتو قد نادى به من وجهة النظر التجارية • ويقوم علم الرياضيات عند ساكوما وعلم الفلك عند ياماجاتا بنفس الوظائف الفكرية فى وضع المفاهيم فى الاطار الشامل لأعمالهما الفكرية ، مما سمح لهما بالنظر الى تاريخ الماضى من زاوية نقدية • كان لتعاليم ساكوما أثرا بالغا على المصلحين الفكريين والسياسيين ، وعلى المجاهدين الذين عرفتهم الميجى اشن • وقد تأثر بتعـــاليم ســـاكوما كثير من المثقفين ، أمثـــال فوكوزاوا يوكتشى Fukuzawa Yukichi ونيتشى امانه Nichi Amane وكاتو هيرويوكى

Kato Hiroyuki ، كما تأثرت بهـا أفكار بعض الرجال ، أمثـال كيدو كوين Kido Koin واكوبو توشيمتشى Okubo Toshimichi الذين عملوا على ادخال العلم والتكنولوجيا للبلاد · وأحب أن أؤكد على الدور الهام الذى لعبته الانطولوجيا بما حوته من نزعة تأملية فى تشكيل مفهوم اقتصادى أو بورجوازى للسياسة ، تلاحم تلاحما مع أفكار القـادة السياسيين ، أمثال ساكوما Sakuma ، وكيدو Kido · وقد كان أولئك القـــادة ينظرون الى الاقتصـــاد والتكنولوجيا من وجهة النظر السياسية · وأنا أعتقد أن ذلك التآلف بين النظرة الاقتصادية للسياسة والنظرة السياسية للاقتصاد كان بمثابة القاعدة التى ارتكز عليها النضال ضد النظام القديم ، وتشييد أسس نظام جديد · وبذلك يمكننا أن نرى أن الميجى اشن كانت أكثر من مجرد حـدث سياسى ، فقد كانت حدثا اقتصاديا وسياسيا فى آن واحد ، كما رفعت شعار Keisei Saimin وهو الشعار الذى صيغ فى القرن الثامن عشر · فلا غرابة فى أن يتحول الفلاح شيباساوا ايتشى Shibusawa Euchi الى صاحب مشروعات تجارية ، فيقوم بوضع نظام مصرفى جديد ، ويشرف ماتسوكاتا ماسايوشى Matsukata Masayoshi — أحـد الساموراى بمقاطعة ساتسوما — على العملية بأكملها ·

وهكذا فقد أوليت ثقلا كبيرا للنظامين الامبريقيين للتفكير اللذين نبتا وسادا خلال عصر الميجى اشن وما تلاه ، واختلفت العلاقة بين النظامين ، فكانت تتقارب حينا وتتباعد حينا ، فكانا يتبادلان الدعم أحيانا ويتنافران أحيانا أخرى · وهذا الموضوع يكتنفه الكثير من التعقيد ، ورغم ادراكى لأبعاد المشكلة ، الا انى لا أعرف كيفية علاجها بصورة فعالة ، ولكن دعونى أتناول هذا الموضوع على النحو التالى ·

ان المثالية مثل الامبريقية يمكن أن تجتذب ناحية الطبيعة آنا أو ناحية التاريخ آنا آخر ، والاختلاف هنا يتعلق بالدرجة التى تقف عندها المثالية على شريحة عريضة تمتد بين طرفى القطبين (الطبيعة والتاريخ) · وعندما تتجه المثالية الى الطبيعة تؤكد لنا فلسفتها الابستمولوجية على فضـــائل المجتمع الطبيعى · ويعد فكر اندو شـــوكى Ando Shoeki المتعلق بالزراعة الجماعية التى انفصلت عن عالم السياسة البيروقراطية خير دليل على ذلك · كما يعد هيراتا اتســوتين Hirata Atsutane مثالا آخر على ذلك · فقد قام ذلك الرجل بحركة دينية ربطت بين الاخلاص الذى يبديه الفلاحون فى عملهم اليومى مع التربة المقدسة : وعندما ارتبط المذهب المثالى بالتاريخ ، استطاع هذا المذهب التعبير عن نفسه من خلال

النظريات الجمالية والأدبية التى نادى بها موتورى نوريناجا Norinaga Motoori وأتباعه · وسعى موتورى الى اثبات نفوق الروح الثقافية غير المتغيرة ، باعتبارها احدى العناصر الأصلية للتاريخ القومى · ونادى اشيدا بيجان Ishida Baigan بارتباط المذهب المثالى بكل من المجتمع الطبيعى والتاريخ ، وهو الذى قاد حركة تعليم أبناء الشعب التى عرفت باسم Shingaku (دراسات الروح الداخلية) · وأكدت تلك الحركة على شيوع الفضيلة الروحية بين جميع البشر ، ودعمت بعض الأفكار التى نادت بها ايتو جينساى Ito Jinsai من وجهة نظر تاريخية ·

وساعدت الأفكار المتمردة التى نادى بها أوشيو هيهاتشيرو Oshio Heihachiro على اشتداد تطرف المذهب المثالى الذى استبعد كافة الامكانيات الابستمولوجية الأخرى · وأقام أوشيو أفكاره على أساس المثالية التوحيدية monistic idealism (*) عند وانج يانج مينج Wang Yang — ming وثوار مينج Ming المتأخرين ، فرفض كافة الأشكال البيروقراطية ، وقاد التمرد فى اوساكا Osaka عام ١٨٣٧ ، وتوقع قيام الشعب بالثور · واذا كان ياماجاتا بانتو Yamagata Banto قد استعان بالامبريقية لنقد أخطاء الحاضر ، فقد اتخذ أوشيو موقفا مشابها قائما على المذهب المثالى · وفى حين هاجم ياماجاتا المذهب المثالى لأنه ينتمى – فى رأيه – الى عالم الأحلام ، فقد رفض أوشيو المذهب الامبريقى لأن هذا المذهب – فى رأيه – يستحيل أن يكون هديا أخلاقيا يقود الناس الى حسن السبيل · كما يرى أوشيو أن الامبريقية ما هى الا مذهب ابستمولوجى قائم على التفرقة التى تسببت فى وجود نظرات مغرضة فى المجتمع · وقال ان التاريخ هو سجل الخيانة والغدر بالشعب ، وتذكرنا قضية الفعل – Action التى أثارها أوشيو بالعقلية اليوتوبية التى قال بها كارل منهيم Karl Mannheim · فاذا أدرك الانسان أن التاريخ الذى يتلقاه تاريخا فاسدا يتعذر قبوله ، فكيف يمكن له التصرف حيال ذلك ؟ ودفعت مشكلة التصرف أو السلوك هذه بأشيو الى التطرف فى المثالية أو اليوتوبيا ، وقال بأن الامبريقية تنظم المعرفة فى شكل مجموعات أو نوعيات تنفصل كل منها عن الأخرى · وبذلك انفصمت العلاقة بين الذات الأخلاقية والأشياء الخارجية ، كالكائنات البشرية العادية التى ينزلها ذلك المذهب منزلة دنيا · ولتصحيح هذا الوضع ، يرى أوشيو ضرورة أن نرى الذات المدركة ، والأشخاص الآخرين ، والمخلوقات الأخرى ، وكافة الأشياء الأخرى ، من خلال مذهب مثالى أخلاقى

(★) المقصود بالتوحيد هنا وحدة قادة الكون ورفض ازدواجية المادة – المترجم ·

موحد ، كما يرى أوشيو ضرورة العمل بما يتماشى مع معايير العدالة العامة المتسقة مع المذهب المثالى ٠

ورغم أن تمرد أوشيو لم يؤد الى تغيير بنية المجتمع بالمعنى المباشر والظاهر ، الا أن المذهب المثالى الذى نادى به قد ساعد على تغيير بعض المسارات التاريخية ، اذ دفع بالمشكلة الفلسفية « للفعل » ، التى جردتها الامبريقية الطبيعية والتاريخية من أهميتها الى خضم فلسفته ، ولم تحل مثالية أوشيو محل المناهج الابستمولوجية الأخيرة ٠ واستخدم المفكرون فى تأملاتهم بين المعرفة والفعل بعض الاستعارات العاطفية مثل « الأحلام » و « اللعب » و « الموت » ٠ وقد استعمل المثقفون تلك الكلمات لبيان تحولهم عن مبدأ ما والتزامهم بمبدأ آخر ، كما هو الحال مع شيباكوكان Shiba Kokan ، الذى مارس تجاربه على الفنون الغربية ، وكايهو سيريو Kaiho Seiryo الذى فصل نفسه عن الارستقراطية ٠ أما بالنسبة لأوشيو فقد التزم التزاما شديدا بمبدأ العمل ضد الحاضر باعتبار أن هذا العمل ضربا من ضروب التضحية ، وحل هذا المبدأ محل تلك الاستعارات الامبريقية المغالية لدى ياماجاتا بانتو التى نبذت الأحلام ومثالية أوشيو التى لا تقل تطرفا فى ايغالها فى نزعتها التأملية ، مما يوحى لى بأن المذاهب الفكرية أخذت تتبادل الأفكار تبادلا قويا فى ظل الميجى اشن مما أدى الى تداخل فى المفاهيم الفكرية ٠

وليس من السهل أن نوضح كيف تآلف هذان المذهبان ، ولكن يمكن الاستفادة من آراء ميتو Mito حول هذا الموضوع ، فهذه الآراء تلقى الضوء على هذه العلاقة ، خاصة وأن كثيرين من قادة الميجى اشن ــ أمثال يوشيدا شوين Yoshida Shoin ، وكيدو كوين Kido Koin ، وآخرين ــ قاموا بدراسة التركيب الفكرى لفلسفة ميتو ٠ وعندما نتعرض لفكر ميتو ــ الذى قام فيوجيتا يوكوكو Fujita Yukoko ، وازاوا سيشيساى Aizama Seishisai ، بتطويره ــ نجد أن التاريخانية الامبريقية تلقى بظلها على التاريخانية المثالية ، ثم تتحد معها بعد ذلك ٠ واذا قمنا بقفزة سريعة الى الماضى ، فسنجد أن القيم الأخلاقية التى كانت سائدة فى بداية التاريخ القومى المقدس ، تتشابه مع القيم الأخلاقية التى كانت سائدة فى الصين فيما يعتقد ٠ وليس المهم هنا هو اثبات تلك المعايير والقيم من الناحية الامبريقية والفيلولوجية ، بل أهميتها التعليمية باعتبار أن قيما مثل الثقة والاخلاص تتماشى مع الأسس الجوهرية التى يقوم عليها الكيان القومى (Kokutai) ٠ ونظرا لأن هذه الأسس الجوهرية ثابتة ، اعتبرت الروح القومية مجموعة من القيم الأخلاقية سابقة على « البنية » ، ومن ثم اكتسبت مسحة عملية ومتغيرة تتصل بالقيم الأساسية ٠ ونظرا لأن هذا البنيان الاجتماعى ليس مقدسا ، فهو يحقق مصلحة المجتمع كله ٠

وتكمن مصلحة المجتمع فى حل مشاكل الاقتصاد السياسى ، مثل الفقر الذى أخذ يضرب بأطنابه على الارستقراطية والتوسع فى التجارة والانتاج الزراعى من خلال مشاركة أبناء الشعب • ويمكننا أن نرى أن المذهب المثالى والمذهب التاريخانى النقدى يهدفان الى حل مشاكل البنيان الاجتماعى والاقتصادى ، ويكونان ايديولوجية موحدة تهدف الى حشد طاقات الشعب ، وحثها على العمل • واذا كان أتباع ميتو قد ألفوا فى أوشيو تطرفا ، فان ذلك راجع لاهتمامهم الزائد بالبنيان السياسى باعتباره ضرورة وظيفية ، فى الوقت الذى يفتقر فيه مذهبه المثالى الى هذه الضرورة الوظيفية • وقد رأى أولئك الرجال أن التوسـع التجارى واستيراد التكنولـوجيا من الاستراتيجيات الهامة اللازمة للارتقاء بالقيم التاريخية • وفى الوقت الذى اتجه فيه أولئك الرجال الى وضع الاستراتيجيات نجد أن مثاليتهم قد افقدتهم الصبر حيال المساوىء السياسية آنذاك سواء فى نطاق المقاطعات أو على مستوى البلاد • وقد زجت هذه المثالية اتباع ميتو فى آتون من حرب أهلية مدمرة فى أواخـر الخمسينات من القـرن التاسع عشر ، كما قام المتطرفون من أتبـاعه بقتـل آى ناوسوكى Ii Naosuke كبير المستشارين فى نظام طوكوجاوا فى عام ١٨٦٠ •

امتزج المذهب المثالى بمذهب الاقتصاد السياسى عند ميتو فى تركيبة قوية ، وجذب ذلك الامتزاج جميع السياسيين من كافة أرجاء البلاد • ويمكن اكتشاف درجات من تلك التركيبة عبر المنظور السياسى كله ، كما استمر قائمة لفترة طويلة فى اعقاب الاشن كتراث سياسى • واختار البعض الانحياز الى جانب المذهب الامبريقى ، شأنهم فى ذلك شأن ياماجاتا بانتو ، أو الانحياز الى المذهب المثالى ، شأنهم فى ذلك شأن أوشيو ، وذلك رغم تأثر الشخصيات السياسية بالمذهبين أثنـاء الاشن ، ولكن التفسير المتبادل للأفكار أمر محورى بالنسبة للشخصية السياسية للاشن • بل ان حالة يوشيدا شوين Yoshida Shoin ـ الذى وصف مرارا بأنه مثالى أخرق ـ تبين لنا أنها حالة معقدة جدا فى الواقع • ولما كان يوشيدا هو أهم معلم للقـادة الذين قادوا الهجوم من داخل اقطاعية تشوشـو Chashu ضد النظام القديم ، فلم توافقه المثالية المطلقة واليوتوبية التى دعا اليها أوشـيو ، وآثر أن ينحاز بجوارحه لآراء منسيوس "Mencius" الغاضبة فيما دعوته بالقفزة التاريخانية ، فقد قام بدراسـة متأنيـة لاستراتيجيات ميتو • وأدرك أوشيدا أهمية انطلاقة الطاقة المثالية التى يجسدها أوشيو ، كما أدرك أهمية العلاقة بين المعرفة والقوة فى الدول الغربية ، تلك العلاقة التى أكدها له ساكوما شوزان Sakuma Shozan واقترن الالتزام المثالى لدى يوشيدا لتحطيم الوضع القائم باتجاه الامبريقية للاستحواذ على الخبرة التكنولـوجية المتوفرة لدى الغرب وتفهمهـا ، بل

والسيطرة على تلك الخبرة • لذلك يعد يوشيدا مثالا للشخصية السياسية الراديكالية التى عرفتها الميجى اشن ، مما جعل الكثيرون يلتفون من حوله عن استحقاق •

دعونى أختتم مقالى بهذه التعليقات الموجزة ، فقد تعرضت فى مقالى لكثير من المذاهب والاتجاهات الفكرية ، مثل الاتجاه نحو المجتمعية المثالية (*) والمجتمع الطبيعى • ورغم أن المفاهيم المرتبطة بالميجى اشن التى شرحتها فيما سبق ، والتى حاولت بها أن أحدد مشكلة ادراك المفاهيم ، يمكن تفنيدها ، الا أن القول ، بأن البنى الرئيسية للوعى السياسى للميجى اشن ينبع من نظرة القرن الثامن عشر للتاريخ وأن هذه البنيات قد اعتمدت على التاريخ والطبيعة والسلوك الأخلاقى ، هو فى اعتقادى قول صحيح •



رابعـا :

الثقافة

الميجى : ثورة ثقافية

بقلم
فرانك ٠ب جبنى Frank B. Gibney
دائرة المعارف البريطانية
شيكاغو ـ الينوى ـ الولايات المتحدة الأمريكية

شهد العالم المعاصر خمس ثورات عالمية كبيرة منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى وقتنا هذا ٠ وهذه الثورات هى الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ ، والثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، والثورة الروسية عام ١٩١٧ ، والثورة الصينية عام ١٩١١ ـ التى لم تكتمل الا بانتصار ماوتسى تونج Maozehong عام ١٩٤٩ (وقد تكون لم تنتهى بعد) ، وثورة الميجى Meiji Restoration باليابان عام ١٨٦٨ ٠ وتستحق كل هذه الثورات بأن توصف بأنها ثورات ، نظرا لأنها قد أتت بتغيرات سياسية كبيرة ٠ وأدت تلك التغيرات الى استبدال سلطة حاكمة بسلطة أخرى ، وما أعقب ذلك من تغيير أفكار وأهداف الحكم ٠ وخلط الثوريون بين الأفكار القومية الضيقة والأفكار العالمية السامية . واعتمدوا على الأفكار الديموقراطية حتى أنهم استمدوا كثيرا من هذه الأفكار الديموقراطية من الأفكار المثالية التى سادت عصر التنوير ، وذلك رغم أن هذه الأفكار قد بدأت تضمحل ٠ ولذلك تختلف هـذه الثورات عن الثورات اليمينية التى عرفتهـا الفترة الفاشية فى أوربا ، كما تختلف عن كافة الصراعات المتعددة التى عرفت باسماء مختلفة مثل الصراع الشعبى أو القومى أو الشيوعى ، وكانت هذه الصراعات تهدف الى السيطرة على الحكم ٠ ولكنها لم تنجح الا فى استبدال نظام مستبد بنظام آخر مستبد ٠ وتلقى هذه الثورات بظلال كثيفة ، كما أن آثارها وتأثيراتها قد تعدت البلدان التى وقعت فيها ٠ وتجدر الاشارة

الى أن التاريخ المعاصر شهد قيام ثورات أخرى ، من أشهرهـا الثورة المكسيكية ، والثورة التى قام بهـا بوليفـار Boliver وسـان مارتن San Martin فى أمريكا الجنوبية . والثورة التى قام بها محمد على فى مصر والشـام ، والثـورة التى قـام بهـا أتـاتورك فى تركيا . ولكن جميع هذه الثورات كانت ثورات اقليمية قومية محدودة ، فهى تختلف عن الثورات الخمس الكبرى التى تعدت آثارها حدود البلدان التى وقعت فيها .

واذا رجعنا الى هذه الثورات الخمس ، فسنجد أن الثورة الأمريكية كانت مثالا للثورة على الاستعمار وتحقيق الاستقلال واقـامة جمهورية ديموقراطية فيدرالية تستند الى سيادة القانون . كما أن شعار « الحرية والمساواة والاخاء » الذى رفعتـه الثورة الفرنسية ، ما زال يستحث كثيرا من الشعوب للثورة على حكم الفرد والقضاء على الامتيازات التى تتمتع بها أقلية من الناس . كذلك كانت الثورة الروسية مثـالا لسيطرة الطبقة العاملة (البروليتاريا) على مقاليد الحـكم . وجدير بالذكر أن الثورة الصينية الشيوعية ـ التى تشابهت مع الثورة الروسية ـ كانت من الحكمة بحيث سيطر الفلاحون ـ وليست الطبقات العاملة ـ على مقاليد الحكم . وبذلك كانت الثورة الصينية مثالا للثورة الزراعية الناجحة تحتذى به كثير من دول العالم الثالث .

وما زال الكثيرون يسيئون فهم استعادة الميجى Meji Restoration واذا سـألت كثيريـن من المثقفـين فى أوربـا وأمـريكا عن معنى عبارة استعادة الميجى ، فسيقول لك البعض منهم بأنهم لم يسمعوا قط بهذه العبارة ، وسيقول البعض الآخر بأن هذه العبارة لها علاقة بالامبراطور وقيام الكومادور بيرى Commodore Perry بفتح اليابان . وفى الواقع ، فقد ظل كثيرون من المثقفين اليابانيين حتى وقت قريب يتبـعون آراء المؤرخـين اليمنيين ، الذين قالوا بأن الاسـتعادة Restoration تعنى استعادة الحكم الامبراطورى لانقاذ البلاد من الاستعمار الأجنبى ، أو يتبعون آراء الماركسيين التقليديين ، الذين قالوا بأن الميجى Meiji كانت مجرد استبدال نظـام الاقطاع القديم الذى عرفه حـكم طوكوجاوا Tokugawa بنظام البرجوازية الرأسمالية . وفى الفترة التى تلت الحرب ، أكـد كثير من الباحثين الأمريـكيين على أن الميجى Meiji كانت تعنى النهوض بالبلاد ومسايرة طابع العصر . وذلك رغم قيـام المؤرخين اليابانيين بالأبحاث الأساسية المتعلقة بالميجى Meiji

تعدت آثار الميجى Meiji الدولية حدود اليابان ، وما زالت تؤثر على كثير من بلدان آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط أكثر من ذى قبل ،

بل ان أثارها فاقت الآثار التى أحدثتها وقت قيامها ، حينما غطت النزعة العسكرية وطغت القوة الاستعمارية التى عرفتهـــا اليابان على الجانب الثورى للميجى Meiji ٠ لذا كانت الميجى Meiji ثورة ثقافية بحق ٠ ولم يشهد التاريخ المعاصر قيام أية دولة أخرى بتغيير المجتمع والعادات والاقتصاد والبنيان السياسى بالقدر الذى قامت به اليابان ٠ ولم يقم اليابانيون بالنهوض بالبلاد فحسب ، بل قاموا بتحويل النظام الاقطاعى المستبد الى نظام معاصر ، دون أن يفقدوا هويتهم القومية الثقافية أثناء عملية التحويل ، بل ان هويتهم الثقافية ازدادت تأصلا وعمقا ٠ وكان شعار المعركة الذى رفعه صغار المحاربين الساموراى المثقفين فى الستينيات من القرن التاسع عشر ، هو ان تاريخنا يبدأ من اليوم ، لأننا كنا بلا تاريخ ٠ « وكان ذلك الشعار يكفى لحث الثوريين الشباب على الثورة » ٠ واندفع المتحمسون الشباب الذين قالوا بأنهم « أمة بلا تاريخ » ، يفتشون صفحات تاريخهم وتاريخ الشعوب الأخرى ، فلربما وجدوا فى التاريخ ما يضفى طابع الشرعية على رغبتهم فى الثورة ٠

وفى كتاب « دراسة التاريخ » ، أشار ارنولد توينبى Arnold Toynbee الى تفرد اليـــابان بالصراع الثقـــافى بين « الهيروديين » و « المتعصبين » . وقال ان ذلك الصراع موجود فى كافة الحضارات ومختلف الأزمنة ٠ وسمى الهيروديين بهذا الاســـم نســـبة الى هيردوس آجربا Herod Agrippa الحاكم الرومانى الذى حكم اقليم الجليل بفلسطين فى القرن الأول الميلادى ٠ وقد عمل ذلك الحاكم الرومانى على استيعاب جميع المعارف الأجنبية والحضارات المختلفة بكافة الوسائل المتاحة لديه ٠ وسمى المتعصبون بهذا الاسم نسبة الى المتعصبين اليهود الأوائل (Zealots) الذين عملوا على الحفاظ على الثقافة المحلية التقليدية ، وقاوموا الأجانب ، وحاربوا كل ما هو مستورد وأجنبى ٠ ويبدو أن توينبى تردد قبل استخدام هذا التشبيه اليهودى ، خاصة عندما وصف الميجى اشن بأنها « السعى لتحقيق أهداف المتعصبين بالاستعانة بوسائل الهيروديين » ٠ وأضـــاف قائلا « سرعان ما اتضحت الصعوبات التى انطوى عليها استخدام مثل هذه العبارات ، وذلك رغم أن تقسيم طرفى الصراع الثقافى الى طرفين كان يبدو أمرا سهلا للوهلة الأولى » ٠

ونحن نقدر حيرة توينبى ، فقد وقع فيها كثير من الباحثين الغربيين الذين حاولوا تطبيق منطق ديكارت عند تحليل هذه الظاهرة اليابانية ٠ وقد تمثلت أهم الجوانب المثيرة لثورة الميجى Meiji Revolution فى قدرتهـــا على الجمع بين الهيروديين والمتعصبين اليابانيين تحت لواء الامبراطور ٠ ولم تكن حالة ايتو هيروبومى Ito Hirobumi الـذى بدأ حياته العامة بالهجوم على السفارة البريطانية الجديدة ، ثم اصبح

من أشد المؤيدين لنقل الأفكار السياسية الأوربية الى اليابان ، حالة فريدة من نوعها على الاطلاق • فكم من يابانيين غيروا آراءهم عدة مرات خلال سنوات قليلة ، حين أدركوا أن المعرفة الغربية لا تقتصر على صناعة المدفع واستخدام معدات الملاحة • وقال يوشيدا شوين Yashida shoin في هذا الصدد : يمكننا جميعا الاستفادة من المدافع وبناء السفن ، ومن معارفهم فى مجال الطب والعلوم الطبيعية ••• بعد استغلالها الاستغلال الأمثل ••• ولكن المشكلة هى من أين نبدأ وأين نتوقف عن الاستفادة من هذه الأشياء •

ولم يستطع شوين حل هذه المشكلة ، ووافته المنية وهو يحذر من شرور التدخل الأجنبى فى شئون اليابان • وكان ساكاموتو ريوما Sakamoto Ryoma من أشد المعارضين لكل ما هو أجنبى ، ثم ما لبث أن أصبح القوة الدافعة التى تولت قيادة حركة « الحضارة والتنوير » (Bunmei Kaika) التى سبقت الاستعادة ودفعت بها للأمام ، وقد ألهبت خططه الرامية الى اقامة مجالس نيابية ، والتخلص من الامتيازات الوراثية ، حماس المدافعين عن حقوق الشعب • واستشهد فى سبيل هذه القضية • ويجمل بنا أن نلاحظ كيف بدأت ثورة الميجى Meiji Revolution تلتهم أبناءها حتى قبل أن يشتد عودها • ومعظم الثورات تأتى بهذا الفعل • فلم يكن هناك مكان للثوريين الاجتماعيين من أصحاب المثل فى الاتحاد السوفيتى أيام ستالين • ولكن ثورة الميجى Meiji Revolution بالغت فى تطرفها •

فما سر نجاح اليابان فى النهوض واضفاء طابع الثورة على كل شىء بها ، فى الوقت الذى أخفقت فيه الجهود التىبذلتها دول كثيرة متخلفة للنهوض بأحوالها ، فلم يتحقق لها ما كانت تصبو اليه ؟ وأنا أشارك البروفسير كوابارا Kuwabara رأيه فى أن الميجى Meiji قد كتب لها النجاح لأنها كانت ثورة ثقافية فى المقام الأول ، فقد استوردت الأفكار من الخارج ، وساعدت تلك الأفكار على تغيير نمط الحياة لدى قطاع كبير من السكان • وساعد ذلك التغيير فى نمط الحياة على نجاح واستمرار ثورة الميجى Meiji Revolution ، وكان أكثر أهمية من التغيير الذى طرأ على نظرة اليابانيين للعالم المحيط بهم الذى جاء بمزيد من البطء ولم يكتمل بعد •

وعبارة ثورة ثقافية تجعل المرء يتذكر الثورة الثقافية فى جمهورية الصين الشعبية • ولكن هناك نقاط تشابه قليلة بين الثورتين • فقد أطلق الحرس الأحمر على ثورة الصين اسم « الثورة الثقافية الكبرى » ، وهى تسمية خاطئة • وقد حثت العناصر التي كانت تتولى زعامة الحزب

الشيوعي على قيام الثورة في الصين ، وذلك لضمان بقائها في الحكم ٠ ورغم أن الصين قد عرفت الكثير من المظالم التي ساعدت على تأجج الثورة ، وتمثلت تلك المظالم في عدم اتاحة فرص التعليم لأبناء العمال والفلاحين ، الا أن بكين هي التي كانت تقوم بتوجيه أعمال الشغب ، وتشجيع الثوار على القضاء على الحرس الأحمر ٠ وحتى شعار « للثوار الحق في الثورة » قد استخدم لتبرير أعمال العنف التي قامت بها الدهماء ٠ ولذلك يمكن القول بأن هناك جهات عليا لعبت دورا في قيام الثورة ، فهي نموذج كاريكاتيري للثورة ، كما أنها ليست ثورة ثقافية ٠

على عكس الثورة الصينية ، فقد نالت ثورة الميجي Meiji Revolution موافقة الشعب ، وكانت تهدف الى القضاء على النظام الحاكم كله وتعقبه في قمته وتحطيمه ، لا في ايدو Edo — مقر الحكم — فقط مع استثناء بعض قيادات اقطاعيات فردية ٠ وشارك في تلك الثورة حشد كبير من الناس ، وعلى رأسهم البيروقراطيون والمثقفون وكبار التجار وأهل المدن وعدد لا بأس به من المزارعين ٠ وبذلك يمكن القول بأنها كانت ثورة ادارية تتزعمها الطبقات الوسطى ٠ وكانت تلك الثورة تمثل انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة الى الطبقات الوسطى العاملة ٠ وكان هناك استثناءا واحدا لهذه القاعدة ، وهو الامبراطور — رمز السلطة القديمة — الذي أعيدت اليه هيمنته ، وقوى نفوذه ٠

وعندما أقول ان الثورة نالت موافقة الشعب ، فانا لا أعنى أن كل فرد في اليابان كان يجري وراء الدهماء الذين تجمعوا كالجراد حول معابد كيوتو Kyoto واوساكا Osaka وكافة المدن الأخرى ، وكانوا يهتفون في سعادة "ee ja nai ka" عشية قيام ثورة استعادة الميجي Meiji Restoration وساد جو من الحماس الشعبي ، وكان هناك احساس لدى الجميع بأن ثمة تجديد (Yonaoshi) لابد وأن يحدث ٠ ويرجع ذلك الى استياء الشعب المتزايد من حكومة باكوفو Bakufu التي عاشت في عزلة عن العالم ٠ ويشير فيكيوزاوا يوكيتشي الى تلك العزلة بقوله « عاش ملايين اليابانيين داخل ملايين من العلب المغلقة » ٠

وكانت هناك أسباب ايجابية تدعو الى قيام الثورة ، فقد رأت اليابان أن هناك آمالا عريضة تنتظرها اذا ما قامت الثورة ٠ واذ رأى الشعب أن كثيرين من أصحاب المواهب يطرقون أبوابا جديدة ويشقون طريقهم في الحياة ، رغم انخفاض مكانتهم ، فقد بدا للجميع أن هناك أبوابا جديدة تفتح أمامهم ٠ وأمن معظم أفراد الشعب بشرعية الاستعادة الفعلية ، بل حتى مؤيدو طوكوجاوا أمنوا بها ٠ وكان يكمن وراء كل هذا افتتان الناس بكل ما هو جديد : فقد فتنوا بالعادات الجديدة والأفكار الجديدة

والتكنولوجيا الجديدة والمعارف الجديدة ٠ وسرعان ما امتزج الشعور الوطنى بروح التحديث والتغيير الثقافى ٠ وبذلك وجد الهيروديون والمتعصبون من الأسباب ما يدفعهم الى الاتفاق فيما بينهم ٠

كان الطابع السياسى يغلب على الثورتين الفرنسية والأمريكية ، وذلك رغم وجود العوامل الاجتماعية والمشاكل الاقتصادية التى ساعدت على نجاحهما ٠ وغلب الطابع الايديولوجى على الثورتين الروسية والصينية ٠ وسبقت التغيرات الثقافية التى أدت الى التحديث ، قيام **الثورة السياسية الحقيقية فى اليابان ، ثم ما لبثت تلك التغيرات السياسية** أن ساعدت على تأجج الثورة ٠ ومن ثم يمكن القول بأن استعادة الميجى Meiji Restoration كانت أول ثورة شاملة تشهدها العصور الحديثة ٠ وكانت هذه الثورة شاملة لأنها كانت ثورة على كل شىء فاستعاد العرش امبراطورا شابا ، وشمل التغبير قوانين البلاد ، وادخال نظام جديد للتعليم ، وعرف الناس الموسيقى الغربية والأدب ، وتغيرت أساليب الملبس وتسريحات الشعر لديهم ٠ وشهدت البلاد بناء مصارف جديدة ، واقامة جيش حديث ، وادخال الدستور ، ووضع نظام سياسى جديد ، وسعت المصانع الى تحقيق أهدافها الثورية ٠

لعل المرء يتذكر الأمثال الشعبية التى عمت البلاد فى الأيام الأولى لقيام ثورة الميجى Meiji ، ومن هذه الأمثال المثل الذى قال « أقرع رأسا نصف شعرها محلوق » ، وستسمع صوتا قائلا « لنتمسك بالتقاليد القديمة » ٠ وأقرع رأسا كل شعرها محلوق ، وستسمع صوتا قائلا ولنستعيد الحكم الامبراطورى ٠ وأقرع رأسا طرفها العلوى محلوق الشعر بحسب العادات اليابانية (١) ، وستسمع صوتا ينادى بالحضارة والتنوير ٠

ولم يكن قص شعر الرأس الاجبارى للدلالة على اتباع السياسة الثورية مقصورا على المصلحين اليابانيين وحدهم ، فمنذ مائة عام خلت ، أصدر بطرس الأكبر ــ قيصر روسيا ــ أوامره لحراس القصر لقص الشعر وحلاقة الذقن كرمز لمسايرة طابع العصر ٠ وتذمر أولئك الحراس من تلك الأوامر ٠ وبعد مرور فترة قصيرة من الزمن على قيام ثورة الميجى Meiji كان الصينيون يقطعون ضفيرة الشعر كرمز للاستقلال والتخلص من طغيان مانتشوس Manchus ٠ وحتى فى العصور الحديثة ، أصدر الحكام ، أمثال لى كوان Lee Kwan ــ حاكم سنغافورة ــ أوامرهم للشباب بقص شعر رؤوسهم ، بحيث يكون قصيرا وأنيقا ٠

كانت ثورة الميجى Meiji الثقافية أبعد أثرا ، فكان حظر تقلد السيوف رمزا يدل على أن النظام القديم قد ولى ٠ ورغم أن الفوارق الطبقية

كانت لا تزال قائمة فى اليابان ، وكانت الصفوة المميزة تحتل معظم المناصب القيادية ، الا أن انتشار التعليم الاجبارى ، ودخول أبناء الشعب الجامعات ، كان اشعارا موجها لكل فرد من أفراد الشعب اليابانى يخبره فيه بقدرته على الترقى الى أعلى المناصب عن طريق الاستحقاق والكفاءة الشخصية فقط ، وذلك بصورة لم تعهدها البلاد من قبل ٠

وأنا أسلم بأن دوافع اصلاح العادات الاجتماعية والتغيير الثقافى لم تكن خالصة ٠ فما كان بمقدور النساء أن يتحررن من يوشيوارا Yoshiwara ويبتعدون عن أماكن اللهو الأخرى ، لولا استياء الأجانب من ذلك ٠ كما تغيرت كثير من العادات القديمة المتعلقة بالاستحمام وأكل اللحوم والزينة ، بعد أن استاء الأجانب من تلك العادات ٠ وفضلا عن ذلك ، فقد اعترفت البلاد بضرورة استيراد المعرفة الغربية والثقافة الغربية بجانب الآلات الغربية من أجل تحقيق مستقبل أفضل ٠

وكان لتلك التغيرات الاجتماعية أبلغ الأثر على الكثيرين ٠ وقام مورى أرينورى Mori Arinori بتأليف كتاب عن أثر التغيرات الاجتماعية والثقافية فى حياته ، وانتشر ذلك الكتاب كما تنتشر النار فى الهشيم ٠ كما تصور لنا مؤلفات ناتسومى سوزيكى Natisume Soseki الصراع النفسى الذى أحدثته ثورة الميجى الثقافية ٠ وتصور بعض الكتاب الآخرين ، أمثال مورى أوجى Mori Ogai ، المشاكل المتعلقة بتمثل الثقافة الغربية ، ولم تكن الضغوط التى تعرضت لها اليابان فى تلك الفترة هينة ، ولكن النتائج النهائية أثبتت نجاح الثورة الثقافية نجاحا منقطع النظير ، فلم تحد اليابان عن سياسة تلك الثورة ، وذلك رغم كافة العثرات التى مرت بها ٠

وتصاب جميع الثورات بالبرود ، وأحيانا بالتجمد ، ويصدق جانب كبير من هذا القول على ثورة الميجى Meiji ٠ ومن الناحية السياسية ، ظلت الميجى Meiji محتفظة بحرارتها لبعض الوقت ٠ فبعد عام ١٨٩٠ ، طوق البيروقراطيون ودعاه النزعة العسكرية نيران الثورة التى اندلعت بعد أن طالب أصحاب المثل بحقوق الشعب ٠٠٠ ولكن سرعان ما تأججت نيران تلك الثورة مرة أخرى فى العشرينات من القرن العشرين ، واحترق البيروقراطيون ودعاه النزعة العسكرية وسط نيران النزعة العسكرية التى سادت الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ٠ وتوارى العلماء ورجال الأعمال والبرلمانيون المخلصون — الذين عاصروا فترة حكم الميجى Meiji وأوائل فترة حكم تايشو Taisho — عن الأنظار قبل وصول الأساطيل والجيوش الغربية ، وضربها لمدن الصين ٠ وكان على اليابان أن تنتظر حتى تحل بها الهزيمة النكراء على يد القوات الأمريكية فى الحرب العالمية

الثانية حتى تخرج من قوقعتها السياسية التى مكثت بداخلها حتى بعد قيام ثورة الميجى Meiji ، كما انتظرت الاحتلال الأمريكى لأراضيها حتى تعمل على احياء التقاليد التى ظلت باقية ولم تمت أبدا • كما ظل التراث الثقافى للميجى Meiji بافيا • وقد ثبت أن التراث الثقافى اليابانى لا يقدر بثمن ، وذلك بعد أن تلقت اليابان مساعدات ضخمة من القوات الأمريكية المحتلة ، فانطلقت تعيد بناء نفسها ، وتحولت الى قوة اقتصادية عظيمة يعمل لها العالم ألف حساب • وظل جيل كامل يكافح لتخليص نفســه من الحطام الذى خلفه الاســتعمار الأوربى وراءه بعد رحيله عن البلدان التى كان يحتلها • ووجدت هذه البلدان التى نالت استقلالهـا مؤخرا نفسها تواجه الكثير من التحديات ، فكان عليها النهوض ومسايرة طابع العصر والقيام بالتغيرات الثقافية •••• وهى نفس التحديات التى نجح اليابانيون فى مواجهتها منذ قرن من الزمان •

ومن السهل علينا الآن تقدير حجم الانجازات التى حققتهـا ثورة الميجى Meiji ، بعد مضى قرن من الزمان ، وذلك بأن ننظر الى تلك الأحداث الماضية ــ التى كان لثورة الميجى الفضل الأول فى حدوثها ــ من زاوية عالمية • فلم تعد ثقافة أوربا الغربية هى الحكم الذى يصدر أحكامه على سياسة واقتصاد ونمط الحياة فى العالم ، وجعلتنا التكنولوجيا ووسائل الاتصالات السريعة نقف على كل ما يحدث فى بقاع الأرض ، واستطاع أصحاب النظرة القومية الضيقة الطواف بكافة أنحاء العالم من خلال شاشة التليفزيون • فلا عجب أن يتحول الرجل اليابانى المتعصب ، صــاحب الايديولوجيات العدوانية ، الذى كان أبرع من يستخدم السيف ، ويقوم بخطف الرهائن ، بين عشية وضحاها الى مبشر بالتنوير والتكنولوجيا • وقامت حــكومات دول عديدة بتقليد واستيعاب أفكار الميجى Meiji فى الخمسين سنة الماضية ، ومن أشهر هذه الدول غانا وأندونسيا ومصر وكوبا وكينيا • ويجعلنا التطرف المخيف الذى صاحب ثورة ماو Muo الثقافية فى الصين ، نفتح أعيننا على حقيقة الانجازات الضــخمة التى حققتها ثورة الميجى Meiji ، برغم جميع الخسائر التى تكبدتها والتى كان لا مفر منها •

وعملت الدول الآسيوية على السير فى ركاب ثورة الميجى Meiji عندما حاربت الاستعمار ، وسعت الى تحقيق الاستقلال • وقد فر لينج تشى تشو Liang Chi-Chao الى اليابان ، بعد أن فشلت محاولاته لحمل حكام مانتشو Manchu فى الصين على الأخذ بأسباب التقدم والنهوض بالبــلاد عام ١٨٩٨ • كمــا أوت اليابان سن ــ يات سين Sun Yat-sen الذى كان يحلم فى أخريات حياته بتحقيق ثورة فى الصين على غرار ثورة الميجى Meiji فى اليابان • وسعى اميليو اجينالدو

Emilio Aguinaldo الى الحصول على مساعدة اليابانيين في صراعه ضد الأسبانيين أولا ثم الأمريكيين في الفلبين . وحاول الثوار في الهند وأندونسيا الاستفادة في دروس اليابان . وفي بداية الثمانينات من القرن العشرين ، سعى بعض القادة الكبار ، أمثال دنج زيوبنج Deng Xiaoping في الصين وأنور السادات في مصر ، الى الاستفادة من تجربة الميجى Meiji في النهوض ببلادهم ومسايرة طابع العصر .

والآن دعونا نلقى نظرة سريعة على أحوال اليابان وقت قيام ثورة الميجى Meiji ، حتى نعرف مقدار ما تكبده المصلحون في تلك الفترة . ففي عام ١٨٦٨ ، كان يحق لنا أن نطلق لفظ اقطاعى على اليابان ، وهو نفس اللفظ الذى نطلقه على أوربا في العصور الوسطى . فقد كان لا يزال ضرب العنق والطعن بالرماح والصلب هى أساليب العقوبة المتبعة في اليابان . وكان لا يزال بامكان أحد رجال المحاربين الساموراى طعن رجل من العامة بالسيف ، اذا رأى منه ما لا يرضيه . وكان القانون الرئيسى يتمثل في مجموعة الأعراف التى ارتضتها كل عشيرة لنفسها ، بعيدا عن القوانين العامة التى وضعها الشوجون . وكان الرجل الاقطاعى هو الذى يتحكم في ظروف التعليم والاقامة . وكان الرجل يدين بالولاء لعشيرته فقط . وواقع الأمر أن حكومة اليابان لم تتغير كثيرا في الستينات من القرن التاسع عشر عن نظام الشوجون الذى أرسى قواعده طوكوجاوا اياسو Tokugawa Ieyasu عام ١٦١٦ ، بعد استيلائه على قلعة اوساكا Osaka

وبعد ذلك بقرنين ، عرفت أوربا عصر النهضة والاصلاح والثورة الصناعية والتنوير ، بينما ظلت اليابان منغلقة على نفسها ــ فكانت تتعبد في محراب العزلة مثلها في ذلك مثل جارتها كوريا . ولكن في ظل فترة السلام الممتدة التى نعمت بها اليابان ، كانت القوة البورجوازية قد بدأت تطل برأسها ، وكان لتلك القوة أفكارها وثقافتها في الفن والاقتصاد . وحصل بعض الناس على قسط من العلم ، فتشككوا في قيمة نظام السلطة القائم على « الهيراركية » . وساعد تسرب المعارف الغربية في مجال الطب ، وبناء السفن ، وصناعة السلاح ، على شحذ همم المفكرين الكونفوشيين باليابان . وبفضل التجارة الداخلية تمكنت اليابان من تطوير نظام قومى لمد الطرق ، وادخال القياسات والمواصفات ، فاستطاعت بذلك التخلص من العزلة المحلية التى فرضتها العشائر الاقطاعية ، ومهدت الطريق أمام ثقافة قومية جديدة .

ونلاحظ من خلال قراءة هذا المقال أن هناك ثلاث مجموعات لعبت دورا حاسما في ذلك الوقت العصيب الذى مرت به اليابان . وهذه المجموعات هى :

١ — أهل المـدن الجدد : ويتكون أهل المدن من التجـار والمرابين والسماسره ، وأصحاب الأراضى الجدد ، الذين عملوا على خلق اقتصـاد يعتمد على المال منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وأضفوا الطابع التجارى على المجتمع الزراعى فى اليابان . ونمكنوا من خلق ثقافة شعبية فى المدن . وبذلك كانوا أول من أقام مجتمعا معاصرا قوامه الطبقة الوسطى .

٢ — المفكرون الجدد : انشقت عدة أجيال من العلمـاء والفلاسـفة والمؤرخين والسياسيين البرجماتيين على ايديولوجية طوكوجاوا الكونفوشية . فقاموا بفحص دعائم مجتمعهم ، وأخذوا ينظرون فى جذورهم كيابانيين . وفى أثناء ذلك اكتشفوا النقائص التى تعيب شرعية حكم طوكوجاوا . وفى نفس الوقت ، أنكب باحثون آخرون على الكتب الأوربية التى كانت محظورة من قبل ، فعثروا على عالم جديد من العلوم والتكنولوجيا الغربية .

٣ — المتذمرون من أصـحاب الموهبـة : ثارت الطبقة الخاملة التى كانت تضم بين صفوفها جيلا جديدا من اليابانيين ، معظمهم من المحاربين الساموراى من الطبقة الدنيا ، وبعضهم من العامة وأبناء التجار والمزارعين ، على حالة الخمول التى كانت تعانى منها ، فأخذت تعبر عن عدم رضاها عن المجتمع المغلق ، ثم انطلقت تبحث عن القوة والسلطة وسبل علاج تلك المساوىء الاقتصـادية والسياسية التى عانت منها البلاد آنذاك ، معتمدة على الموهبة لا على الرتبة الاجتماعية .

ولا يجب علينا النظر الى هذه المجموعات الثلاثة من الزاوية الأوربية . فلا يصح أن نتصور التجار اليابانيين الذين عاشوا فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، على أنهم بورجوازيون ذوو عقول مستقلة ، أو أنهم كانوا يتلهفون الى قلب نظام الحكم والقضاء على الامتيازات التى كان الارستقراطيون المحافظون يتمتعون بها . كما لا يصح القول بأن المفكرين الذين عاشوا فى مقاطعة ميتو Mito ، كانوا يتلهفون الى نبذ الايهام الفكرى الذى سيطر على الطبقة الاقطاعية ، وتفضيل الفكر العقلانى عليه ، أو تصور الشباب من المحاربين الساموراى وكأنهم ثوريون يضيقون بكل ما حولهم ، مثلهم فى ذلك مثل خريجى الجامعـات العاطلين عن العمل فى أمريكا اللاتينية أو صغار الموظفين الذين كانوا يضيقون زرعا بمن هم أعلى منهم فى التسلسل الوظيفى . صحيح أن تلك العناصر كانت موجودة ، ولكنها استغرقت وقتا طويلا لتظهر . وفى بداية الأمر ، كانت هناك قلة ممن كانوا يظنون أنفسهم ثوريين . فقد كانت الغـالبية تدين بالولاء لنظام طوكوجاوا الحاكم .

وكان على اليابانيين انتظـار وصـول اسـطول الكومادور بيرى Commodore Perry وما أعقبه من تهديد أوربى وأمريكى ، حتى يتجهوا

بافكارهم شطر الثورة المطلقة · وأشار فيكيوزاوا Fukuzawa
الى الموقف الصعب الذى وجد اليابانيون أنفسهم فيه بقوله « كان يصعب على اليابانيين الأخذ بزمام المبادرة » · ولكن لولا وجود تلك القوى التى أخذت تعمل داخل اليابان ، لننهى « فتح اليابان » نهاية مختلفة عن تلك التى نعرفهـــا ، وما كان لثـــورة الميجى Meiji Revolution
– التى نعرفها – أن تبدأ أبدا ، فقد ساعد النشـــاط الذى قامت به المجموعات الثلاثة على قيام ثورة الميجى Meiji

وأهل المدن الجدد Chomin حالة تستحق منا الدراسة · فلم يقوموا ببناء دعامات المجتمع التجارى فى اليابان فحسب ، بل كان ذلك المجتمع لديه من القوة بحيث لم يكن بامكان الحكومة القضاء عليه بمجرد اصدار مرسوم أو كبته رسميا ، ولذلك بقيت روح ذلك المجتمع التجارى قائمة فى كافة المؤسسات القومية اليابانية حتى يومنا هذا – ولكنهم خلقوا شيئا آخر · فقد خلقوا بـدايات الثقافة الجماهيرية المعاصرة · وبذلك مهدوا الطريق لقيام ثورة الميجى Meiji الثقافية · فلم يرفض الشوجون Shoguns مسرحيات الكابوكى Kabuki بل كانوا يؤدونها بصفة دائمة ، كما لم يستنكروا الشهرة التى حظيت بها بين جماهير المدن ، لمجرد الرفض أو الاستنكار ، فقد رأوا أن تلك المسرحيات تمثل رمزا لثقافة المدن الجديدة التى يمكن أن تقفز فيما وراء حدود عالم طوكوجاوا المغلق على نفسه ، وتوحد صفوف الناس الذين كان من المفروض أن تفصـــل بينهم الجدران الطبقية · وان كان الأدب قد تجرد من بعض السمات الأخلاقية آنذاك ، الا أن الطبقة الوسطى وجدت فى هذا الأدب بديلا يغنيها عن ثقافة الطبقة الارستقراطية ·

وزاد عدد من يعرفون القراءة والكتابة · وانتشرت محلات بيع الكتب وبيوت اللهو فى ايدو Edo · وكان لكل منهما أنصار يرعونها · وازدادت معدلات من يعرفون القراءة والكتابة ، اذ لم تكن هناك صعوبة فى الحصول على قسط من التعليم فى أواخر عهد طوكوجاوا · وكان يسمح للعـــامة وللبوشى bushi بالحضور فى كثير من مدارس الاقطاعية · وانتشرت مدارس المعابد الصغيرة teakoya فى كافة أنحاء الريف ، وكانت تعلم أصول القراءة والكتابة وبعض تعاليم كونفوش · وكانت قراءات أهل المدن Chomin فى مستوى أقل وأوسع من حكاية جنيجى Tale of Genji أو قصص monogatari عن المحاربين القدماء · وارتبطت معرفة القراءة والكتـــابة وقراءة القصص البسيطة مع بدايات نقل المعرفة الغربية الى اليابان · فقد لاقت تلك المعرفة اقبـــالا لدى عامة الناس ، وذلك حينما جاءتهم فى صورة ملابس وأدوات نافعة وأوان جديدة فضلا عن الآلات

الجديدة . وكان فجر ثورة الميجى Meiji الثقافية على وشك البزوغ ، وكان أهل المدن الجدد هم نواة الطبقة المتوسطة التى ستخرج الى النور .

ولم نكن ثقافة أهل المدن ثقافة تجارية بحتة . فقد كان لأهل المدن الجديدة خلفية ثقافية تفوق ثقافة الـ Chomin الذين قد استقروا فى ايدو Edo . وبجانب البيروقراطيين وأصحاب الأراضى الذين كانوا يدينون بالولاء لحكم طوكوجاوا ، عاش عدد كبير من رجال الساموراى المشردين Ronin ، الذين لم يعودوا يدينون بالولاء لأية اقطاعية ، فكانوا يتكسبون قوتهم بالعمل مدرسين أو حرفيين أو معلمين يدرسون مذهب كونفوشى أو مدربين على المبارزة بالسيف أو تجارا . فبعد أن أمسك الفقر بخناق طبقة الساموراى ، تحول كثيرون منهم الى التجارة ، وبذلك فضلوا الغنى على الصيت . وكان هنك تخلخل اجتماعى ، فحصل التجار الناجحون على الرتب التى كان يتمتع بها رجال الساموراى ... فكان أحد أفراد أسرة طوكوجاوا الحاكمة ، أو أحد السادة الاقطاعيين (الذين ربما كنت تربطهم علاقة مال أو استدانة مع أولئك التجار) يمنح التجار الحق فى تقلد سيفين ، والتسرف بلقب من الألقاب .

وبعد تعقد الأمور ، تحولت مقاطعات اقطاعية كثيرة الى التجارة . ووجد رجال الساموراى ــ الذين تلقوا تدريبا ليكونوا باحثين أو موظفين ، ان لم يكونوا محاربين حقيقيين ــ أنفسهم يتاجرون فى الحرير أو الخشب أو المنسوجات فى مراكز التجارة الكبرى . وفى المدن ، كانوا يصغون الى المحاضرات التى كان يلقيها ايشيدا بيجان Ishida Baigan ، وبعض الفلاسفة الآخرين، عن الـ Shingaku (دراسة القلب) . وكان أولئك الفلاسفة يعلمون أتباعهم بأنه لايعيب المرء شيئا اذا ما عمل بالتجارة . وفى الوقت الذى ظل فيه حكام طوكوجاوا والسادة الاقطاعيون يحتفظون بتقاليد البلاط ، كان رجال الساموراى ذوو الرتبة الدنيا يفقدون رتبهم ، أو على الأقل يعيدون التفكير فيها .

مرت اليابان بأوقات عصيبة قبيل قيام ثورة الميجى Meiji فساد الاضطراب الثقافى المثير . وقد كتب أحد العلماء الشباب عن ذلك بقوله « فقدت تعاليم كونفوشيوس Confucius ومنسيوس Mencius ما كان لها من قوة . وكان على المعارف العلمية أن تصلنا من الغرب . وكان الأمر يبدو وكأن الشمس قد غربت ، ولكن القمر لم يطلع بعد » .

ومن حسن حظ اليابان أنه كان لديها عدد وفير من الشباب من ذوى المواهب ، الذين كانوا يتوقون الى التعلم وقيادة دفة الأمور ، ولكنهم كانوا يشعرون بالضيق والاحباط لما يفرضه الشوجون من قيود ، وكانوا

يشعرون بالحزن لتفوق الأوربيين عليهم · فقبل حلول عام ١٨٦٨ ، كانت السفن البريطانية والفرنسية قد أذاقت رجال العشائر اليابانبين نيران المدافع ، وما يمكن أن تفعله بقلاع ومنازل المحاربين بالسيوف ·

تعثرت انجازات مصلحى الميجى Meiji · وألغيت المقاطعات بمقتضى القانون الامبراطورى عام ١٨٧١ ، وذلك رغم أن الامبراطور استعاد هيمنته بفضل جهود العشائر · وحلت الولايات محل الاقطاعيات ، وظهر البرلمان (الدايت » وعرفت البلاد الدستور القومى على غرار الدستور الذى أدخله بسمارك Bismark فى المانيا عام ١٨٨٩ · كما صدر قانون لفرض نظم التعليم الاجبارى عام ١٨٧٢ ، أى بعد صدور قانون مماثل فى انجلترا بعامين فقط ، وقبل أن تصدر قوانين مماثلة فى فرنسا والولايات المتحدة · وأنشئت جامعة طوكيو التى كانت مدرسة قديمة « لتعلم لغات البرابرة » · وأصدر رجال الساموراى المعارضون للحكومة أول جريدة معاصرة فى السبعينات من القرن التاسع عشر · ثم صدرت أول قوانين للرقابة · وكان لابد للحكومة البدء بتشكيل قوة بوليس بالمدن من نقطة الصفر · وأطلق على تلك القوة لفظ "Purisu" لأن اللغة اليابانية لم تكن تحتوى على كلمة تعبر عن مفهوم البوليس · وبذلت اليابان كل ما فى وسعها لتصبح مجتمعا معاصرا ، فادخلت كافة النظم المصرفية وأساليب نشر الكتب · وانطلقت البعثات السياسية والثقافية والتكنولوجية الى أمريكا وأوربا للوقوف على أحدث النظم التى يمكن نقلها لليابان · وحل شعار Wakon yosai"أو « الروح اليابانية والمعرفة الغربية » محل الشعار القديم الذى قال « بجل الامبراطور واطرد البرابرة » · ولتطبيق مبدأ الاستفادة من المعرفة الغربية ، حملت السفن مئات المعلمين والمستشارين والفنيين الأجانب الى اليابان ·

كانت الرغبة فى الاستفادة من المعارف العربية تدفع البعثات اليابانية التى كانت تدرس بالخارج ، الى النهل من هذه المعارف ، فتواضعت تواضعا شديدا لتحقيق تلك المآرب ، لدرجة أنها كانت تحط من قدر العادات والتراث اليابانى أحيانا · فقد كانت تلك البعثات تدرك تفوق الغرب على اليابان · ويعبر فيكيوزاوا عن ذلك بقوله « لا يمكن لأحد أن يزعم بأن معارفنا أو تجاربنا كانت تقف على قدم المساواة مع معارف أو تجارة الغرب · وكل ما كان بمقدور اليابان أن تعتز به هو مناظرها الطبيعية الخلابة » ·

ويحمل هذا القول قدرا كبيرا من التهكم اليوم ، بعد أن فاقت معارف وتجارة اليابان مثيلاتها فى الدول الغربية ، بل واتسع البون بين هذه وتلك (ولكن المناظر الطبيعية الخلابة التى كانت تعتز بها اليابان ،

أصبحت تحارب معركة خاسرة ، ويرجع ذلك الى التقدم الصناعى الهائل الذى حققته اليابان) • ولكن ما يسترعى النظر الآن هو السرعة الهائلة التى تغيرت بها عقلية الميجى Meiji ، وذلك حتى تتمكن من اللحاق بركب التقدم الغربى ، حتى أن البعض يصفون سرعة التحول تلك بأنها عيب أكثر منها فضيلة تستحق المديح •

وهزت التغيرات الثقافية كل ركن من أركان المجتمع اليابانى • وكان وقع التغيرات الثقافية على اليابان يماثل وقع عصر الاكتشافات والتنوير على أوربا • فرغم أن ثورة الميجى Mej Revolution قد قامت بفضل جهود المثقفين ـ الذين كانوا يضمون بين صفوفهم الجنود والعلماء والبيروقراطيين ـ شأنها فى ذلك شأن بقية الثورات ، الا أن آثارها امتدت الى المزارعين المطحونين الذين كانوا يشكلون قاعدة المجتمع اليابانى ، وكذلك أصحاب الحرف ورجال الأعمال بالمدن • صحيح أن ثورة الميجى Meiji كانت بتوجيه ممن هم فى المراكز العليا بالدولة ، وذلك بغرض النهوض بالبلاد ومسايرة طابع العصر ، الا أن نظم التجنيد الاجبارى ونظم التعليم العام التى سمحت للتلاميذ بدخول المدارس استنادا الى الكفاءة والتفوق فقط ، قد أفادت معظم السكان •

واذا كانت ثورة الميجى Meiji Revolution ظاهرة غير عادية ، فقد كان قادة تلك الثورة أكثر غرابة • ولم يزد عددهم عن خمسين رجلا • وكانوا من الرجال الموهوبين الذين قاموا بوضع أسس اليابان المعاصرة • وخطط أولئك الرجال لأول انقلاب فى الحكم وعملوا على انجاحه ، وسعوا الى تحويل جهود المستعمرين وجهة أخرى بعيدة عن اليابان ، واستطاعوا السيطرة على المناوئين للأجانب والمتحمسين للنظام القديم والمؤيدين للتخلص من العادات القديمة ، فأرسوا أسس اليابان المعاصرة من تلك العجينة الخام •

وسار قادة ثورة الميجى Meiji على نفس الدرب الذى صار عليه قادة الثورة الأمريكية منذ قرن مضى ، فعملوا على التخلص من العادات القديمة ، واقتلاع جذور النظام القديم ، وكانوا يكرهون المواقف المتطرفة • كما كان أولئك القادة الثوريون يميلون الى المحافظة على الشىء القديم الذى يمكن الانتفاع به ، أكثر من ميلهم الى التخلص مما هو فاسد • وكان قادة الثورتين ـ الأمريكية واليابانية ـ يميلون الى اتباع سياسة المهادنة والحل الوسط • كما لم يتم التخلص من أولئك القادة ، أو تلويث سمعتهم بعد انتهاء الثورة فى البلدين • فمعظم الثورات الأخرى كانت تتخلص من قادتها ، بل وتمثل بجثثهم ، كما حدث لكرمويل Cromwell

عقب انتهاء الثورة فى انجلترا · فبقى قادة الثورة ، بعد انتهاء الثورة فى البلدين ، يقودون المجتمع الذى قاموا بتغييره تغيرا شاملا ·

يختلف قادة ثورة الميجى Meiji عن قادة الثورة الأمريكية فى أنهم عاشوا فى ظروف متواضعة · فلولا الصدمة والاضطراب والتغيير الذى صاحب الثورة ، لعاشوا حياة هادئة مثل معظم رجال الساموراى ذوى الرتبة الدنيا ، والبيروقراطيين ، والعلماء الذين كانوا يعملون بعض الوقت ، وضاعوا بين طيات العشائر المتعددة · وكان بعض قادة الثورة من غير الساموراى ، بل انحدروا من عائلات التجار أو المزارعين ، كما كان بينهم عدد قليل من نبلاء البلاط والسادة الاقطاعيين وزعماء العشائر ·

وكان أولئك القادة من أصحاب المثل ، ولكنهم لم يكونوا من أصحاب النظريات · وكانت تستهويهم كلمة Jitsugaku ، وتعنى السعى وراء المعرفة العملية · وقاموا جميعا بدراسة بعض فروع المعرفة الغربية ، وكانوا قد تعلموا بعض اللغات الغربية ـ كاللغة الهولندية والانجليزية ـ وقت قيام ثورة الميجى · وسافر بعضهم الى أوربا أو أمريكا · ولم يكونوا جميعا يسعون الى التخلص من العادات القديمة بصورة شاملة ، أو يهدفون الى المحافظة على القديم على نحو شامل ، بل كانوا مزيجا يضم الطرفين · فقد كانوا ممزقين تتنازعهم الرغبة فى استيراد المخترعات الغربية ، ان لم تكن الأفكار الغربية نفسها ، ويستبد بهم الشعور القومى الجارف الذى يأبى التعاون مع الأجانب ، ولا سيما أولئك البرابرة ذوى الشعر الأحمر ، الذين جاءوا من الغرب · وعمل ذلك الصراع على خلق نوع من التوازن الغريب ، ويمكن للمرء مشاهدة هذا التوازن فى اليابان حتى يومنا هذا ·

لم يكن جميـــع الرجال الذين شاركوا فى ثورة الميجى Meiji من السياسيين ، فتعددت اتجاهاتهم فى الحياة ، فاتجه بعضهم الى العمل بالتجارة ، والبعض الآخر الى التعليم أو وسائل الاتصال أو البنوك · وبذلك ساهموا فى بناء دولة اليابان الحديثة بنصيب وافر · ولا يزال التاريخ يذكر لنا الرجل الذى أسس جريدة Asahi Shintun عام ١٨٨٠ أكثر مما يذكر لنا الرجل الذى قام ببناء أسطول اليابان المعاصر · فقد عرفت اليابان كتابا مرموقين ، ساهموا فى النهضة الأدبية حتى أصبح الأدب اليابانى من أعظم الآداب العالمية ·

وعرف رجال الثورة بكثرة الشجار والنقـاش وتدبير المؤامرات · واحتفظ كثيرون منهم بالقدرة على تـدبير المؤامرات ـ تلك القـدرة التى اكتسبوها وقت قيـام الثورة · واتخذ قليلون منهم ذلك مسلكا لهم ،

ولكنهم استجابوا لنداء العمل سويا ، واستجابوا لنداء الحرب الذى أطلقه الأميرال توجو Togo من على ظهر سفينته الحربية ميكاسا Mikasa قبيل بدء معركة تسوشيما Tsushima · فقد قال توجو : ان مصير اليابان يتوقف على ما ستبذلونه اليوم من العمل ، فابذلوا كل ما فى طاقتكم » · وكان هناك هامش ضئيل يفصل بين النجاح والفشل فى حياة أولئك الرجال ·

ومن الظلم القول بأن رجال الثورة كانوا من المؤيدين لحكم القلة ، أو أنهم كانوا مجرد أدوات تنفيذ فى يد الثورة · فقد كان لكل واحد منهم شخصيته المستقلة · وكان البعض منهم يميلون الى فرض آرائهم ، ولكنهم لم يكونوا مستبدين · ورغم الثورات التى كان يقوم بها الفلاحون من آن لآخر ، ورغم الاضطرابات التى كانت تشهدها المدن ، الا أن رجال ثورة الميجى Meiji استطاعوا كسب ثقة الغالبية العظمى من المواطنين ·

ويصعب علينا شرح الأسباب التى جعلت بعض اليابانيين يقفزون الى مركز الصدارة · ومن المعروف أن اليابانيين يظهرون قدرا كبيرا من التفوق اذا عملوا فى جماعات · ويتلاشى هذا التفوق اذا انصرف كل واحد الى العمل بمفرده · وساعدت الأزمة التى لم يسبق لليابان أن تعرضت لها من قبل على وصـول بعض الناس ــ الذين كانوا مصـدر ازعاج فى الأوقات الأخرى ــ الى مراكز السـلطة · وكتب يوشـيدا شـيجارو Yashida Shigera رئيس الوزراء السابق عن ذلك بقوله « استفادت الطبقة المحاربة من خلفياتها السابقة ، لأن الصفات المطلوبة آنذاك كانت تتمثل فى المبادرة والجسارة والقوة الدافعة » ·

وزيارة لمدينـة هاجى ، مدينـة القلعة العتيقـة لعاصمة اقطاعه تشوشو ، يمكن أن تفيدنا فى فهم المدى الذى أخذتهم اليه دفعتهم هذه · لقد ظلت هاجى مدينة صغيرة على مدى السنين وعاشت فى كنف ماضيها بهدوء ، مع وجود تغييرات حديثة بسيطة · وتبدو بعض شوارع فى قلب المدينة العتيقة ، كما لو أنها كما هى ، عندما كانت هاجى عاصمة تشوشو ومركز التآمر ضد الحاكم العسكرى طوكوجاوا فى ايدو · أما مدرسة يوشيدا شوين « تحت ظلال أشجار الصنوبر » الشهيرة ، فقد تحولت الى متحف صغير ، مع تغييرات طفيفة · وحتى المنازل التى عاش فيهـا اتو هيرومومى ، وياماجاتا اريتومو ، وتلاميذ آخرون مشهورون ليوشيدا فظل أغلبها على ما كانت عليه فى الخمسينات من القرن التاسع عشر ، عندما شرع المخلصون الشبان فى الكفاح ضد الشوجون ·

لم يكن المرء يصدق نفسه عندما كان يرى الشباب اليابانى يجلسون فى فصول الدراسة ، ثم يراهم بعـد عشر سـنوات فقط ، وهم يجوبون

أمريكا وأوربا بحثا عن الأفكار الجديدة التى تناسب مجتمعهم المعاصر بعد هزيمة الشوجون ـ وكانوا يرتدون الزى الغربى ـ ثم يعودون إلى اليابان لافتتاح السكك الحديدية وحضور المجالس والحفلات التنكرية فى طوكيو ، والذهاب الى مصانع صب المعادن ومصانع صنع المدافع التى استخدمتها اليابان للدفاع عن أراضيها ضـد عدوان السفن الأجنبية ـ وما زالت بقايا مسبك المعادن القديم مصانة • وانتهى بها الحال الى أن تصبح تراثا ثقافيـا • ويمكن أن نجد العذر لمقلديه الفاشلين لفشلهـم ، فحتى الآن يصعب علينا فهم كيف قاموا بانشائه •

أثر الميجى Meiji على الثقافة الشعبية

بقـلم
اروكاوا ديكيتشى *Irokawa Daikichi*
كلية طوكيو للاقتصاد Tokyo College of Economics
كوكو بونجى ـ شى Kokubunji - shi
طوكيو ـ اليابان

يعد اصلاح الميجى احدى الانجـازات النـادرة · ومارسـت القوى الأمريكية والأوربية الكثير من الضغوط على اليابان ، كما كان للحضارة الغربية أثر كبير على اليابان ، فانطلقت الثـورة السـياسية من قمقمها ، وقامت بالاصـلاحات الاجتماعية الشاملة ، وتحققت وحدة البـلاد · فما الذى حدث فى ميـدان الثقافة اذن ؟ وما هو موقف الميجى Meiji من تاريخ الحضارة العالميـة ؟ ان اليابان عبـارة عن جزر ، مما مكنهـا من الحفـاظ على ثقافتهـا لما يزيد على عشرة قرون ، واسـتطاعت تجنب الوقوع تحت سـيطرة الامبراطورية الصينية ، فما نـوع الاضطرابات والتغيرات النوعية التى نتجت عن تأثر اليابان بالحضـارة الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر ، وأثر ذلك على الثقافة ؟

اذا نظرنا الى الموقف نظرة عالمية ، فاننا نجد أن الاستجابة للحضارة الغربية تمثلت فى تيارين مختلفين عن بعضهما كل الاختلاف · كان التيار الأول يمثل قبول الحضارة الغربية · أما التيار الثانى فكان يمثل رفض هذه الحضارة · وساد التيار الأول فى بعض الدول ـ كاليابان وروسيا ـ التى أقامت علاقات مع الغرب ، ولكنها لم تفرط فى اسـتقلالها · وساد

التيار الثانى فى الدول التى أرغمها الغرب على اقامة علاقة معه ، وذلك عن طريق أية صورة من صور الخضوع أو الاستعمار ٠ وانتشر التيار الأول بسهولة فى تلك الدول ، فعملت على الاستفادة من التكنولوجيا والمؤسسات الأجنبية ، وذلك حتى تتمكن من تنمية اقتصادها والنهوض بقوتها العسكرية ٠ ولكن مقاومة الثقافة الروحية الأوربية ـ التى تمثلت فى الفلسفة والدين ـ لم تكن قوية بصورة كافية ، مما أدى فى بعض الفترات الى التقليد السطحى والاضطراب ٠

وساد التيار الثانى ـ تيار الرفض ـ فى دول كالصين وكوريا والهند والعالم العربى ٠ وارتبطت الحضارة الغربية فى تلك الدول بالسيطرة الاستعمارية ٠ وأدى ذلك الى صراع طويل ومرير بين الثقافة الغربية والثقافة المحلية ٠ واتخذ الفكر فى تلك الدول طابع التأمل الذاتى ، وأشعلت روح المقاومة العنيفة حركات التحرر ٠ وتعد بعض الشخصيات مثل غاندى ونهرو فى الهند وسن يات سين Sun Yat-sen ولوسن Lu Hsun فى الصين تجسيدا للعاطفة الوطنية ٠ وتحرر أولئك القادة من المزاعم الأيديولوجية المتعلقة بالحضارة الغربية ، ومن النظرة الوجدانية للحضارة ، فأدركوا قيمة ثقافة بلادهم ، وأكدوا على قيمة هذه الثقافة ٠

وسواء ظلت الأمة محتفظة باستقلالها ، أم استسلمت للاستعمار ، فلن يفسر لنا ذلك سبب اختلاف أساليب الاستجابة للغرب ، ومن الاهمية بمكان معرفة المرة الأولى التى واجهت فيها الأمة القوى الغربية ، وفى أية مرحلة من مراحل تاريخها كانت تلك المواجهة ٠ واختلف موضوع الانفتاح على الغرب فى العديد من دول آسيا ٠ فاضطرت الصين الى الانفتاح على الغرب فيما بين عامى ١٨٤٠ ، ١٨٥٠ ، واليابان فيما بين عامى ١٨٥٠ و ١٨٦٠ ، وكوريا فيما بين عامى ١٨٧٥ و ١٨٨٠ ٠ ٠

يعد استعداد الدول المختلفة لتقبل التمدن وقوة ثقافتها وقت انفتاحها على الغرب ، أحد العوامل الرئيسة التى تحدد مسار الأمة ، وهل ستتجه نحو الاستقلال ، أم ستخضع للغرب ٠ فعلى سبيل المثال ، تمكنت اليابان من وضع أسس التنمية الرأسمالية فى وقت مبكر ، وازدهرت لديها ثقافة ناضجة ، وميراث ضخم من المعارف الغربية (الهولندية) ٠ وارتبط ذلك بارتفاع معدل من يعرفون القراءة والكتابة ، ورغبة من عامة الشعب فى الاتيان بالأعمال الجليلة ، والتطلع الى عصر جديد ٠ ومن ثم توافرت الاشتراطات الأساسية التى أعانت البلاد على اجتياز الأزمة الدولية التى أمسكت بخناقها ٠

ولا أهدف الى التعرض لهذه العوامل ، وانما أرغب فى تناول النتائج التى صاحبت الاستعادة Restoration وأثرها على الثقافة أثناء فترة حكم الميجى Meiji • فما هى الآثار وردود الفعل واذضطرابات والقدرات الابداعية التى ترتبت على قيام ثورة الميجى Meiji

أثر الاصلاح (الاستعادة) Restoration على طبقات المجتمع اليابانى :

انى أتحدث عن تأثير الاستعادة Restoration على الثقافة ، ولكن ينبغى توضيح بعض الأمور فى هذا الشــأن • فاذا نظرنا الى مجـريات الأحداث ، وما كانت عليه من نصف قرن مثلا ، فسنجد أنفسنا نتعرض لأثر واحد من الآثار المتعددة • ولكننا لو تعرضــنا للحقبــة التى تلت الاستعادة مباشرة ، وقمنا بتحليل آثار الاســتعادة على قطـاعات المجتمع المختلفة من وجهات نظر متعددة ، فسنجد أن هناك اختلافات كثيرة •

كانت الاستعادة Restoration بمعناها الواســع تعنى تحرر السعب اليــابانى • فقد قضــت على الفوارق الطبقية ، ومنحت الحــرية للمجتمع ، فأصبح أكثر قدرة على الحركة ، ومنحت الناس ما يحتاجونه لتحقيق طموحاتهم ، وكانت القوة الدافعة التى ساعدت على الأخـذ بأسباب التقدم والانطلاق نحو التنمية التى لولاها لما استطاعت اليابان التحول من النظام الاقطاعى المستبد الى النظام الدستورى ، ولما استطاعت التحول الى مجتمع صناعى حديث ، أو ازدهــرت الثقافة بها أثنــاء فترة حكم الميجى • وواقع الأمر أن الاستعادة Rertoration جلعت معظم اليابانيين يقفون فى صــف الامبراطور أو ما يعــرف ب Tennoshugisha فى اللغــة اليابانيــة •

ولكننا لو تناولنــا الموضوع من هذه الزاوية ، فسنعود بالنتائج لنقطة البدء • واذا قمنا بتحليل الاستعادة Restoration تحليلا وافيا بعد مضى عشر سنوات على قيامها ، فسنجد أن آثارها تعددت بشــكل ملحوظ ، كما اتسعت الهوة التى تفصل بين الطبقات الاجتماعية •

ويمــكن تصنيف الطبقات الاجتماعيــة المتعددة الى مجموعتين ، هما طبقة الساموراى التى كانت تسيطر على مقاليد الحكم بالبلاد ، وطبقة العامة • وانسلخت الصفوة البيروقراطية التى كانت تسيطر على المؤسسات الحاكمة أثناء تولى حكومة الميجى Meiji مقاليد الحــكم ، من طبقة الســاموراى ، وقامت بتشكيل مجمــوعة مستقلة • وتمسكت الطبقــة البيروقراطية بالقيم العقلانية الغربية والنظرة النفعية فى مجال السياسة • وتمسكت طبقة الساموراى بالمذهب المثالى الذى ينادى باتبـــاع آراء

كونفوشيوس فيما يتعلق بنظام الحكم • وبينما اتفق الطرفان على ضرورة تحقيق الرخاء والنهوض بأحوال الجيش (الثروة والقوة العسكرية fukoku kyohei) ، فقد اختلفا من حيث المبدأ حول القضايا المتعلقة بوضع الخطط لتحقيق ذلك • واستمر ذلك الخلاف طوال تاريخ اليابان السياسى • ويقول ناجيتا تتسو Najita Tetsuo ، من جامعة شيكاغو ، « أن معظم رجال الساموراى المثقفين الذين طردوا من مناصبهم العالية قد اعتمدوا على هذه القيم المثالية عندما استمروا يوجهون النقد للنظام الحاكم » •

أود أن أوجه النقاش الى طبقات العامة المتعددة ، وأنا أقسم هذه الطبقات الى المجموعات الثلاث التالية :

١ ــ الفلاحون الأثرياء (gosho) والتجار(Kasho) ــ وكان أولئك هم قادة القرية •

٢ ــ الطبقة العاملة بالمدن (Kaso seikatsumin) وكانت تضم المزارعين من الفقراء ومن الطبقة الوسطى ومن كانوا يتشبهون بطبقة البروليتاريا •

٣ ــ طبقة المنبوذين (hisabetsu minshu)

لم تستجب هذه الطبقات الثلاث للاستعادة Restoration بصورة واحدة • فقد أصدرت الحكومة مرسوما يقضى بوقف استخدام العبارات التى كانت تطلق على طبقة المنبوذين ، وتسبب الأذى لهم ــ وهو ما سمى بمرسوم التحرر ــ فى أغسطس سنة ١٨٧١ ، مما أثار موجة من الابتهاج والفرح وسط هذه الطبقة التى أخذت تتساءل قائلة : كيف يتأتى لنا أن نكافىء السماء على هذه النعمة ؟ ورغم أن ذلك التحرر لم يدم الا لبعض الوقت ، اذ لم تصحبه أية ضمانات اجتماعية من اى نوع ، الا أن ذلك الجانب الحضارى من جانب الحكومة ، قد أثلج صدور المنبوذين الذين ظلوا يعانون الظلم والتفرقة لمئات السنين • وصدرت بعض المؤلفات تمتدح الوجه الحضارى الجديد لليابان وتلقى الضوء على انجازات ثورة الميجى Meiji ، منها كتاب (فهم التنوير عن طريق السؤال والجواب) الذى نشر عام ١٨٧٤ ، وكتاب (أضواء على الميجى) عام ١٨٧٥ ، وكتاب (التجديد العظيم) الذى يصور قيام الحكومة الجديدة بتحرير طبقة المنبوذين ، وانهاء حكم طوكوجاوا Tokugawa السابق الذى كان يتكون من نظام الطبقات الأربع ، بأنه عمل عظيم • وهناك حكايات مثل قصة اوماتسو ــ المغنية الشعبية (toriori Omatsu kaijo shinya) التى قام بتاليفها كناجاكى روبن Kanagaki Robun (١٨٢٩ ــ ١٨٩٤)،

ويصف فيها شعور النســـوة بعد أن عرفن أن التحرر كان اسميا فقط ، لذلك امتلأت قلوبهن بالكراهية الشديدة • وشعرت الطبقة العاملة ـ التى كانت تشكل غالبية العامة من السكان ـ باستياء فقط من المرسوم الذى أصدرته الحكومة لتحرير المنبوذين • ويسجل لنا التاريخ قيام احدى عشرة انتفاضـــة فيما بين عام ۱۸۷۱ وعام ۱۸۷۳ للتعبير عن المعارضـــة لذلك المرسوم • وبلغ التطرف حدا جعل الرعاع بولاية أوكاياما Okayama يقومون بالهجوم على قرية ايتـا Itta فى يناير عام ۱۸۷۲ ، فتسبب ذلك فى مصرع أربعـــة واضرام النيران فى ٢٤ منزلا • وفى عام ۱۸۷۳ قام ۲٦٫۰۰۰ رجلا بالهجوم على ميماســاكا Mimasaka بولاية أوكاياما Okayama ، احتجاجا على قانون التجنيد الاجبارى الجديد، وأنظمة التعليم ، ومرســـوم تحرير المنبوذين ، فتسبب ذلك فى هـدم ٥١ منزلا وحرق ٢٦٣ منزلا أخرى •

ووقعت أحداث العنف تلك على نطـاق واسـع فى ولاية فوكواكا Fukuoka • فقد ارتفعت أسعار الأرز بصورة فجائية ، فانتشرت أعمال الشغب فى تلك الولاية ، واشترك فيها ۱۰۰٫۰۰۰ شخصا • وقام أولئك الأشخاص بالهجوم على قرية تلو الأخرى ، والاعتداء على المنبوذين ، وحرق ۲٫۰۰۰ منزلا ، وهدم ما يقرب من ٥٫۰۰۰ منزلا أخرى • وبلغت أعمـــال العنف ذروتهــا عنـدما قامت الدهماء باقتحام مكاتب الولاية ، مما تسبب فى مقتل ١٢ شخصا من المسئولين ، بالاضافة الى مقتل عشرات من المشاغبين ، وذلك عنـدما تدخلت قوات الأمن لقمع تلك الاضطرابات (وشملت الاجراءات التأديبية التى اتخذتها الحكومة نحو ٦٤٫۰۰۰ شخصا) • وتعد أعمـــال العنف بولاية فوكواكا Fukuoka ، وأعمـال الشغب التى وقعت بعـد ذلك بثلاث سنوات ، بولاية ايزو Aizu مـن أكثـر الاضطرابات الشعبية التى شهدتها فترة حكم الميجى Meiji

ووقعت أعمال الشغب بولاية ايزو Aizo للاعتراض على قيـــام الحكومة بتعديل ضريبة الأراضى • وبدأ الاضطراب فى ولاية ميا Mie ثم ما لبث أن انتشر فى ولايات ايتشاى Aichi وجيفو Gifu و وكاياما Wakayama المجاورة • وصب المشاغبون حمم غضبهم على كل ماله علاقة بالنظام الحكومى • فقـاموا بتخـريب واحـراق كل مكاتب الحكومة بالقرى ومراكز الشرطة والمدارس والمحاكم والســجون وأبنية الولاية وســـجلات الضرائب وأطلقوا سراح المسجونين • وقامت الحكومة بحشد قوات الساموراى والحاميات ، فاســـتطاعت اخماد أعمال الشغب بعد أسبوع من اشتعالها ، وعاقبت ٥٧٫۰۰۰ شخصا • وبعد مضى عشرة أيام ، دعت الحكومة الى عقد اجتماع طارىء لمجلس الوزراء ، وأرغمت

على اصـــدار منشور امبراطورى ، أعلنت فيـــه خفض ضريبة الأراضى بدرجة كبيرة ٠

وتصور لنا تلك الحادثة المنفردة مدى معارضـــة الطبقات الدنيا للحكومة الجديدة ، ومدى كراهيتها للبيروقراطية ٠ وفى الأعوام الخمس التى فصلت بين صدور قانون التجنيد الاجبارى وتعديل قانون ضريبـــة الأراضى عام ١٨٧٣ ، ومنشور خفض ضريبة الأراضى عام ١٨٧٧ ، زادت أعمال الشغب التى قامت بها الطبقات الدنيا ضد الحكومة على ١٥٠ حادثة ٠ وكانت بمثابة ثورة على الحضارة المعاصرة (الغربيـــة) ٠ ولكن لماذا قام الناس بالثورة ضد الحضـــارة ؟ (فهل لهذه الأحداث أية علاقة بتحطيم الآلة ـ التى كانت بداية انطلاق الثورة الصناعية فى أوربا ؟ أو هل كانت لها علاقة بأعمال العنف التى اندلعت فى الهند والصـــين وكوريـا فى فى القرن التاسع عشر احتجاجا على الحضـــارة وعلى اصطباغ البـــلاد بالصبغة الغربية ؟) ٠

تزايد الوعى لدى الطبقات الدنيـــا التى كانت ترفض اصطباغ البـــلاد بالصبغة الغربية :

دعونا نبحث آثار الاستعادة Restoration من وجهة نظر الطبقات الدنيا فى المجتمع اليابانى ٠ كانت الســياسة التى انتهجتها الحـــكومة الجديدة تسىء الى الطبقات الدنيا ، وكأنها تستخف بكل ما هو مقدس لدى تلك الطبقات ٠ ولم تتسبب السـياسة الدينيـــة التى انتهجتها حكومة الامبراطور ـ والتى تمثلت فى فصـــل الشنتو Shinto عن البـــوذية Buddhism ، والانتقـاص مـــن قدر المعـابد والشـــعائر البـــوذية (waibutsu kishaku) ، واتخاذ الشنتو shimisen الدين الرسمى للبلاد ـ فى نشر الفوضى بين عامة الشعب التى كانت تعتنق المذهب البوذى فحسب ، بل أن تلك السياسة عمدت الى القضـــاء على المعتقدات الشعبية السائدة ٠ ورفضت الحكومة الممارسات التى كانت الصفوة البيروقراطية تنظر اليها على اعتبار أنهـــا لن تتسبب فى أى ضرر أو نفع للمجتمع ، ووصفتها بأنها من مخلفات العادات البائدة ، وأنهـــا ممارســات شريرة وخزعبلات وغباء ٠ وقامت بالقضاء على تلك الممارسات عن طريق القوانين التعسفية أو عن طريق السلطات المحلية ٠

وبينما كان أهل القرى يمارسون طقوســهم واحتفالاتهم السنوية ، لم تع الصفوة البيروقراطية مقدار الاضطراب والفزع الذى سيحل بأولئك الناس ، عندما كانت تلك الصفوة تصدر أوامرها بالقضـــاء على عاداتهم

وتقاليدهم ... تلك العادات المتوارثة التى كان أهل القرى يحتفلون بها كل عام ، أو عندما كانت تأمرهم باتباع آلهة جديدة . فقد كانت قلوب أهل القرية تلتف حول تلك العادات . وزاد تدخل الحكومة فى حياة أهل القرى ، بعد الغاء نظام الاقطاعيات ، واستبدالها بنظام الولايات عام ١٨٧١. ولعل ذلك التدخل المتزايد ــ من جانب الحكومة ــ خير دليل على عدم وعى الصفوة البيروقراطية بأمور أهل القرى .

وتبين لنا هذه القائمة مقدار تدخل الحكومة فى حياة أهل القرى . فقد حظرت الحكومة احتفالات أهل القرية بالعام الجديد . كما أوقفت مهرجانات الحصاد فى الخريف ، وما كان يصحبها من غناء ورقص وكافة وسائل التسلية الأخرى . وحظرت ممارسة الطقوس الدينية التى كان يمارسها أهل القرية عند شروق الشمس أو طلوع القمر (Ohimachi tsukimachi) ، أو التى كانت لها علاقة بعقيدة الشنتو Shinto أو الآلهة البوذية . كما حظرت الحكومة وسائل التسلية الشعبية كالرقص التقليدى وألعاب شاميسن Shamisen على مسرح الكابوكى Kabuki وحظرت اقامة المسارح بالقرى . بل حاولت حكومة الميجى Meiji منع القرويين من القيام بواجبات الضيافة التى كانوا يقومون بها تجاه الزائرين فى احتفالات العرس والولادة والذهاب الى الأضرحة والجنازات ، وجمع التبرعات للأعمال الخيرية ، وحظرت الشحاذة ، والقيام بالأعمال المهينة لكرامة الرجل مثل عزف الموسيقى من بيت الى بيت للحصول على المال أو الطعام ، والقيام بالأداء المسرحى على نواصى الشوارع . وحظرت خلع الملابس (كما قد يحدث أحيانا أثناء العمل اليدوى) ، والتعرى ، والوشم ، والاستحمام المشترك ، والصور العارية والقمار . وأرغمت الرجال على قص ضفائر الشعر وقص الشعر على الطريقة الغربية . وشملت صور التدخل الحكومى والقهر كافة مظاهر الحياة الخاصة .

ولم تكتف الحكومة بحظر الأنشطة المتعلقة بنواحى الحياة اليومية ، كالشعائر الدينية ، والعادات والعلاقات الاجتماعية ، وأشكال التسلية المتعددة ، والمهرجانات التى كانت تقام فى المناسبات ، بل ان السياسة الجديدة التى انتهجتها الحكومة كانت تشكل عبئا على أهل القرى . فقد عانى القرويون من الضغوط الاقتصادية الناجمة عن تغير العادات الاجتماعية بصورة مفاجئة ، عقب صدور المرسوم الحكومى الذى يقضى بتحرير طبقة المنبوذين ، وفرض نظم التعليم الاجبارى ذات الطابع الغربى على الأطفال ، ودفع الضريبة المرتفعة المفروضة على الأراضى نقدا . وألغت الحكومة القيود المفروضة على بيع الأراضى ، وأصدرت اللوائح المتعلقة

بالرهونات المالية ، مما عـرض اصـحاب الأراضى لخطـر انتزاع ملكيتهم للأراضى على يد المرابين • وساعدت هجرة أهل الريف من القرى الى المدن على زيادة الفوضى بين القطاعات الدنيا فى القرى والمناطق الريفية •

وقامت الحكومة بكل هذه النغييرات المتشنجة بصـورة تعسفية ، دون أن تقوم باستشارة من سيتأثرون بهذه التغييرات ، أو تحرص على موافقتهم • لذلك نظرت الطبقات الدنيا الى « الحضـــارة » و « النظام الجديد » على أنهما شر يهدد كيانهم ومصدر قلق دائم لهـم • وارتبطت معارضتهم لهذه التغييرات بعدة أيديولوجيات • واشـــتدت معارضتهم بسبب سوء الفهم واضطراب سبل الاتصال • وقد عبرت تلك المعارضـة عن نفسها فى صورة موجة عارمة من السخط على الحكومة وعلى الجهود التى بذلتها لصبغ البلاد بالصبغة الغربية ، وقد التهبت مشاعرهم بعـــد أن أحسوا بتحطيم الأمل الذى كان يحدوهم فى خفض ضريبـــة الأطيـــان nengu hangen ، والاعفاء من الضرائب المتعددة Zatsuzei menjo ، وتصحيح الأخطاء الاجتماعية Yonaoshi yonarashi والمســـاواة الاجتماعية •

وكانت الاستعادة Restoration تعنى الحرمان الشـــديد بالنسبة للطبقات الفقيرة فى ايدو Edo والمدن الأخرى بصفة خاصة • وفقد الكثيرون وظائفهم ، عندما بدأ رجـــال الســـاموراى يتركون المدن (انخفض عدد السكان فى مدينة ايدو Edo ، فاصبح عددهم ٦٠٠٫٠٠٠ ألف نسمة عقب الاستعادة Restoration ، بعد أن كان عددهم ١٫٣ مليون نسمة) ، وعانى السكان التضخم الذى اشتد بعد فتح الموانى• وانتشرت لكوليرا والأمراض الأخرى المعدية التى جلبها الأجانب • لهذا كله نظر أهالى مدينة ايدو Eho الى الحضارة الغربية باشمئزاز • وتصف رواية هيجوتشى اتشيو Higuchi Ichiyo (١٨٧٢ ـ ١٨٩٦) بعنوان (صورة من صور الظلام) أحوال الفقراء فى مدينة ايدو •

لكن هل فهم البيروقراطيون مشاعر الطبقات الدنيا آنذاك ؟ يصعب علينا تصديق ذلك • فقد كان معظمهم يتمســـكون بالاعتقاد القائل بأن « الحضارة تعنى الاصطباغ بالصبغة الغربية » ، وكانوا على اقتناع كامل بأن خير البلاد انما يكمن فى تحول البلاد الى أمة متمدينـــة ذات طابع غربى وكان المثقفون يشاركونهم الرأى ، وكانوا يزدرون عامة الشعب ، ويصفونهـــم بأنهم « الرعاع الجهلاء ، غير المتحضرين ، العاجزين الذين لا حول لهم ولا قوة » • وكانوا يعتبرون أن طبقة الساموراى ، وتلك الفئة المحدودة من عامة الشعب التى تشربت روح الساموراى ، وليست طبقة

الفلاحين ، هى القادرة على القيام بالاصلاحات السياسية • وبما أن البيروقراطيين كانوا ينظرون الى حياة عامة الشعب على أنها تغص بالأساليب البربرية العتيقة التى لم تعد تتماشى مع العصر الحديث ، فقد كانوا يرون ان واجبهم يحتم عليهم قيادة وتوجيه أولئك الناس الى الحياة المتمدينة ، حتى لو اضطروا الى استخدام القوة لتحقيق ذلك • وكان الناس ينظرون الى السياسة على أن لها قيمة مطلقة لايرقى اليها الشك ، اذ أن تلك السياسة قد وضعتها الحكومة للأخذ بيدهم من البربرية الى المدنية • لذلك لم يقدروا على مواجهة النظام الجديد ، رغم الخوف الذى أحاط بهم ، ورغم القلق الذى استبد بهم بسبب التغيرات التى اصطدموا بها • وكانت طاقات أولئك الناس تتراكم يوما بعد يوم ، دون أن تجد لها مخرجا ، فكانت تخرج فى صورة ثورات وأعمال شغب • كما عبرت تلك الطاقات عن نفسها فى صورة ديانات شعبية مناوئة للحكم ، مثل ديانة تريكيو Terrikyo وديانة ماريواماكيو Maruyamakyo •

فى مارس عام ١٨٧٣ شهد حى اونو Ono قيام انتفاضة اشترك فيها ٢٠٠٠٠ رجلا من أتباع طائفة شين shin ، وطالبوا فيها بالحرية الدينية • فى تلك الانتفاضة ، اتخذ احتجاج الطبقات الدنيا على الحضارة صورة دينية ، وأعلنت تلك الطبقات « أن البلاط يؤيد تعاليم يسوع المسيح ، وأن قص ضفيرة الشعر وارتداء ملابس غريبة هى عادات مسيحية، وأن المبادىء الثلاثة التى استند عليها التعليم الدينى نابعة من تعاليم يسوع المسيح » • وانخفضت حدة التوتر والقلق الذى كان يشعر به عامة الشعب بمرور الوقت ، ولكنها ظلت تشعر بأنها لا تتوافق مع ايقاع المجتمع المتمدين المعاصر ، ولازمها ذلك الشعور ، مما ساعد على افراز الثقافة الجماهيرية فى أوائل فترة حكم شوا Showa ، وهى على النقيض من الروايات الشعبية • وساعد شعور عامة الشعب بعدم مسايرتها لطابع المجتمع المعاصر على نشأة الجناح الراديكالى اليمينى الذى يرمى الى التجديد، ويطالب باستعادة الشوا

ويمكن تقسيم تيارات الفكر المعاصر التى استمدت مصادرها من استعادة الميجى Meiji Restoration على النحو التالى :

(أ) التيار الرئيسى الذى كان يسعى لتطبيق النماذج الفكرية الغربية •

١ ــ التيار الرئيسى للعقلانية البيروقراطية •

٢ ــ تيار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر (ويمكن لهذا التيار أن يظهر فى صورة مشتركة مع التيار الوارد فى الفقرة ب ٢) •

(ب) التيارات الجانبية التى كانت تسعى الى ايجاد نموذج للتقدم والمعاصرة فى دول شرق آسيا ٠

١ ــ تيار الرفض الخفى الذى اتبعته الطبقات الشعبية الدنيا ٠
٢ ــ تيار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر ٠

يمثل اكوبو توشيمتشى Okubo Toshimichi وايتو هيروبومى Ito Hirobumi قاده التيـــار الرئيسى للعقلانيـــة البيروقراطيـــة المشار اليه فى الفقرة أ ــ ١ ٠ ويمثل سياجو تاكامورى Saigo Takamori وكيتا ايكى Kita Ikki تيـــار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر المشار اليه فى الفقرة ب ــ ٢ ٠ وينتمى معظم المجاهدين الذين تزعموا الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات لتيـار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر ، بينما ينتمى ساكوموتو سوســاكو Sakamoto Sosaku وتناكا شوزو Tanaka Shozo وبعض المجاهدين الآخرين الذين طالبوا بحقوق الشعب الى تيـار الرفض الخفى الذى اتبعته الطبقات الشعبية الدنيـــا ، وتيـار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر ٠

ولكننا لا نستنتج من هذا أن الطبقات الدنيا فى المجتمع كانت ترفض التقدم والأخذ بأسباب التمدين لمجرد أنها كانت ترفض السياسات التى انتهجتها حكومة الاستعادة Restoration ٠ فتلك الطبقات هى التى استبسلت فى حربها ضد النظام الاقطاعى ، وخاضت مئـــات الثورات المنظمة أثناء استعادة الميجى Meiji Restoration وأطلقت تسميات على هذه الثورات مثل « الثورات الكاسحة » و « ثورات القرى » ، ولكن جميع تلك الثورات كانت تسعى الى التقدم وذلك حين شعر النـــاس أنفسهم بالحاجة الى الأخذ بأسباب التقدم ٠ وكان بامكان تلك الطبقات الدنيا أن تتحد مع المنبوذين لتغيير مجتمعاتهم القديمة وخلق نظام جديد فى القرى ٠ ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق ، بل ان تلك الطبقات أرغمت على الدخول فى صدام داخلى مع المنبوذين ، ويرجع سبب ذلك الصدام الذى وقع بين الطرفين الى عدم نمو الوعى الشعبى ، وســـياسات الرقابة التى اتبعتها الحـكومة ٠

آثار الاستعادة Restoration على طبقة المزارعين الأثرياء :

لنتأمل الآن آثار الاستعادة على الـ gosho gono ، أى على المزارعين الأثرياء والتجار فى المناطق الريفيـــة ٠ منذ فترة حـكم التمبو Tempo (١٨٣٠ ــ ١٨٤٣) ، بذل أولئك المزارعون الأثرياء والتجار

كل ما في وسعهم لاعادة بناء القرى التي لحق بها الدمار ، وذلك باعتبارهم رعماء القرى • وكانوا تجسيدا للمتناقضات التي كانت موجودة في القرى أثناء فترة حكم باكوماتسو Bakumatsu ، وعقدوا الأمل على قيام ثورة الاستعادة Restoration حتى يخرجوا من ورطتهم • وقد اشتعل الشعور الوطني بينهم بمجرد وصول أسطول الكومادور بيرى Commodore Perry الأمريكي • وكانوا يضمون بين صفوفهم كثيرين من المتحمسين المتعصبين أثناء فترة حكم الاستعادة • ولكن أولئك المتحمسين لم يحققوا قدرا كبيرا من النجاح • واقتصر نجاحهم على قيام حزب المعرفة العملية بتولي شئون الادارة المحلية في كوماموتو Kumamoto • ولكن ذلك الحزب لم يستمر سوى ثلاث سنوات ، اذ قضت عليه الحكومة المركزية • فظل أعضاء ذلك الحزب من المعلمين والعلماء مثل طوكو تومى كازوتاكا Tokutomi Kazutaka (١٨٢٢ ــ ١٩١٤) الذى بقى خارج نطاق العمل الحكومي ، ولكنه ظل يدعو الى تشكيل جمعيات شعبية محلية ، وحث الحركة الشعبية على المطالبة بوضع نظام (البرلمان) الديت القومي National Diet كما استمالته بعض جوانب الفكر المعاصر • وكان المجاهدون من المزارعين الأثرياء والتجار gono and gosho نواة الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات • وتمسك كثيرون من أعضاء تلك الطبقة بالكونفوشية والشنتوية أثناء معارضتهم « للحضارة والتنوير » ، وكانوا يعتبرون أنفسهم متقفين محليين ، ولكنهم لم يتحولوا الى ممارسة الأنشطة السياسية المناوئة للحكومة •

وكما نرى ، فان طبقة المزارعين الأثرياء والتجار هي التي احتضنت الحضارة والفكر الغربي المعاصر • ولكن تقبلهم للحضارة الغربية جعل حياتهم يكتنفها كثير من التناقض • لقد اعتنقوا المبدأ النفعي الذى تستند عليه « الحضارة والتنوير » ، وذلك لأن ذلك المبدأ اعترف بحقهم في اكتساب الثروة وتحقيق أحلامهم ، ولكن وضعهم كزعماء للقرى قد اضطرهم الى أن يكونوا مثالا للقدوة الحسنة والأخلاق الحميدة •

ودعونا نتأمل الآن الأثر الايجابي للاستعادة Restoration على النشاط الثقافي الخاص بطبقة المزارعين الأثرياء (gono) فبعد أن أيقنت القرى ان حكومة الاستعادة Restoration ماضية في الأخذ بأسباب التمدين ، وأن الحضارة أمر لا رجعة فيه ، ازداد اقبال طبقة المزارعين الأثرياء على التعليم أثناء الحقبة الثانية من فترة الميجى Meiji era • وقمنا بدراسة لآلاف الجمعيات التي أقبلت على التعليم في كافة أنحاء اليابان ، وكان أعضاؤها هم المزارعون الأثرياء والتجار •

وأظهرت نتائج تلك الدراسة أن تلك الجمعيات قد تحولت الى مراكز تطالب الحكومة بمنح الشعب حقوقه ، وتعمـــل على قيـــام ثورة فكرية تشمل جميع طوائف الشعب ٠ كما أن تلك المراكز تعهدت برعاية الثقافة الشعبية التى ترعرعت ٠

وكان ذلك تطورا هاما ٠ وشملت أنشطة تلك الجمعيات الاعتماد على النفس فى الدراسة والتدريب على الفكر الغـربى المعاصر الذى تمثـل فى النقاش المتبادل ، وتبادل المثقفين فى المدن للأفكار فيما بينهم ، وندوات القراءة المنتظمة ، والقاء الخطب حول الآداب والعلوم ، وعقد الاجتماعات لالقاء الأحاديث السياسية والمناقشات ، والمام الأطفال بالثقافة السياسية ٠ واتخذ الناس زمام المبادرة للقيام بتلك الأنشطة ، فلم يعتمدوا على دعم الحكومة لهم ٠ وساعدت تلك الأنشطة على التخفيف من الشعور بالضغينة الذى كانت تكنه الطبقات الدنيا للحضارة والتنوير ، ذلك الشعور الذى ساعدت حكومة الميجى على اثرائه فيما بينهم ، كمـا ساعدت تلك الأنشطة على تحديد الاتجاه الصحيح الذى يؤدى الى النهوض والأخذ بأســباب التحضر ٠ قرأت تلك الجمعيـــات مؤلفـــات فيكيوزاوا يوكيشى Fukuzama Yukichi ، ومن أشــــهرها مؤلف مدخـــل العـــالم (١٨٦٩) ، وتشجيع المعرفة (١٨٧٢) ، وخلاصة نظرية الحضارة (١٨٧٥)، وكذلك ترجمات روسو Rousseau وميـل Mill وسبنسر Spencer مما ساعد على زيادة وعى الناس بأحوال العـالم المحيط بهـم ٠ وبانتشار الوعى ، ازدهرت ثقافة المزارعين الأثرياء (gono) التى بدأت فى الثمانينات من القرن التاسع عشر ٠

وأدرك المزارعون الأثرياء (gono) أن لغة القلب يمكن التعبير عنها بصورة أفضل بأسلوب الأدب الصينى K (anbun) ، وذلك بعد أن تشبعوا بروح الاستعادة Restoration ٠ وتناول الشعراء الحياة اليومية والعـــالم المحيط بهم والأحوال السياسية فى أشـعارهم ، فظهر كم هائل من المؤلفات الشعرية ٠ وقد بينت لنا الدراســات التى أجراها البروفسير مايدا أى Maeda Ai وآخرون ، أن ذلك الانتاج الأدبى الغزير كان يتمتع بجودة عالية ٠ وتنافس الشعراء فيما بينهم على قرض الشعر ٠

وتمتعت العروض المسرحية البوذية sekkyobushi ، وكذلك مسرحيات الكابوكى Kabuki بشعبية كبيرة ، وذلك بعد أن عم الرخاء فى القرى ومراكز تربيـــة دودة القز ، المنتشرة فى منطقة توزان Tozan بشمال شرق اليـابان ٠ وأخذت تلك العروض المسرحيـــة تنتشر على نطاق واسع ، حتى بعد أن واجه الاقتصاد المحلى ظروفا صعبة

ســـنة ١٨٨٢ ٠ ففى حادثة تشيتشبى Chichibu التى وقعت عام ١٨٨٤ ، اشترك ٣٠٠٠ عضــو من الكنمينو Konmino المسلحين (حزب الشعب الفقير) فى الانتفاضة المعادية للحكومة ، وانضم زعماء القرى الى تلك الانتفاضة بعد أن انتهوا من مشاهدة أحد العروض المسرحية باحدى القرى ٠

ساعد اشتراك الشعب فى استعادة الميجى Meiji Restoration وفى الحركات الشعبية للمطالبة بحقوق الشعب على تكهرب جو الفنون الشعبية ، خاصة مسرحيات الجرورى Jorusi التى كانت تعرض على مسارح القرى ٠ وقاومت تلك الفنون الشعبية محاولات الحكومة لقمع الشعب ٠ ويعــد ماتســوزاوا كيوســاكى Matsuzama Kyusaku الذى كان يدافع عن الحقوق الشعبية للمزارعين الأثرياء (gono) مثالا بارزا على ذلك ٠ وكتب ماتسوزاوا مسرحية تتناول حياة تادا كاسوكى Tada Kasuke ، الذى قاد ثورة الفلاحين فى مدينة شينشو Shinshu ٠ وكانت تلك المسرحية بعنوان الحياة المثالية لتادا كاسوكى ونضاله من أجل حصول المزارعين الأثرياء gono على حقوقهم ٠ وقد عرضت تلك المسرحية فى مناطق متفرقة من البــلاد ٠ ويعد اكياما كونيسابيرو Akiyama Kunisaburo مثالا آخر للنضال من أجل حصول طبقة المزارعين الأثرياء (gono) على حقوقهــم ٠ وقد قام كونيسابيرو بتكوين فرقة مسرحيــة لعرض المسرحيــات الشعرية التى تشابهت موضوعاتها مع مسرحيات ماتسوزاوا كيوساكى ٠ وفى أحــد العروض المسرحيــة ، كتب كونيســابيرو كلمــة « الحرية » jiju على ملابس العرض المسرحى بأحرف من ذهب ٠ وكانت مسرحياته ترفع الروح المعنوية لدى المشاهدين القرويين ، وتبعث الأمل فى نفوســهم ٠ وقد تم الاحتفاظ بتلك الملابس ، وتم الاحتفال بها فى الذكرى المائة لقيام الحركة التى طالبت بحقوق الشعب ٠

وكان للاستعادة Restoration أثر كبير على الأدب ٠ ويتضح لنا ذلك من خلال الأعمال الأدبية التى وضعها توكاى سانشى Tokai Sanshi عام ١٨٨٥ بعنــوان الجمــال واللقــاء الغريب (Kajin no Kigu) ويقول مايدا أى Maeda Ai عن ذلك العمل الأدبى « ان ذلك العمل الأدبى يتناول حياة الضعفاء الذين سقطوا ضحايا للامبريالية » ٠ وقد استعان سانشى بذكرياته المتعلقة بخــرائب ايزو Aizu عندما قام بتاليف ذلك العمل الأدبى ٠ وولد سانشى فى مقاطعة ايزو Aizu التى تعرضت للدمار الشديد اثر ثورتها على حكومة الميجى Meiji وسعى سانشى الى استكمال الاستعادة Restoration ، ونظر الى

تلك الثورة على أنها ثورة لم تكتمل ، وقام بكتـــابة ذلك العمل الأدبى أثناء قيامه بجولة طالب فيها بحقوق الشعب .

ويجدر بنا الاهتمام بعمل أدبى آخر ، وهو قصة بعنوان « مائة بطل من ابطال الحقوق الشعبية فى الشرق » ، للمؤلف كومورو شينســوكى Komuro Shinsuke . وتتشابه تلك القصة مع قصـــة كتبها الشاعر بوشكن Pushkin بعنوان تاريـخ تمـــرد بوجاتشيف . وتتناول قصة كومورو الأنشطة التى قام بها المجاهدون فى الفترة من ١٨٨٠ حتى عام ١٨٨٤ ، حين كانت حركة المطالبة بحقوق الشعب فى أوج نشاطها . كما تناول كومورو فى بعض أعماله الأدبية السير الذاتية لبعض قادة الثورات التى قام بها الفلاحون . وكان كومورو يكتب من واقع تجربته الشخصية كواحد من المجاهدين الذين ســـعوا لجعـــل الاســـتعادة Restoration حقيقة ملموسة . وخـــلال كتاباته نجح فى اخفـاء رأيه الذى وصف فيه عامة الناس بأنهم جهلاء ، ونجح فى نبش التراث القديم ، فكان ابداعه الأدبى يفيض بروح الاصلاح .

وفيما يتعلق بالأغانى والألحان الموسيقية ، فقد وضع س . ليروكس S. Leroux القائد الموسيقى الفرنسى أحـد المارشـــات العسكرية ، وتخللتها الحان غنائية من تاليف تونوياما سيتشى Tonoyama Seuchi وكانت تلك الألحان مستمدة من سيمفونية كارمن لبيزية Bizet وحظيت تلك الألحان بشعبية كبيرة أثنـــاء فترة حكم الميجى Meiji ونال اللحن المســتخدم فى المقطـــوعة الموسيقية المعروفة باســـم (٣) (Norumanton no uta) شهرة واســعة فى اليابان بعد أن قام سيودا ازينبر Soeda Azenbo بادخاله على الموسيقى اليابانية . وارتبط ذلك اللحن فيما بعد بأسطورة ســـياجو saigo ، وكان أفضل الألحان لدى الطبقات الدنيا فى كافة أنحـــاء البـــلاد . وخلاصـــة القول ، فان تاثير الاستعادة على الثقافة كان أكثر مما يتوقع المرء (٤) .

اهمية الاستعادة Restoration فى التاريخ الثقافى :

كان كيتامورا توكوكيو أحد رجال الادب فى عهد الميجى Meiji وناصر حركة المطالبة بحقوق الشعب ، وقتل نفسه منتحرا عام ١٨٩٤ . وكتب كيتامورا عن استعادة الميجى Meiji Restoration يقول :

« كانت استعادة الميجى ثورة لامثيل لها ، فقد عملت على تحقيق حرية العقل والقلب ، ولكنها انتهت قبل أن تكتمل ، لذا تعين على حركة المطالبة بالحقوق الشعبية استكمال المهمة التى كانت الاستعادة قد بدأتها ، ولكن تلك الحركة فشلت أيضا . وخلاصة القول هو أن فترة حكم الميجى

لم تكن ثورة ، وانما كانت انتقالا · ولكن الاستعادة قد وحدت صفوف رجال الساموراى وعامة الشعب ، وجعلتهم يـدا واحـدة kokumin ومن هذا المنطلق كانت الاستعادة ثورة حقيقية » ·

تستحق هذه الكلمات منا الثناء والتقدير · وقد عبر ناكاى تشومين Nakay Tchomin (١٨٤٧ ـ ١٩٠١) ـ أحد المدافعين عن الحركة الشعبية للمطالبـة بالحقوق ـ عن رأى مماثل لرأى كيتامورا حين قال « تمثل الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات روح ثورة الاستعادة » ·

قام ايتاجاكى تاسوكى Itagaki Taisuki بتأسيس حزب الأحرار · وقد اعتبر ذلك الرجل وأعوانه أنفسهم يستحقون شرف تأسيس الحكومة الدستورية فى اليابان · فلو لم تتفجر ثورة اسـتعادة الميجى Meiji Restoration ، لما انتشر الوعى بين اليابانيين فى وقت مبكر ، ولما ازدهرت ثقافة الميجى التى كانت تعبيرا صادقا عن روح وعاطفة الناس · وبالطبع استمرت معاداة بعض الناس « للحضـارة » ، ولكن الاستعادة قد ولدت وسط التيارات المختلفـة ، وأصبح لهـا وزن فى تاريخ الثقافة ·

مراجـع وملاحظـات :

(١) Najita Tetsuo, Japan : The Intellectual Foundations of Modern Japanese Politics (Prentice-Hall, Englewood Cliffs, N.J., 1974).

(٢) Irokawa Daikichi, Meiji no bunka (The Culture of Meiji) (Iwanami Shoten, Tokyo, 1970), ch. 1.

(٣) كانت نورمانتون سفينة بريطانية غرقت بالقرب من ساحل كيشونى عام ١٨٨٦ واستطاع قبطانها انقاذ جميع البحارة الأوربيين لكن ٢٣ مسافرا يابانيا غرقوا مما سبب غضبا شديدا فى اليابان ·

(٤) يجب علينـا تتبع الطرق التى نجحت فيها الحركات الغامضة التى سعت الى تحديث اليابان والتى انبثقت من حياة الشعب وينبغى أن نستعين هنا بمنظور الدراسـات الفولكلورية حتى نغطى المنظور الكامل للحيـاة الشعبية انظر



دور الأدب فى تطور الثقافة

بقـلم

لاريسا · ج فيدوسيفا Larissa G. Fedoseyeva

أكاديمية العلوم بالاتحار السوفيتى

موسكو ــ الاتحاد السوفيتى

يعد الأدب الذى يتضمن الحقيقة الموضـوعية أحد عناصر الثقافة · وتكتسب مسالة التيارات المستقبلية المتعلقة بتطور المجتمع الانسانى أهمية خاصة اليوم · فما هى القيم الأخلاقية التى ينبغى على المربين أن يغرسوها فى جيل الشباب ؟ وما هو نوع الوعى الاجتماعى الذى سيتوافر لدى جيل الشباب ؟ وما هو الطريق الذى سيسلكه المثقفون الشـباب فى مختلف الدول ؟ تعد هذه الأسئلة ذات أهمية خاصة للجنس البشرى كله ·

ونحن نعرف أهمية الدور الذى يلعبه الأدب فى تكوين النظرة العالمية والمعتقدات الفلسفية لدى الشباب من الرجال والنساء · ونظرا لأن الأدب لا يؤثر على عقل الانسان فحسب ، بل يمتـد أثـره الى الحواس ، فيمكن أحيانا الاستعانة بالأدب لغرس بعض الأفكار التى تساعد على زيادة الوعى الانسانى · كمـا أن الأدب يؤثر على فكر الانسـان دون اكراه ، فيجعله يشعر بالرضا ، بل والسعادة · وأحيانا تصبح الرسـالة التى يحملها الأدب رسالة شخصية ، فيتلقاها وكأنها رسالة خاصـــة به وحده دون سواه · وبذلك يسهم الأدب فى تكوين نظرة عالمية متماسكة ·

والعمل الأدبى هو بنيان فنى فريد ، له تأثير عاطفى هائل على وعى وحواس وارادة القارىء ، فهـو يوقظ ملكة الابداع وينمى الاحســـاس

بالجمال لديه . وتلعب صور الجمال الأخلاقى المستمدة من الانسانية دورا فى تكوين الأفكار الروحية لدينا ، اذ يزداد اعجابنا بشخصية هاملت التى أبدعها شكسبير ، وشخصية دون كيخوتة التى ابدعها الكاتب الأسبانى سرفنتس ، وشخصية ليزا فى رواية « بيت علية القوم » للكاتب ترجنيف ، وشخصية ناتاشا روستوفا التى أبدعها الأديب الروسى تولستوى فى رواية « الحرب والسلام » .

ولكن يعتمد تاثير الأعمال الأدبية التى تستمد الانسانية قيمها الأخلاقية منها ، اعتمادا كبيرا على وعى القارىء . وكلما اهتم المؤلف بالنواحى العاطفية والفكرية والتاريخية والاجتماعية فى أعماله الأدبية ، كلما أصبح القارىء أكثر فهما للطبيعة الانسانية وصراعها وانجازاتها وسعادتها .

وبعد أن قارن العالم اليابانى ناجاشيما نوبيتشيرو Nagashima Nobuichiro بين الحضارة اليابانية والحضارة الغربية ، تمكن من استنتاج ٣٠ جانبا من الجوانب المميزة للقيم المعروفة فى الشرق والغرب . وسوف نركز اهتمامنا على جانب واحد من جوانب الثقافة اليابانية ، ألا وهو الجانب الذى وصفه ناجاشيما بأنه « الاستجابة للثقافات الأخرى » .

ولن أجانب الصواب اذا قلت أن استجابة الثقافة اليابانية للحضارات الأخرى فى مناطق متفرقة من العالم لم تبدأ الا بعد ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ ـ تلك الثورة التى كان لها تاثير كبير على تطور الثقافة فى اليابان بوجه عم ، واستطاعت اليابان بفضلها وضع حد للعزلة التى امتدت قرونا طويلة ، وفتحت أبوابها على مصراعيها أمام الثقافات الأخرى .

يقول أوتاسابورا Ota Sabura ، أحد جهابزة الأدب اليابانى ، ان تولستوى Tolstoy ودستوفسكى Dostoyevsky وترجنيف Turgenev رولان Rolland وموبسان Maupassant كانوا من أشهر الأدباء الأجانب فى اليابان . فقد أقبل اليابانيون على قراءة مؤلفاتهم . وتأثر الأدب اليابانى بأولئك الأدباء الأجانب تأثرا كبيرا لدرجة يمكن معها القول بأن أولئك الأدباء الأجانب كانوا يابانيين ، وليسوا أجانب . ويمضى أوتا فيقول :

دأبت الأجيال المتعاقبة على قراءة مؤلفات أولئك الأدباء لما يزيد على نصف قرن من الزمان ، فكانت مصدر الغذاء الروحى لليابانيين (١) .

وقد أتيحت لى فرصة لقاء كثيرين من الشباب من دول مختلفة ، ممن

يهتمون بروسيا وبلغتها وثقافتها ، ويختلف اهتمام أولئك القراء بالأدب السوفيتى باختلاف الدول التى ينتمون اليها ، ولكن هناك اهتمام متزايد من جانب القراء فى الشرق والغرب بالأدب السوفيتى ·

ويمكننا ابراز ثلاث ظواهر اجتماعية أساسية تتعلق بتطور اهتمام القراء اليابانيين المتزايد بالأدب السوفيتى · وتتمثل هذه الظواهر فى ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى ، ونضال الشعب السوفيتى ضد الفاشية وانتصاره عليها ، ثم قيامه باعادة بنــاء البلاد فى سـنوات السلام التى أعقبت الحرب وحتى الآن · ومن المعروف أن الثقافة السوفيتية وآدابها قد جذبت اليها كثيرين من دعاة التقدم الانسانى منذ تفجر ثورة أكتوبر ·

وارتبط تأثر اليابانيين بالأدب السوفيتى فى تلك الفترة بالكاتب الروسى مكسيم جوركى Maxim Gorki · فقد قدر اليابانيون ذلك الكاتب الروسى لأن مؤلفاته عملت على اثراء النزعة الرومانسية فى اليابان عقب قيام ثورة الميجى Meiji عام ١٨٦٨ ، وأطلقت العنان للمشاعر الانسانية · وأصبحت شخصية دانكو Danko التى ابتدعها جوركى تجسد أفكار المثقفين الرومانسيين من الشباب اليابانى الذين كانوا مولعين بالمثل المتعلقة بالحرية وتحرير الانسان من أغلال الاقطاع فى مطلع القرن العشرين · وقد أســهم أدب جوركى اســهاما كبيرا فى تـكوين أدب البروليتاريا فى اليابان الذى وصفه خاركوف Kharkov فى المؤتمر الدولى للكتاب الثوريين عام ١٩٣٠ بأنه من أكثر الآداب العالمية تقدما ·

وشجع الوضع الديمقراطى الذى ساد اليابان فى العشرينات من القرن العشرين الكتاب اليابانيين على الاعتماد على التجارب الفنية للكتاب السوفييت · وساعد ذلك التفاعل بين الكتاب اليابانيين والسوفييت على خلق موقف غير متحيز ونظرة غير مغرضـــة تجـاه الأدب السوفيتى فى اليابان ، كما ساعد على اثراء التجربة الفنية لدى الكتــاب السوفييت · وبالاضافة لذلك ، فقد ساعد كتاب « الأرض المشرقة » على ايجاد الحلول لمشاكلهم · فعلى سبيل المثال ، تعلمت الكاتبة اليابانية مياموتو يوريكو Miyamoto Yuriko الكثير من خــــلال لقائهــا بمسكيم جــوركى فى لينينجراد عام ١٩٢٨ · وكتبت مياموتو سيرتها الذاتية فى ثلاث روايات ، هى رواية نبوكــو Nobuko وروايــة المنزلان Two Houses ورواية العلامات البارزة The Landmarks · وبــدلا مــن أن تصبح هذه الثلاثية مجرد قصة تتعرض لموضوع العزلة عن العالم الخارجى، أضحت تلك القصة أحد الأعمال الفنية الكبرى التى تتناول مشاكل الانسان والمجتمع وتيارات التقدم الاجتماعى ·

والتقى اكيتا يوجاكى Okita Ujaku بالأديب الروسى الكيسى تولستوى Alexi Tolstoy • وفى أحد المقالات التى أوردتها جريدة Zukuti Seghekidze عام ١٩٢٩ ، بعنوان « مقابلتى مع تولستوى » ، يحكى لنا اكيتا عن انطباعاته بعد لقائه بكاتب هذه الروايات العظيمة مثل « الطريق الى كالفرى » و « صباح يوم عابس » ، « وعام ١٩١٨ » • وتصف هذه الروايات انضمام المثقفين الروس للثورة •

ويشبه الشاعر ايتوكوكى Ito Kokei الثورة الروسية بأمطار الربيع وما تأتى به من خيرات ، فيقول :

الثورة فى روسيا

والتلال فى اليابان

يتحولان الى اللون الأخضر

بعد أن تهطل أمطار الربيع

ازداد اهتمام المثقفين اليابانيين بالكتب السوفيتيـــة ، وذلك لأن مؤلفات الكتاب السوفييت الكبـــار أمثال جـوركى ، ومايكوفســـكى ، وفيرمانوف ، وفاديوف واستروفيسكى ، وشكلوف ، كانت تتناول الحقائق المتعلقة بالثورة الروسية والجوانب المتعددة لحياة الثوار ، ولم تكن تكتفى بالأفكار الفلسفية المجردة المتعلقة بالثورة • ولم يكن القراء اليابانيـون يجدون كتابات المؤلفين السوفييت ســـهلة ومقبولة دائمـا من الناحية السيكولوجية • وأحيانا كان القراء اليابانيون يفهمون كتـــابات المؤلفين السوفييت شيئا فشيئا ، فكانت عقولهم تدرك ما يرمى اليـــه المؤلفون السوفييت ، وذلك رغم جهلهم بروسيا ـ تلك البلاد الغامضة البعيدة •

فى الفترة التى تلت ثورة أكتوبر الكبرى ، تزايد اهتمام اليابانيين بالكتب السوفيتية ، ولاسيما الكتب التى تتعرض للجوانب الأخلاقيـــة المتعلقة بالانسان الجديد وعلاقته بالبيئة ، كمـا تزايد اهتمام اليابانيين بالمؤلفات السوفيتية التى تصف الحقائق السوفيتية ، بعد عام ١٩٤٥ •

وبعدما رأى المثقفون فى العديد من البلدان ما كان يمثله الرايـــخ الثالث والدعاية الفاشية المعادية للانسانية من تهديد لثقافاتهم القومية ، فقد فتشوا المؤلفات السوفيتية للبحث عن سؤال هام ، وهو كيف استطاع شعب الاتحاد السوفيتى الدفاع عن الثقافة القومية ، بل كيف تمكن من حماية ثقافات الشعوب الأخرى والحفاظ عليها من الضـــياع • وكانت المقالات التى كتبها بعض الأدباء السوفييت ، أمثال تولستوى واهرنبورج

وسيمانوف وشيكالوف ، ذات أبعاد متعددة ، فهى لم تكن مجـرد أحد العناصر الثقافية فحسب ، بل كانت برهانا على حيوية المثل الانسانية لدولة يسيطر العمال والفلاحون على السلطة بهـا ، وهى من أكبر دول العـالم ٠

وشـهدت الأعـوام التى تلت الحرب طفرة فى الاهتمام بالأدب السوفيتى ٠ ويرجـع ذلك لعدة أسـباب ٠ ويرجع السبب الأول الى السياسات النشطة التى اتبعهـا الناشرون ، فظهرت الأعمـال الكاملة لجوركى ، وأصبحت جزءا لا يتجزء من الحيـاة الثقافيـة لعدد كبير من المثقفين الديموقراطيين فى اليابان بعد الحرب ٠ كما نشرت الأعمال الأدبية للكتاب السوفييت المعاصرين فى اليابان ٠ وفى عام ١٩٥٧ قام دار نشر كيسو شوبو Keiso Shobo بنشر الأعمال الأدبيـة السوفيتيـة فى ستة مجلدات ، وبذلك عرف القارىء اليابانى أسماء الكثيرين من الأدباء السوفييت الجدد أمثـال بيـكوف Byhov وتينـدرياكوف Tendryakov وكازاكوف Kazakov وبوجمولوف Bogomolov وجريكوفا Grekova ٠ كما تأثر القراء اليابانيون بكتب الأطفال السوفيتية ، ونشر بعضها فى تسلسل واستمرت دور النشر اليابانية فى نشر الأدب السوفيتى فى الستينات من القرن العشرين ٠ ونالت الأعمال الأدبية التالية شهرة واسعة بين القراء اليابانيين : « الهزيمة "Rout للأديب Fadeyev ، « وبهدوء يسير نهر الدون "And Quiet Flows the Don » ، و « حرث الأرض البكر "Virgin Soil Upturned" و « مصير رجل "The Fate of Man » لشولوخوف Sholokhov وبعض القصـائد ليفتشينوكو Evtushenko وروز سنفنسـكى Rozhesvensky وفوزنسنيسكى Voznesensky وآخرين ٠

وانتشرت الفنون الهابطة فى اليابان بعد أن اضمحلت القيم الانسانية فى الفترة التى تلت الحرب ٠ وقد كتب سكاجيوتشى انجو Sakaguchi Ango مقالا عام ١٩٤٦ عن « الانحـلال الأخـلاقى » ، قال فيـه : « يسقط الانسان بسرعة ، فيسقط الأبطال والقديسيون ، ولا يستطيع أحد الامساك بهم ٠ يعيش الانسان ويسقط ٠٠

وأثناء السقوط فقط يكتشف نفسـه ٠ وبذلك يستطيع مساعدة نفسه والآخرين » (٢) ٠ وانتشر ما يعرف باسم « أدب وظائف الأعضاء » فى تلك الفتـرة ٠ ويمكننـا أن نسـوق روايـة لكوراهاشى يوميكو Kurakashi Yumiko بعنـوان « الجعران » كمثـال ٠ واسـتهوت

مؤلفات سارتر Sartre المثقفين اليابانيين آنذاك ، وكانت حجر عثرة أمام شعبية المؤلفات السوفيتية فى اليابان • وكان المثقفون اليابانيون يدركون أفكار سارتر المتعلقة بالعمل الهادف ومقاومة الشر التى كانت لها أهمية كبيرة بالنسبة للحركة المناوئة للفاشية • كما كانوا يدركون مبدأ سارتر المتعلق بالحرية الشخصية ، ومحاولاته غير الناجحة لعقد تحالف بين الوجودية والماركسية • وكثيرا ما وقعت الفرقة بين الكتاب اليابانيين• وكتب نوما هيروشى Noma Hiroshi يقول « ليس لسارتر أساس راسخ يستند عليه فيما يتعلق بمجتمع المستقبل ، اذ لايمكن للانسان فهم الحاضر دون أن تكون لديه رؤية واضحة عن المستقبل •

وفى عام ١٩٦٥ ، استطاع نوما ، مؤلف الرواية الواقعية « الشباب معا » ، تمييز عدد من التيارات فى الأدب اليابانى وهى (١) ما يسمى بالأدب النقى (٢) تأثير النزعة العسكرية (٣) الواقعية التى وجهت الانتباه الى مشاكل المجتمع المعاصر ، وان لم يكن ذلك من وجهة النظر الماركسية بالضرورة (٤) قيام الأدب باماطة اللثام عن المتناقضات التى تكتنف حقائق اليوم ، والنظر اليها نظرة ماركسية • وتندرج الأعمال الأدبية التى تناولت مأساة هيروشيما وأثرها على الشعب اليابانى ، وما أثارته تلك المأساة من اهتمام لدى القراء فى مختلف أنحاء العالم ، تحت التيارين الأدبيين الأخيرين •

ومما يرثى له أن نشر الكتب السوفيتية قد انخفض منذ السبعينات من القرن العشرين • ورغم ذلك فقد كان من المستحيل تماما ايقاف تدفق تيار الأدب السوفيتى أو عدم تقديره • فاشتمل المنهج الدراسى لتلاميذ الصف الخامس فى اليابان على قصة قصيرة للأديب السوفيتى شولوخوف Sholokhov بعنوان « المهر » • واستمتع كثيرون من القراء اليابانيين برواية « عش وتذكر » لرسبوتين Resputin ، كما عرف القراء اليابانيون الكاتب السوفيتى بيكوف Bykov بعد نشر رواية « قطيع من الذئاب » • كما تأثر المثقفون اليابانيون برواية « السفينة البخارية البيضاء » للمؤلف السوفيتى س • ايتماتوف C. Aitmatov وكانت رواية « يوم بمائة عام » من أكثر روايات ايتماتوف اثارة للفكر فى اليابان •

لم تكن مهمة الأدب هى التعبير عن نفسه فقط ، بل المشاركة فى انقاذ البشرية ، وذلك بجانب القيم المادية والروحية التى يجدها الانسان فى الأدب • ويشارك الأدب اليابانى فى هذه المهمة بدور فعال • ولايعى القراء السوفييت ذلك فحسب ، بل يحبون الأدب اليابانى ويتعاطفون مع المشاكل

التى يتناولها الكتاب اليابانيون • وجدير بالذكر أن القراء السوفييت كانوا يعرفون مؤلفات الكاتب اليابانى الشهير رايونوسوكى اكوتاجاوا Ryunosuke Akutagawa (*) عام ١٩٢٤ • ويصعب علينا تخيل دولة تحاول التغلب على مشكلة الأمية التى وصلت الى ٨٠٪ ، وتقوم فى الوقت نفسه بقراءة أعمال هذا الكاتب • ونشرت مؤلفات ذلك الكاتب اليابانى فى الاتحاد السوفيتى فيما بعد ، ثم أصبحت كتب ذلك الكاتب اليابانى جزءا من الحياة الروحية للشعب السوفيتى عام ١٩٧٩ • واحتفل القراء السوفييت بعيد ميلاد اكوتاجوا التسعين عام ١٩٨٢ ، واعتبروه مؤسس الأدب اليابانى الحديث •

وكان الاتحاد السوفيتى من أشد الدول اقبالا على ترجمة الأدب اليابانى ، فتعرف القارىء السوفيتى على مختلف وجهات النظر الفلسفية ومختلف الأساليب الابداعية التى اتبعها الكتاب اليابانيون • ولم يقرأ السوفييت مؤلفات الكاتب اليابانى الشهير رايونوسوكى اكوتاجاوا ونوما هيروشى Noma Hiroshi فحسب ، بل قرأوا مؤلفات الكتاب من الجيل الأصغر سنا ، من أمثال آبى كوبو Abe Kobo و اوى كينزابورا Oe Kengaburo وأندو شوزاكى Endo Shusaku وكياكو تاكيتشى Kaiko Takeshi ، وكانوا يعرفون أن أولئك الكتاب يمثلون الاتجاهات الجديدة فى الأدب اليابانى فى الخمسينات وقد استطاع القراء السوفييت فهم الأعمال الأدبية للأديب اليابانى أندو شوزكى Endo Shuski فهما جيدا ، وذلك لأنه تناول موضوع المسئولية الأخلاقية عن الجرائم التى ارتكبت أثناء الحرب العالمية الثانية • وتقترب طريقة عرضه للأدب من طريقة أوى كينزبوروا الذى يصور لنا فى أحد أعماله الأدبية شابا يختار أسلوب حياته • وقد أثارت رواية أب كينزبوروا « مفكرة بنتشران » اهتمام الشباب بعد نشرها فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨١ • وقد أثارت رواية « امرأة فى الكثبان الرملية » سنة ١٩٦٦ ورواية « وجه آخر » ورواية « الخريطة المحترقة » للأديب آبى كثيرا من الجدل ، ليس فقط بين القراء ، ولكن بين النقاد كذلك •

ويتردد اسم آبى كثيرا فى المؤتمرات العلمية التى يعقدها المعهد العالمى للأدب ، باعتباره الأديب الذى لاتنتمى أعماله الأدبية للأدب اليابانى فحسب ، بل تنتمى للأدب العالمى بأثره • ويمكن للأدب — بكل ما يحمله من صور أدبية ومشاعر انسانية ومعاناه وبهجة — أن يجمع بين قلوب القراء اليابانيين والسوفييت ، ولاسيما وأن الأدب يؤكد دائما على ضرورة سعى البشر نحو تحقيق السعادة والسلام •

مراجـــع وملاحظـــات :

(١) See Ota Saburo, "Om Literary Works Appearing in Translation", Bungaku, no. 5 (1960) : 100.

(٢) A History of Modern Japanese Literature (Moscow, 1961), p. 311.

خامسا :

التاريخ الفكرى والتعليم



التعليم في أوائل فترة حكم الميجى

بقلم
ناجاى ميتشو *Nagai Michio*
جامعة الأمم المتحدة The United Nations University
طوكيو ـــ اليابان

الاستقلال والثورة الصناعية :

قبل مناقشة سمات التعليم فى فترة حكم الميجى Meiji ، لابد لنا من القاء نظرة على العوامل التى عجلت بسقوط نظام بوكوهان bakuham وأدت الى قيام حكومة الميجى عام ١٨٦٨ ، كما يتعين علينا معرفة الطريقة التى كان قادة الميجى Meiji ينظرون بها للأحداث آنذاك ٠

يعد مورى ارنورى Mori Arinori وفيكيو زاوا يوكيتشى Fukuzama Yukichi أكثر الناس اسهاما فى وضع أسس التعليم فى فترة حكم الميجى Meiji وأكثرهم تعبيرا بأفكارهما فى هذا الخصوص ٠ وكان مورى أول وزير للتعليم فى الوزارة التى ألفها ايتوهيروبومى Ito Hirobumi عام ١٨٨٥ ، ولعب دورا بارزا فى وضع نظام للتعليم بالبلاد ٠ وأسس فيكيوزاوا مدرسة خاصة جديدة قبل قيام استعادة الميجى Meiji Restoration بسنوات عديدة ٠ ومورى يمثل رجل الفكر الرسمى وفيكيوزاوا يمثل رجل الفكر الخاص ، وذلك بين قادة الفكر والتربية والسياسة ، لذا فضل الأول الانخراط فى العمل الحكومى ، بينما اتجه الثانى الى العمل الخاص ، ولكن آراء كل منهما قد تقاربت فيما يتعلق بأهمية الاصلاح السياسى ، الذى جاء فى صورة استعادة الميجى Meiji Restoration

قام موری بنشر مجلد فی نیویورك عام ۱۸۷۳ بعنوان « التعليم فی اليابان » أثناء اقامته فی واشنطن بصفته أول ممثل رسمی لليابان فی الولايات المتحدة · وكان مايزال فی العشرينات · وقد اتخذ لمجلده عنوانا فرعيا آخر ، وهو « سلسلة من الخطابات موجهة الى موری من الأمريكيين البارزين » ، وظل ذلك المجلد أحد الوثائق الهامة التی تعين المرء علی فهم التعليم فی اليابان فی أوائل فترة حكم الميجی Meiji ·

وكتب موری فی مقدمة المجلد يقول بأن « تأثير الحضارة الغربية علی اليابان كان أحد الأسباب التی أدت الی قيام الثورة السياسية بها (١) » · وفی الوقت الذی وصل فيه أسطول الكومادور ماثيو بيری Commohore Perry الی شاطیء ميناء اوراجا عام ١٨٥٣ كانت الصين دولة شبه محتلة ، بعد ما فاقت من حرب الأفيون ، وانضوت الهند تحت لواء الامبراطورية البريطانية تماما · وكانت اليابان تنظر الی هاتين الدولتين باحترام واعجاب شديدين ، اذ أن حضارتهما قد أسهمتا اسهاما كبيرا فی تكوين ثقافتها · وبعد سقوط هاتين الدولتين فی براثن الاستعمار ، أخذ الساسة والمفكرون اليابانيون يتوجسون الخطر المحدق بالبلاد · ويعلق موری علی ذلك بقوله « منذ عهود سحيقة تنبه شعبنا مرات عديدة لخطر الغزو الأجنبی ، وذلك بسبب العزلة التی نحن فيها » (٢) ·

ولد فيكيوزاوا فی أسرة رقيقة الحال من الساموراى كانت تقيم باقطاعية ناكاتسو Nakatsu ، وكان يكبر موری بعشر سنوات · وكان يبلغ من العمر ١٨ عاما حينما وصل أسطول الكومادور بيری الی شاطیء اوراجا ، وكتب فی سيرته الذاتية بأن ذلك الحدث قد ترك فی نفسه انطباعا قويا ، وكان بداية رحلة الاستكشاف الفكری التی استمرت طوال حياته ·

وقد أدرك موری وفيكيوزاوا التفوق العسكری للقوی الغربية التی تمثلت فی بريطانيا العظمی وهولندا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية · وكان ادراك اليابانيين لخطورة تعرضهم للغزو الأجنبی أحد الأسباب الرئيسية التی أدت الی قيام الثورة السياسية التی اجتاحت البلاد فيما بين عامی ١٨٥٣ و١٨٦٨ · وكان أمرا طبيعيا أن ينظر أی رجل ولد فی طبقة الساموراى الی العلاقات الدولية من المنظور العسكری أولا ، الا أن نظرة هذين الرجلين كانت أبعد من ذلك ، فقد نظرا للتاريخ من منظور أوسع ·

ومن الطبيعی أن يهب الرجل للدفاع عن بلاده ضد المغتصب ، ويشير موری وفيكيوزاوا الی أن معظم أبناء الشعب اليابانی فضلوا اتباع ذلك الطريق ، ولكنهما لم ينساقا وراءهم · ويشير موری الی ذلك فی مجلد « التعليم فی اليابان » بقوله « رأی كثيرون من الأذكياء أنه ليس من الفطنة

أن نحاول قتال الغزاه ، وأن الحكمة تقتضى منا الصبر والتريث حتى تعد أمتنا نفسها لملاقاة الأجنبى » (٣) ٠

وتظهر مؤلفات فيكيوزاوا نظرته العسكرية للتاريخ ٠ وهذه المؤلفات هى مؤلف Seiyo jijo (أحوال الغرب) الذى كتبه فيكوزاوا فى أواخر حكم طوكوجاوا Tokugawa ، ومؤلف Bunmeiron no gairyaku (خلاصة نظرية الحضارة) ، ومؤلف Minjo isshin (نمو الشعـور الوطنى) ، وقد كتب المؤلفان الأخيران فى أوائل فترة حكم الميجى Meiji وكان فيكيوزاوا يعتقد بأن العلم المتقدم والتكنولوجيا والتطور الاقتصادى هم أساس القوة العسكرية فى الغرب ٠ وان شئت الدقة ، فيمكنك القول بأن الغرب كان يمتلك المطبعة والتليفون ونظام البريد وقوة البخار ، فكانت الثورة الصناعية قد اكتملت دعائمها بالفعل ٠ ولم تكن اليابان تمتلك أى شىء من هذه الأشياء ٠ ولو لم تتمكن من تطوير وتحقيق الثورة بها ، لما كان بامكانها الحفاظ على استقلالها ٠

لم يقدم مورى ارنورى لنا أفكاره بصورة منتظمة كما فعل فيكيوزاوا ، وذلك فيما يتعلق بالقوة العسكرية فى الغرب ، وأهمية العلم والتكنولوجيا ؛ والحاجة الى تطوير المجتمع الصناعى ٠ وهو يشير الى احتكاك اليابان بالغرب ، وأثر ذلك على مشاعر اليابانيين ٠ فقد أدخل البحارة البرتغاليون البندقية الى اليابان عام ١٥٤٣ ، وعرف اليابانيون شيئا عن علوم الغرب ، فعرفوا الطب على يد الهولنديين ٠ وهو يمضى قائلا : « بأن الناس كانوا مضطرين منذ عهود سحيقه الى معرفة شىء عن ذلك الرجل الغربى ، وزيادة معرفتهم عنه وعن حياته » (٤) ٠ وكان مورى يعتقد أن أفكار فيكيوزاوا المتعلقـة بالتعليم كانت قائمة على أساس فهمه للتاريخ ٠ وسيظل اسم فيكوزاوا يوكيتشى مرتبطا بالتعليم فى اليابان ، فقـد كان معلمـا لكل من القـائد والرعية ٠ وستظل ذكراه خالدة الى الأبد » (٥) ٠ وقد أعلن رأيه فى الحفاظ على استقلال البلاد بقوله « اذا أردنا الحفاظ على استقلال البلاد ، فلابد أن يكون الهدف الأول للتعليم هو تحقيق الثورة الصناعية » ٠

ولكن سواء كانت اليابان معرضه فعلا لخطر الغزو الأجنبى متمثلا فى القوة الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر ، فهذا سؤال أكاديمى لا يهمنا اليوم ٠ ولكن مورى وفيكيوزاوا قد استشعرا ذلك الخطر الذى يتهدد البلاد آنذاك وينذر بوقوع كارثة حقيقية ٠

الجدل حول الديموقراطية :

لعب اكوبو شيمتشى Okubo Toshimichi (١٨٣٠ ــ ١٨٧٨) دورا

قياديا لتكوين البيروقراطية اليابانية التى اعتبرت جزءا من الاصلاح الحكومى، وذلك عقب استعادة الميجىRestoration Meiji عام ١٨٦٨ • ويقول اكوبو بأن كل سياسى يحتفظ ببعض المثل ، ويسعى نحو تحقيق أهداف معينة ، وعليه أن يضع فى اعتباره العناصر الخمسة التالية عندما يقوم بوضع سياسة الدولة : وهذه العناصر هى :

١ ـ الأرض •

٢ ـ النـــاس •

٣ ـ الزمـن •

٤ ـ العـــادات •

٥ ـ الوضع الراهن • وبعبارة أخرى ، فانه يتعين على رجل السياسة معرفة المكان والزمان ونوع الثقافة والظروف التى يتم فيها تنفيذ سياسة الحكومة • وقد أشرت الى أن مورى وفيكيوزاوا قد اعتبرا أن قوة الغرب انما تتمثل فى الثورة الصناعية ••• تلك الثورة الصناعية التى كان يمتلكهـا الغرب ، ولكن اليابان كانت ماتزال تفتقر اليها • كما اهتم هذان الرجلان بالحفاظ على الدولة القومية وديموقراطية الحكومة •

وكان اسقاط نظام باكوهان Bakuhan الاقطاعى واقامة دولة الميجلى Meiji أول خطوة نحو بناء الدولة القومية • ولكن منذ ذلك الوقت وحتى وضع دستور دولة الميجى Meiji احتدم الجدل حول نوع الحكومة التى ينبغى أن تحكم البـلاد : هل تتخذ هذه الحكومة صورة من صـور الديموقراطية التى تكون فيها السـيادة للشعب ؟ أو هل تكون حـكومة امبراطوزية تستمد قوتها من الامبراطور ؟ أم هل تكون حكومة تجمع بين العنصرين ، العنصر الديموقراطى والعنصر الامبراطورى ؟

بعد أن وضع اكوبو Okubo العناصر الخمسة التى تستند اليهـا سياسة أية حكومة فى اعتبـاره ، قرر هو وزملاؤه ضرورة اعطاء الأولوية لتحقيق الثورة الصناعية ، اذا ما ارادت البلاد الحفاظ على استقلالها ، والتخلى عن فكرة اقامة حـكومة ديموقراطية • واغتيـل اكوبو ، ولـكن ايتوهيرزوبومى Ito Hirobumi ظل مخلصا لهذه السياسة ، بل أنه لعب دورا رئيسيا فى الحكومة التى جاءت بعد ذلك •

وفى عـــام ١٨٧٣ ، أسس مـورى وفيكيـوزاوا الـ « ميروكوشا » Meirokusha (جمعية ميجى ٦) ، وهى أول رابطة أيديولوجية معاصرة فى اليابان ، ولكنهما سرعان ما افترقا • فظل فيكيوزاوا بعيدا عن العمـل الحكومى ، وكرس حياته لبناء الديموقراطية ، وذلك من خلال عمله فى التعليم

بالقطاع الخاص ، بينما شغل مورى منصبا فى الحكومة ، حيث عمل سفيرا لدى الصين أثناء حكم أسرة تشينج Ch'ing ، ثم سفيرا لدى بريطانيا العظمى ، وعاد أخيرا الى اليابان ، فكان أول وزير للتعليم باليابان ٠ وتوضح المقالات التى كتبها كل من مورى وفيكيوزاوا بصحيفة جمعية ميجى ٦ مقدار اختلاف وجهة نظر الرجلين ٠ فقد عبر فيكيوزاوا عن اعتقاده فى ضرورة أن يتولى القطاع الخاص مسئولية التعليم بعيدا عن الحكومة ٠ وقد اختار لنفسه المضى فى ذلك الطريق ، وظل مخلصا لتلك السياسة ٠ وسار مورى فى الاتجاه المضاد ، فقال بأن الدولة لن تتقدم أبدا ، اذا لم يساعد القادرون من أبنائها الحكومة على القيام بالمهام المنوطة بها ، ويكرسون حياتهم لتنفيذ تلك المهام ٠ وكان يرى ضرورة أن يظل التعليم تحت اشراف الحكومة ٠ وقد ساعد فى وضع نظام التعليم باليابان ٠

سمات التعليم فى فترة حكم الميجى Morrill :

فى الوقت الذى اشتد فيه الجدل حول الدور الذى يلعبه التعليم فى الدولة الديموقراطية ، فقد حققت الاصلاحات التى تمت فى مجال التعليم تقدما كبيرا فى أوائل عهد الميجى ٠ Meiji

نشر التعليم :

اختلفت حكومة الميجى Meiji عن الحكومات الاقطاعية السابقة ، فبما أنها كانت بمثابة مؤسسة سياسية ، تتمتع بالسيادة على جميع المواطنين ، فقد أتاحت فرص التعليم لجميع طوائف الشعب اليابانى ٠ فقد أصدرت قانونا للتعليم الاجبارى عام ١٨٧٢ ، وبذلك ركزت جهودها على بناء البنية الأولى للمجتمع وهى الطفل ، فاهتمت بالتعليم الابتدائى أكثر مما اهتمت بالتعليم العالى ٠ ومن هنا نجد أن سياسة الدولة التعليمية اختلفت كثيرا عن السياسة التى اتبعتها الدول النامية فيما بعد ٠

فى منتصف القرن التاسع عشر ، كانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة عالية ٠ فكانت ٤٠ بالمائة بالنسبة للرجال و ١٠ بالنسبة للنساء ٠ ومن هنا وجدت الحكومة بعض السهولة فى تطبيق قانون التعليم الاجبارى ٠ وفى نهاية القرن التاسع عشر ، بلغت نسبة حضور الأطفال من الجنسين ما يقرب من ٩٦ بالمائة ، واقترب معدل من يعرفون القراءة والكتابة من هذه النسبة ٠

وبعد أن جعلت الحكومة التعلم اجباريا ، فقد أكدت على أهمية الجانب النفعى والعملى للمعرفة ٠ وعرف الناس القراءة والكتابة والمهارات الحسابية الأساسية ، فعاد ذلك بالنفع عليهم ، وجعلهم أكثر قدرة على الانتفاع بحياتهم وأعمالهم ، كما ساعد على ارساء قواعد التطور فيما بعد ٠

التعـليم العمـلى :

مضت الحكومة فى تأكيدهـا للجانب النفعى والعملى للمعرفـة ، فاسست الجامعات • وكانت جامعة طوكيو أول جامعة قومية تقوم بتأسيسها عام ١٨٨٦ • ولم تكن تلك الجامعة تضم كليات العلوم الانسانية والعلوم الأساسية ـ كالأدب والعلوم والقانون ، ولكنها ضمت كليات الهندسـة والطب والزراعة • وكان ذلك أمرا يدعو للغرابة ، فلم تكن جامعات أوربا نفسها تضم كليات الزراعة والهندسة ، بل كانت المدارس الفنية هى التى تدرس العلوم الزراعية والهندسية • وبذلك كانت اليابان من بين الدول القليلة التى حذت حذو أمريكا ، التى أصدرت قانون موريل Morrill عام ١٨٦٢ فبدأت الجامعات تدرس علوم الزراعة والتكنولوجيا بمقتضاه • وقد اتبعت الحكومة الروسية سياسة مماثلة عقب الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ • وتجدر الاشـارة الى أن الولايات المتحـدة والاتحـاد السـوفيتى واليابان وجميع الدول غير الأوربية قد أكدت على الجانب العملى للتعليم ، وذلك عندما بدأت هذه الدول تضع خطط التنمية • وعملت الدول الثلاث على اللحاق بأوربا ، بل وسبقها ، وجنى ثمـار الثـورة الصناعية بأسرع ما يمكن •

سيطرة الروح الغربية مقابل سيطرة الروح اليابانية :

كانت روح التأثر بالحضارة الغربية تغلب على جامعات اليابان أثناء فترة حكم الميجى Meiji • وبذلت تلك الجامعات جهودا جبارة حتى تصطبغ بالصبغة الغربية • وعرفت اليابان معاهد التعليم العالى قبـل أن يعرفها الغرب بزمن طويل • فقد تأسست فى كيوتو Kyoto جامعـة تسمى ديجاكيورو Daigakuryo منذ مطلع القرن السابع لتعليم الكونفوشية والثقافة الصينية • كما كان هناك معهد شوتشيين Shuchiin لتعليم المبادىء البوذية وبالاضافة لتلك المدارس التى كانت تعلم المبادىء البوذية أو الثقافات الصينية ، كانت هناك مدارس كوجاكوين Kogakuin التى ظلت تدرس المعارف القومية (Kokugaku لسنوات طويلة • وبذلك كان بامكان اليابان بناء الجامعات القومية الحديثة مع الاحتفاظ بتقاليدها الكونفوشـية أو البوذية أو معارفها القومية • وقد حث كثيرون من الناس ، ممن كان يعنيهم أمر تلك التعاليم التقليـدية ، حكومة الميجى على المضى فى ذلك الطريق •

واذا ألقينا نظرة على جامعات الغرب اليوم ـ مثل جامعـة كمبردج واكسفورد وهايدبرج وباريس ـ فسنجد أن نشأة تلك الجامعات ترجع الى العصور الوسطى • ورغم أنها مرت بتغيرات كبيرة منذ ذلك الوقت ، الا أنها احتفظت ببعض التواصل مع العلوم التقليدية التى سادت العصور الوسطى •

ولذلك فنحن لا نندهش عندما نعرف أن المعاهد التقليدية اليابانية التى تحولت الى جامعات معاصرة ، قد سارت على نفس النهج ، غير أن الحكومة أسست جامعة كيوتو Kyoto لتعليم المعارف الغربية المعاصرة والتكنولوجيا ، لا الثقافة التقليدية . وكانت القيمة الكبيرة التى أسندت الى المعلمين الأجانب جزءا لا يتجزء من تلك السياسة . وبما أن كثيرا من اهتمام اليابان قد تركز حول الثقافة الغربية من خلال الترجمة ، فقد تزايدت حاجة البلاد الى المعلمين اليابانيين الذين أظهروا كفاءة فى ترجمة اللغات الأجنبية .

وأصيب اليابانيون بحمى التحول الى الطابع الغربى ، فكانوا يتلهفون الى تقليد كل ما هو غربى ، فكشفت محاولاتهم عن تمتعهم بقدر كبير من الخيال . وفى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر ، أنفقت الحكومة حوالى ٣٠ بالمائة من ميزانية وزارة التربية والتعليم على رواتب المعلمين الأجانب وعلى المعونات التى كانت ترسل للطلاب الذين كانوا يدرسون بالخارج . وكان هدف الحكومة الأسمى هو زرع الأنظمة والمناهج الدراسية الغربية فى النظام التعليمى بدءا بالمرحلة الابتدائية وحتى المستوى الجامعى .

وفى أحيان كثيرة كانت حمى التحول الى الطابع الغربى تبلغ أقصى مدى لها . وبلغ الأمر حدا جعل رجلا مثل مورى ارنورى Mori Arinori يطالب بالغاء اللغة اليابانية الصعبة ، واستبدالها بلغة انجليزية مبسطة ، تدرس للأطفال فى المدارس . وفى بحث تضمنه مجلد «التعليم فى اليابان»، انتقد العالم الأمريكى و. د. ويتنى W. D. Whitney بشدة تلك الفكرة ، وقال بأن تلك اللغة الانجليزية المبسطة ستحول دون الاتصال بين الثقافة اليابانية وبين ثقافات الدول الناطقة بالانجليزية ، وستجعل الثقافة اليابانية تتراجع الى مرتبة أقل . كما قال ان ذلك يعنى أن تتنصل اليابان من تراثها الثقافى الخصب ، وتنبذ كل سبل التقدم . وخلاصة ما قاله ويتنى هو أن شعبا لا يحترم هويته الثقافية لايحق له أن يطمع فى تحقيق التقدم .

وكان لحمى التحول للطابع الغربى رد فعل شديد فى البلاد ، وتمثل ذلك فى الاتجاه نحو التحول الى الطابع اليابانى . وكانت المواجهة والتراضى والاندماج بين تيار التحول الى الطابع الغربى وتيار التحول الى الطابع اليابانى من أهم القضايا التى شغلت الأوساط التعليمية والدراسية فى اليابان منذ فترة حكم الاستعارة ، وستظل هذه القضية تحظى باهتمام الكثيرين فى المستقبل ، وكانت ميزة التحول الى الطابع اليابانى هى أن الثقافة المحلية ستعمل على ارتقاء المجتمع ، وان انطوى ذلك على العديد من المشكلات . فقد ظلت الثقافة اليابانية مقصورة على الشعب اليابانى وحده

ردحا طويلا من الزمن لدرجة يصعب معها تخطى الفجوة التى تفصل بينها وبين الثقافات الأخرى • كما أن الثقافة اليابانية نفسها تحول دون التفاهم بين اليابانيين وشعوب الدول الأخرى ، وهى احدى العوامل المسئولة عن عزلة اليابانيين وعدم انفتاحهم على العالم • كما تأثرت الثقافة اليابانية تأثرا شديدا بطابع المناخ الجماعى الذى ساد المجتمع اليابانى ، مما أدى الى اعاقة حرية الفكر الحقيقية وحرية التعبير وحرية الكلمة وجعل الناس لا يدركون المعانى الكبيرة للانسانية الا من خلال هويتهم كيابانيين فقط •

وعلى أية حال ، فقد بذلت جهودا كبيرة لجعل تدريس كافة المواد الدراسية فى مراحل التعليم الالزامية باللغة اليابانية ، كما بدأت الجامعات تستبدل المعلمين اليابانيين بالمعلمين الأجانب الذين حلوا محل المعلمين الأجانب فى نهاية الأمر • وحدد المرسوم الامبراطورى الذى أصدرته الحكومة عام ١٨٩٠ المبادىء العامة للتعليم ، وان لم تكن جميع تلك المبادىء تشجيع على التطور الحر للانسانية • وعمل المرسوم على تأكيد العلاقة بين الامبراطور والتقاليد القديمة ولكنه لم يقم بأى عمل يهدف الى تحقيق سيادة الشعب • فقد اتبع ذلك المرسوم التعاليم الكونفوشية ، ولكنه لم يضمن انفصال التعليم أو الفكر أو حرية الكلمة عن الحكومة • وقد الغى ذلك المرسوم بعد الحرب العالمية الثانية •

واختارت اليابان اتباع سياسة التخلى عن التقاليد فيما يتعلق بالنواحى التعليمية والسياسية ، وسعت الى صبغ كل شىء بالصبغة الغربية الى حد جعل كوابارا تاكيو Kuwabara Takeo يطلق على تلك السياسة اسم « الثورة الثقافية » • وقد بذلت اليابان ـ تلك الدولة التى تقع على حافة آسيا ـ جهودا جبارة لاستيعاب حضارة الغرب ، وذلك حتى تتمكن من البقاء على حافة الغرب ـ أى عدم السقوط فى براثن الاستعمار الغربى •

تولى الحكومة أمر الحكم والحرية الأكاديمية :

أحرز التعليم تقدما ملحوظا فى فترة حكم الميجى Meiji ، وذلك بعد أن اتخذت الحكومة زمام المبادرة ، ولكن لم يكن جميع الناس راضين عن نظام التعليم الذى وضعته الحكومة • وتعالت الأصوات فى الثمانينات من القرن التاسع عشر تطالب بفصل التعليم والفكر والحوار عن الحكومة ، فقد كان ذلك العصر عصر الحركات الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات minken undo ، وقد تأسست كثير من الجامعات الخاصة ذات الطابع الليبرالى فى تلك الفترة • فاسس اكوماشيجنوبو

Shigenobu (١٨٣٨ ـ ١٩٢٢) جامعة واسيدا Waseda ، وأسس ناجيماجو Nujima jo (١٨٤٣ ـ ١٨٩٠) جامعة دوشيشا Dashisha كما ظهرت الصحف الخاصة ، التى لايزال بعضهـا منتشرا حتى اليوم ، مثل صحيفة اساهى Asahi وصحيفة مينتشى Mainichi وصحيفة يومورى Yomiuri وصحيفة هوتشى Hochi

يقال أن تأسيس نظام التعليم الابتدائى فى بريطانيا قد استغرق ثلاثة قرون ، وذلك بفضــل جهود عامة الشعب من أهل القرى والمدن ٠ وقد بدأت بريطانيا تضع أول لبنـه فى ذلك االنظام عـام ١٥٦٠ ، وذلك حينما قام جون نوكس John Knox بنشر أول مجلد له عن التدريب على مبادىء الأخلاق بعنـوان « كتاب النظام » ٠ واذا رجعنا الى اليابان ، فسنجد أن قصة التعليم الابتدائى تختلف عن ذلك ، فهى لم تبدأ من القاعدة الشعبية مثل بريطانيا ، اذ لم تسهم عامة الشعب فى وضع أسس التعليم ، وذلك رغم أن الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات كانت فى أوج نشاطها ٠ وقد يرجـع ذلك الى أن الحكومة قـد أخذت على نفسها زمام المبادرة ، فقامت باصلاح التعليم ٠ كما أن المبادرة الشعبية لم تلعب دورا كبيرا فى قيام استعادة الميجى Meiji Restoration ، وهى حركة تهدف الى الاصلاح فى دولة متخلفة . بل ان الضغوط الخارجية هى التى كان لها أكبر الأثر فى قيام استعادة الميجى Meiji Restoration ٠ ولكن قوى التحـرر الفكرى والتعليم والمعـرفة والحوار قد اتخذت صورا عديدة ، ومارست نشاطها خارج نطاق الحكومة ومن خلال القطاعات الخاصة ٠

ودب الوهن فى المذهب الليبرالىالذى ساد الثمانينات من القـرن التاسع عشر ، فى العشر سنوات التالية حـين دعمت الحكومـة سلطتهـا وقوتهـا المستمدة من دستور الميجى Meiji ومرسوم التعليـم الامبراطورى ٠ وقد تجدد نشاط المذهب الليبرلى فى ظــل حكومة تيشو Taisho الديموقراطية ، كما نشط مرة أخرى فى ظل الديموقراطيـــة التى شهدتها اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ٠ ولا يجب علينا أن نبالغ فى تقدير أهمية المذهب الليبرالى الذى اشتعلت شرارته الأولى أثناء فترة حكم الميجى Meiji ، ولكن يكفى القول بأن الحكومةلم تعد وحدها صاحبة الحق فى وضع سياسة التعليم ٠

اشتد الصراع والجدل بين الحكومة والقطاع الخاص حول أحقية كل منهما فى تولى قيادة التعليم ، كما اشتد الصراع بين تيار التحول الى الطابع الغربى والتيار المؤيد للتمسك بالطابـع اليابانى ٠ ولكنى لن أخوض فى

التفاصيل ، بل يكفى القول بأن تاريخ التعليم المعاصر لم يكن خاضعا للمؤسسات العامة أو القومية . وتخرج العديد من الساسة البارزين ورجال الصحافة فى جامعة واسيدا Waseda ، كما تلقى أصحاب المشروعات الحرة تعليمهم فى جامعة كييو Keio ، واحتضنت جامعة دوشيشا Doshisha بكيوتو العديد من القادة المسيحيين . وقد نشطت روح التعليم فى الوقت الذى نشطت فيه الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات . ويرجع ذلك الى جهود كثيرين من الناس الذين كانوا يعملون بالمدارس الخاصة ، وكذلك أولئك الذين كانوا يعملون بالمدارس وفقا لنظام التعليم القومى . وقد تعرضت مثل وأهداف أولئك الرجال لأوقات عسيرة على مدى التاريخ ، ولكن هذه المثل والأهداف ماتزال قائمة فى تاريخ التعليم اليابانى المعاصر .

ويوضح لنا المثال اليابانى أن مبادرة الحكومة تنزع الى السيطرة على كل شىء فى الدول النامية ، فتتأكد أهمية هذه الدول ، وتختفى الحقوق الانسانية الأساسية بها . وتنطبق هذه المشكلة على أى نظام ايديولوجى . ويتطلب منا هذا الوضع مزيدا من الدراسة ، لأنه شائع فى كافة الدول النامية .

مراجع وملاحظات :

(١) Education in Japan : A Series of letters Addressed by Prominent Americans to Arinori Mori (A. Appleton & Co., New York, 1973), p. XXXV.

(٢) Ibid., p. XXXVII.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid., p. XL.

(٥) Ibid., pp. LII — LIII.

المعارف الغربية والميجى ايشين Meiji Ishin

بقلم

لو وآن هى Lu Wan-he

أكاديمية تيانجين للعلوم الاجتماعية
Tianjin Academy of Social Sciences

جمهورية الصين الشعبية ٠

شنت القوى الاستعمارية الغربية حرب الأفيون على الصين عام ١٨٤٠ ، وأرغمت اليابان الى فتح موانيها عام ١٨٥٣ بعد أن هددتها باستخدم القوة ٠ وعانت اليابان والصين من أزمات قومية طاحنة فى منتصف القرن التاسع عشر ، وترجع أسباب الأزمة الى التناقض بين النظام الرأسمالى الذى اتبعته القوى الاستعمارية والنظام الاقطاعى الذى اتبعته كثير من الدول الأخرى ، ومنها اليابان ٠ وقد بين لنا التاريخ بأن الظروف كانت تسمح للدول التى تعرضت لتهديد الغزو الأجنبى بانفكاك من قبضة الاستعمار ، وذلك اذا تحولت بسرعة الى النظام الرأسمالى ، والا تعرضت للاستعمار على يد القوى الغربية ٠ وقد اختارت اليابان التحول الى النظام الرأسمالى ، بينما وقعت الصين فى براثن الاستعمار الغربى ٠

وقد يتساءل المرء عن اختلاف مسار التطور فى اليابان والصين ، رغم تشابه أحوالهما فى بداية التاريخ المعاصر ٠ وكيف استطاعت اليابان تغيير المجتمع تغييرا كاملا ، فاستطاعت تحقيق استعادة الميجى Meiji Restoration بعد ١٥ عاما فقط من اضطرارها الى الانفتاح على الغرب ؟ ولماذا اضطرت الصين الى الانتظار ٥٨ عاما ، بعد انتهاء حرب الأفيون ، حتى تقوم باصلاحات جوهرية عام ١٨٩٨ (Wushsu Pienfa)

ولماذا فشلت تلك الاصلاحات عقب ذلك ؟ أثار اختلاف مسار التقدم فى البلدين اهتمام الباحثين فى الصين وبعض الدول الأخرى .

يرجع ذلك الاختلاف الى عدة عوامل . ولا يمكن لنا أن نعزى سبب نجاح اليابان فى تحقيق التقدم ، وفشل الصين فى تحقيق ذلك التقدم ، الى العوامل الدولية وحدها (فالعوامل الداخلية تؤثر على تطور الأحداث بصورة جوهرية) . ولا يمكن ارجاع السبب الى ضعف أو عدم نضج الطبقة البورجوازية فى الصين (فقد كانت الرأسمالية لاتزال فى مهدها قبل استعادة الميجى Meiji Restoration فى اليابان) (١) . عدم تحيز المفكرين التقدميين فى الصين ضد الثقافات الراقية للدول الأخرى يعترف بنجاح ثورة تابنج Taiping Revolution فى الصين . لابد لنا من فهم الأحداث التاريخيه فى البلدين فى القرنين أو القرون الثلاثة التى سبقت انفتاحهما على الغرب ، حتى نقف على حقيقه الاختلاف بين البلدين . وأنا أعتقد أن السبب الرئيسى وراء اختلاف مسار التقدم فى البلدين انما يتمثل فى اختلاف انتشار المعارف الغربية فى البلدين عام ١٧٢٠ ، وفى الأعوام التى سبقت حرب الأفيون (٢) .

وما يدعى بالمعارف الغربية Hsi-hsueh هى حضارة العلم الحديث التى أخذت تزدهر فى أوربا منذ بداية القرن السادس عشر . وكان مبشر الجزويت القس الايطالى مايتو ريشى Matteo Ricci (١٥٥٢ ـ ١٦١٠) أول من أدخل المعارف الغربية الى الصين عام ١٥٨١ . كما أدخل قس الجزويت فرانسيس زافيير Francis Xavier (١٥٠٦ ـ ١٥٥٦) المعارف الغربية الى اليابان عام ١٥٤٩ . وعرفت تلك المعارف الغربية التى أدخلها أولئك المبشرون باسم ثقافة « البرابرة الجنوبيين » .

وتوقف تدفق البرابرة الجنوبيين على اليابان لبعض الوقت حينما انتهجت حكومة طوكوجاوا Tokugawa سياسة العزلة عام ١٦٣٣ . واستمر تدفق المعارف الغربية على الصين حتى حكم الامبراطور كانجشى Kangshi (١٦٦٢ ـ ١٧٢٢) . وازدهرت المعارف الغربية جنبا الى جنب مع العلوم التقليديه لمدة تربو على المائة عام ، وظهر المثقفون التقدميون الذين أحاطوا بجانب كبير من العلوم الغربية بجانب العلوم التقليدية ، ونذكر من هؤلاء هوسى كوانج ـ تشى Hsu Kwang-Ch'i (١٥٦٢ ـ ١٦٣٣) ولى تشيه ـ تسو الذى توفى عام ١٦٣١) . ومن ثم يتضح لنا عدم تحيز المفكرين التقدميين فى الصين ضد الثقافات الراقية للدول الأخرى منذ البداية . ولم تقل استجابة الشعب الصينى للثقافة الأجنبية عن استجابة الشعب اليابانى أو أية شعوب أخرى .

وتغيرت مجريات الأمور ابتداء من عام ١٧٢٠ • فقد اشـتد الجدال المعروف « بجدل الطقوس "Rites Controversy" » فى ذلك العام بين أسرة تشى ينج Ch'ing الحاكمـة فى الصين وبين روما ـ أى بين البـابا فى روما والامبراطور فى الصين ، وأيهما أحق بالسلطة العليا (٣) • وكان نتيجة ذلك الجدل هو أن الامبراطور الصينى كانجشى K'angshi اضطر الى حظر الديانة المسيحية فى الصين وقال فى هذا الصدد « عودوا بمبشريكم الى الغرب » ، ولكنه لم يحظر المعارف الغربية ، فقد كان يعتقد بأن الدين والعلم منفصلان ، وأعلن ذلك بقوله ان المملكة الوسطى كانت تكرم أى رجل صاحب علم وتسمح له بدخول البـلاط (٤) • ولـو صار الأباطرة الذين حكموا الصين بعد الامبراطور كانجشى Kangashi ، على نفس النهج الذى صار عليه كانجشى ،ففصلوا الديانه المسيحية عن المعارف بوجه عام ، لاستمر انتشار العلوم الغربية فى الصين • ولكن مما يرثى له أن أولئك الأباطرة الذين خلفوا كانجشى تمسكوا بشدة بمبدأ العزلة والاستبداد الثقافى ، بل أنهم عملوا على حظر المعارف الغربية فى نهايـة الأمر • وبذلك توقف انتشار المعارف الغربية فى الصين منذ تولى تشين ـ لنج الخلافة (١٧٣٦ ـ ١٧٩٥) وحتى حرب الأفيون ، وهى فترة لم تتجاوز ٧٠ أو ٨٠ عاما ، ولكنها كانت كافيـة لاحداث الآثار السلبية التى عانت منها الصين بعد ذلك •

وكان الوضع فى اليابان يختلف اختلافا بينا • فقد خفف يوشيمين Ycshimune (١٦٨٣ ـ ١٧٥١) ـ الحاكم العسـكرى الثامن Shogun ـ من الحظر المفروض على الكتب الواردة من الغرب ، ثم نهضت المعارف الغربية فى اليابان بعد ذلك • كما تجدر الاشارة الى أنه حتى فى ظل سياسة العزلة التى اتبعتها حكومة طوكوجاوا فلم تدر الحكومة ظهرها لما يجرى فى العالم ، كما فعـل أباطرة الصين الذين انحدروا من أسرة تشنج Ch'ing • فقد حافظت اليابان على اتصالها بالعالم الخارجى من خلال ميناء ناجازاكى Nagasaki الصغير • وكانت المعارف الأجنبية متاحـه للصفوة الحاكمة ولطبقة صغيرة من المثقفـين ، فاستطاعوا استيعاب تلك المعارف ، وكانوا يتناقلونها فى كتاباتهم ، وان ظلت عامة الشعب لا تدرى شيئا عما يجرى وراء شواطىء اليابان (٥) •

وبعد عام ١٧٢٠،أطلق على المعارف العلمية اسم رانجاكو Rangaku أو « المعارف الهولندية » ، وذلك لأن الهولنديين الذين كانوا يقيمون فى ناجازاكى كانوا أول من أدخل تلك المعارف الى اليابان • وبعد مضى أكثر من قرن من الزمان ، ازداد عدد دارسى العلوم الغربيـة ، حتى أصـبحوا يشكلون مجموعة كبيرة من المثقفين ، وهو ما عبر عنه العالـم سوجينباكو

Sugita Genpaku (١٧٣٣ ـ ١٨١٧) بقوله « كان دارسو العلوم الغربية كبقعة الزيت التى انتشرت بسرعة على سطح البحيرة » . وعندما التقى دارسو العلوم الهولندية فى ايدو Edo فى عامى ١٨٩٦و١٨٩٨ ، انضم ١٠٤ رجلا الى حلقة الدراسة ، وكان ٦٧ رجلا منهم يمارسون حرفا معروفة . وكان ٣٤ رجلا يعملون أطباء بشريين ، و٧ من السادة الاقطاعيين، و ٦ من أهل المدن ، و ٧ من الاقطاعيين الشـوجون ، و ٣ مترجمين ، و ١٠ رجال ممن كانوا يزاولون مهنا مختلفة . وتبين لنا هذه الأرقام بأن الطبقة الاقطاعية الحاكمة وطبقة المثقفين كانت قد بدأت تفترق آنذاك . وتظهر لنا احصائيات أخرى بأنه فى الفترة التى امتدت فيما بين عام ١٧٤٤ وعام ١٨٥٢ ، وهى فترة امتدت ١٠٨ عاما ، دأب ١١٧ عالما على ترجمة ٥٠٠ كتابا من الكتب الغربية (٦) .

وساعد انتشار المعارف الغربيـة على انتشار الفكر التقدمى . فى عام ١٧٥٥ ، قال سوجيتا جنباكو Sugita Genpaku ـ العالم المتخصص فى المعارف الهولندية ـ « ان الأرض كرة تتمركز عليهـا دول كثيرة ، وتسنكها كافـة شعوب الأرض ، وعلى كل دولـة أن تعتبر نفسها مركز الأرض . وكانت الصين مجرد دولة قابعة فى طرف بعيد من أطراف البحار الشرقية » . ويعبر أوتسكى جنتاكو Otsuki Gentaku (١٧٧٥ ـ ١٨٢٧) ـ أحد العلماء المتخصصين فى المعارف الهولندية ـ عن رأى مماثل لرأى سوجيتا جنباكو ، فيقول « كان من الخطأ النظر الى الصين فى تعال ، والتقليل من شأن الدول الأخـرى ، والنظـر اليهـا على اعتبار أنها دول بربرية » . وفى الوقت الذى أخذ فيه الفكر التقدمى يزدهر فى اليابان ، ظل امبراطور الصين تشين ـ لنج Ch'ien-tung بعيـدا عن الدول الأخرى ، ينظر اليها نظرة استعلاء » (٧) .

وفى اليابـان ، تجمع ثلاثون عالمـا من علمـاء المعارف الهولنديـة Rangaku فى أول يناير من عام ١٧٩٥ للاحتفال بالعام الجديد لأول مرة وفقا للتقويم الشمسى الغربى . وأطلقت تلك المجموعة من العلماء على نفسها اسم شينجنكاى Shingenkai ، وكان معهم لفافة ورق مرسوم عليها صورة كبيرة للاحتفال بتلك المناسبة . وكتبت الكلمات التالية على لفافة الورق « لدينا أصدقاء كثيرون من دول القارات الخمس » . وظلت مجموعة شينجنكاى تحتفـل بالعام الجديد كل عـام حتى عـام ١٨٣٧ . ولو قدر لتلك الاجتماعات أن تعقد فى الصين آنذاك ، لكانت قد وجهت اليها تهمة الخيانة العظمى . ومما سبق يتضـح لنا أنه فى الوقت الذى فتحت فيه الصين واليابان أبوابهما أمام الغرب ، اختلف مقدار انتشـار المعارف الغربية والمبادئ الفلسفية فى البلدين .

انتشرت المعارف الغربية بسرعة فى اليابان بعد عام ١٨٥٣ (٨) . ففى عام ١٨٦٨ ، كانت الرياضيات تدرس فى ١٤١ مدرسة من مجموع مدارس المقاطعات البالغ عددها ٢٤٠ مدرسة والخاضعة لاشراف الحكومه ، وكانت المعارف الغربية تدرس فى ٧٧ مدرسة ، والطب فى ٦٨ ، والفلك فى ٥ مدارس . وبلغت نسبة المدارس التى تضم أقسام العلوم ٣٥ بالمائة عام ١٨٥٣ . وكتب فيكيوزاوا يوكتيشى Fukuzawa Yukichi (١٨٣٤ - ١٩٠١) يقول : نهضت الدراسات الغربية على يد الأطباء فى السنوات الأولى لحكم الامبراطور هوريكى Horeki (١٧٥١ - ١٧٦٤) والامبراطور ميوا Meiwa (١٧٦٤ - ١٧٧٢) ، ثم تولت طبقة الساموراى مسئولية النهوض بتلك الدراسات الغربيـــة أثناء حكم الامبراطور كوكا Koka (٩) (١٨٤٤ - ١٨٤٨) ، والامبراطور كياى Kaei (١٨٤٨ - ١٨٥٤) . وانتشرت المعارف الغربية بسرعة فى مجال العلوم الطبيعة والاجتماعية ، ثم ما لبثت أن توطدت العلاقات التى كانت تربط بين المفكرين التقدميين وقوى الاصـــلاح ، فاستطاعوا شيئا فشيئا تكوين حركة الاصلاح ، بل عملوا على استغلال قوة الفلاحين فى تصعيد النضـــال الثورى ، ووضع اليابان على طريق الرأسمالية .

أما فى الصين فقد افتتحت أول مدرسة لتدريس علوم الغرب عام ١٨٦٢ ، أى بعد مضى ٢٢ عاما على حرب الأفيون الأولى . وطبقا لاحصائيات فيكيوزاوا يوكيتشى ، فقد بلغ عدد الصينيين الذين كانوا يعرفون قراءة الكتب الغربية عام ١٨٦٢ ، ١١ شخصا فقط ، فى حين بلغ عددهم ٥٠٠ شخصا فى اليابــان (١٠) . وفى عام ١٨٧٢ ، أرسلت حكومــة تشن نج Chi'ing أول بعثة دراسية للخارج (٢١٠ طفلا) ، ولكن صدرت لهم الأوامر بالرجوع للوطن عام ١٨٨١ قبـل استكمال دراستهـم (١١) . وظهرت مجموعة جديدة من المثقفين الذين توافرت لديهم دراية بالمعـــارف الغربية فى أواخر الثمانينات ، ولكن لم تتشكل قوة الاصلاح فى الصين الا فى عام ١٨٩٠ ، كما أن تلك القوة لم تتساو من حيث الحجم أو التجربة أو التأثير مع القوة التى كانت قد تكونت فى اليابان عشية القيـام بثورة الميجى . ففشلت تلك القوة فى القيام بأية تغيرات ملحوظة ، وبذلك فقدت الصين كافة الفرص المتاحة لتحقيق نوع الاستعادة التى تمكنت اليابان من تحقيقها .

وفى منتصف القرن التاسع عشر ، واجهت اليابان والصين أزمات طاحنة كدولتين أو كنظامين من أنظمة الحكم الاقطاعى . ولم تكن الرأسمالية أو البورجوازية قد وصلت مرحلة النضـــج فى أية دولة منهما . وفشلت البروجوازية فى الأخذ بزمام المبادرة لاشعال الثورة فى الدولة الأخيرة .

فهل كان بمقدور الدولتين تأجيل الثورة الاجتماعية حتى يشتد عود البورجوازية ؟ وكانت الاجابة بالنفى القاطع • فقد ساعدت الأحوال التاريخية السائدة آنذاك على أن تصبح الرأسمالية الغربية هى القوة المسيطرة على العالم • ويشيد ماركس Marx وانجلز Engels الى هذه الحقيقة ، اذ يقولان : هدمت البورجوازية سور الصين العظيم ، وأرغمت كافة الدول على اتباع أسلوب الانتاج البورجوازى، وذلك خوفا من التعرض للفناء(٢١) • وفى تلك الأحوال التاريخية ، اعتمدت سرعة تشكيل قوة الاصلاح على مدى انتشار الدراسات الغربية فى بلد ما • ومما سبق يتضح لنا أن انتشار المعارف الغربية قد اختلف فى البلدين ، فكان لذلك أثره على مسار التنمية القومية فى كل منهما •

ولا يصح تفسير ذلك بالقول بأن قادة الفكر والثقافة والتعليم هم الذين قاموا بالاصلاح وحدهم ، أو أن العوامل الاقتصادية وحركة الفلاحين قد لعبت دورا صغيرا فى حركة الاصلاح • وساعد انتشار المعارف الغربية فى اليابان على وضع الأسس الأيديولوجية لاستعادة الميجى Meipi Restoration ولكن تلك الأسس الأيديولوجية لم تكن وحدها المسئولة عن قيام الثورة • فبدون الضربات المتتالية التى وجهتها ثورات الفلاحين للنظام الاقطاعى ، لما استطاعت قوى الاصلاح قلب نظام الحكم الاقطاعى عن طريق الثورة • وفى الوقت ذاته لم يكن السعى لتحقيق رفاهية الفلاحين سببا كافيا لاستبدال النظام الاقطاعى بنظام آخر جديد • فخلق نظام جديد يتطلب قوة اصلاح ، أو طبقة واعية تمثل أسلوبا متطورا من أساليب الانتاج • وقد بين لنا التاريخ أن ظهور طبقة من المفكرين التقدميين انما يبشر بظهور قوة سياسية واعية • ولا يمكن للأخيرة أن تظهر بدون وجود الأولى • وساعدت سياسة العزلة التى اتبعتها حكومة تشى نج Ch'ing على عدم ظهور طبقة مثقفة جديدة قبل بدء حرب الأفيون ، لذلك لم تظهر قوى الاصلاح بسرعة بعد انتهاء الحرب ، مما ترتب عليه عدم قدرة الصين على مواجهة الأزمة القومية التى عانت منها اثر تعرضها للعدوان الغربى • وهذا درس هام من دروس التاريخ •

وحتى بعد قيام حركة الاصلاح عام ١٨٩٨ ، وقيام ثورة ١٩١١ ، لم تستطع الصين السير فى الطريق الذى سارت فيه اليابان فأدى بها الى استعادة الميجى Meiji Restoration وبعد انتصار ثورة الصين الشعبية خير دليل على أن الاشتراكية هى وحدها القادرة على تحرير الشعوب والأمم المقهورة • وسيعى الشعب الصينى الدروس التاريخية المستفاده من تجربة الصين وتجربة الدول الأخرى ، كتجربة استعادة الميجى فى اليابان • ففى أثناء دراستى لاستعادة الميجى ، توقفت أمام جانبين من الجوانب التى

تضمنتهما هذه التجربة • وأول هذه الجوانب هو أن الاستعادة قد مكنت اليابان من التغلب على الأزمة القومية والانضمام الى القوى الدولية كقوة متكافئة معها • أما الجانب الثانى ، فهو أن الاستعادةقد دفعت اليابان الى اتباع سياسة التسلح العسكرى ، والاتجاه نحو الفاشية • وانتهت تلك السياسة بالمأساة التى عانتها اليابان فى الحرب العالمية الثانية • وأدت هذه الازدواجية الى استرقاق اليابانيين ، وحملهم على تقديم تضحيات مريعة•
وأنــا اعتقد أن دراســـة الميجى اشن Meiji Ichin يجب أن تبدأ من هذه النقطة •

مراجـــع وملاحظـــات :

(١) Lu Wan-he and Luo Shuwei. "Shilun Wuxu Bianfayu Mingzhi Weixin" (A Study of the Reform Movement of 1909 and the Meiji Restoration). Guangming ribao, 29 July 1980.

(٢) Lu wan-he and luo Shuwei. "Xixue Zai Fengjian moqide Zhongguo he Riben" (Western Learning in Chine and Japan toward the End of the Feudal Age), Lishi Yanjiu, no. 3 (1091).

(٣) أرسلت رومانيا بعثة الى الصين فى عام ١٨٠٥ ثم فى عام ١٨٢٠ تحظـر على المسيحيين الكاثوليك هناك عبـادة السماء والأجـداد وهى عبادات موروثة عن العقيدة الكونفوشية •

(٤) Chen Yuan, ed., Kanxi yu Luoma shijie ganxi wenshu (Official Documents Relating to the K'angshi Emperor and lwe Roman Envoys), Photogengraving (1931).

(٥) Kaikoku Hyakunen Kinen Bunka jigyokai (Association for Culture Activities for the Centennial of the Opening of Japan), eh., Sakoku Jidai Nihonjin no Kaigai Chishiki (Jaoanese Knowledge about Other Countries during the Period of National Seclusion (Hara Shoho, Tokqo, 1978).

(٦) Hotei Shujin, Seivo gakka Yawu justsu mokuroku (A Catalogue of Translations and Essays by Scholars of Western Studies) (Kokusho Kankokai, Hokyo, 1913).

(٧) A Letter from Ch'ien-lung sent to the English King George III Ch'ing Kao-lsung shihlu (A Record of the Reign of Emperor Ch'ien-tung) (1803).

(٨) Yuasa Mitsutomo, Kagakushi (A History of Science) (Toyo Keizai Shinposha, Tokyo, 1965), pp. 36-37.

(٩) Numata Jiro, Yogaku dennyushi (A History of the Introduction of Western Learning) (Shibundo, Tokyo, 1960), p 203.

(١٠) Inoue Kiyoshi, Nihon gendaishi-Meiji ishin (A Modern History of Japan : The Meiji Restoration) (Tokyo University Press, Tokyo, 1951), p. 215 Lu Wan-he, Guangming ribao, 7 November 1978.

(١١) Lu Wan-he and Luo Shuwei, Mantan Jindai Zwongguo he Ribben de Liuxuesheng Zhengce (Modern Chinese and Japanese Government Programmes for Sending Students Overseas), Guangming ribao, 18 September 1979.

(١٢) Manifesto of the Communist Party (Foreign Languages Publishing House) Moscow, 1958).

ثورة الميجى التى لم تكتمل والتاريخ الفكرى

بقلم

تاكيدا كيوكو *Takeda Fiyoko*

جامعة كريستشين الدولية International Christian University

ميتاكا ـ شى Mitaka-shi

طوكيو ـ اليابان

كانت استعادة الميجى Meiji Restoration تهدف الى تحقيق الأهداف التالية : (١) القضاء على نظام (باكوهان الاقطاعى ـ **Bakuhan** ووضع نظام برلمانى قائم على الدستورية والديمقراطية الليبرالية (٢) توحيد الشعب اليابانى (٣) اقامة دولة حديثة موحدة (٤) التخلى عن سياسة العزلة القومية وزيادة اتصال البلاد بالعالم الخارجى (٥) تحويل المجتمع التقليدى المغلق الى مجتمع مفتوح يتمتع فيه جميع المواطنين بالمساواة . ومكنت هذه الأهداف اليابان من تكوين دولة حديثة تساير طابع العصر .

واذا نظرنا الى استعادة الميجى Meiji Restoration على اعتبار أنها ثورة كاملة حققت الاصلاح المطلوب ونهضت بالمجتمع التقليدى ومكنته من مسايرة طابع العصر ، فان نظرتنا هذه تكتنفها بعض المشكلات . كما يصعب علينا قبول آراء المراقبين الأجانب الذين يصفون القفزة الاقتصادية الهائلة التى حققتها اليابان بعد الحرب بأنها معجزة ، كما يرجعون الانجازات التى حققتها الى استعادة الميجى . ولم يكن هناك نموذج مسبق أو خطة معدة تستعين بها الحكومة فى بناء اليابان الحديثة . وكل ما كان هناك هو صورة خيالية لما ينبغى أن تكون عليه اليابان الحديدة ، بل وحتى هذه

الصورة لم تكن كاملة . ويمكن أن نرجع النمو السريع الذى شهدته اليابان، بعد الحرب العالمية الثانية الى عاملين ـ أنفتاحين قوميين وليس واحدا ـ . يتمثل العامل الأول فى قيام ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ ، ونبذها لسياسة العزلة التى فرضها النظام الاقطاعى السابق . ويتمثل العامل الثانى فى الاصلاحات الديموقراطية التى قامت بها الحكومة بعد الحرب . وتعد ثورة الاستعادة وتلك الاصلاحات الديموقراطية مثالان للتغيير الجوهرى (الثورة)، ولا يمكن فهم العوامل التى ساعدت على النمو غير العادى لليابان الا اذا أخذنا هذين العاملين فى الاعتبار .

عند اثارة مثل هذه القضايا ، فانى أود مناقشة بعض النقاط المتعلقة باستعادة الميجى من وجهة نظر التاريخ الفكرى . وتتعلق أول نقطة من هذه النقاط باستعادة الميجى باعتبارها ثورة لم تكتمل ، أو باعتبارها نقطة البدء لعملية متصلة من التغيير والاصلاح .

فى التسعينات من القرن التاسع عشر ، أى بعد مضى ثلاثين عاما على قيام ثورة الاستعادة كانت معالم النظام السياسى الجديد قد بدأت تتضح فى ظل حماية الامبراطور له ، وذلك عندما قام تاكيكوشى يوسابيرو Takekoshi Yosaburo ـ الصحفى والمؤرخ التاريخى بمنيوشا Min'Yusha (١) ـ بنشر مؤلفاته التى أحدثت دويا هائلا فى جميع أنحاء اليابان . ففى كتاب Shin Nihonshi (تاريخ اليابان الجديد) الذى نشر عامى ١٨٩١ و ١٨٩٢ وكتاب Nisengohyahunen-Shi (تاريخ ألفين وخمسمائة عام) الذى نشر عام ١٨٩٦ ، قدم لنا تاكيكوشى طريقة جديدة للنظر الى التاريخ اليابانى .

وكتب تاكيكوشى يقول بأن ثورة اشن (ishin hakumei) لم تكن الثورة المثالية التى تدعو الناس لأن يهبوا فى وجة الطغيان باسم مبادىء الحرية واحترام الحقوق ، كما لم تكن ثورة ناضجة ، فقد ساد اضطراب شديد ، وكان المجتمع يتهاوى آنذاك . وسارت الثورة تتخبط فى طريق ملتوى ومتذبذب حين وصلت السفن السوداء (أسطول الكومادور بيرى) الى شواطىء اليابان . وأدى ذلك الى قيام الثورة ، ولكنها ظلت ثورة غير كاملة . لذلك كانت تقع على عاتق المجتمع اليابانى مهمة اتمام ثورة الاستعادة Restoration التى بدأت عام ١٨٦٨ . ويرفض تاكيكوشى أيضا الاعتقاد بأن « الولاء للامبراطور » هو الذى أشعل شرارة الثورة لاعادة الامبراطور لمكانته السابقة . ويمضى قائلا : لم يكن الولاء للامبراطور هو العامل الرئيسى الذى تسبب فى قيام استعادة الميجى Meiji Restoration . فلم يكن الامبراطور سوى زريعة استعانت بها القوى الثورية عندما وجدت طاقات الشعب المكبوتة متنفسا لها (٢) .

ووجد ذلك الرأى الذى نادى به تاكيكوشى صـدى كبيرا لدى قطاع عريض فى أفراد الشعب اليابانى آنذاك • ويمكن أن نعزى تقبل كثير من الناس لأفكاره الى شيوع مبدأين متصارعين • كان المبدأ الأول يتمثل فى اعادة الامبراطور لمكانته السابقة • وكان المبدأ الثانى يتمثل فى اقامـة حكومة تعتمد على اجماع آراء الشعب (الغاء الفوارق الاجتماعية ، ومساواة جميع المواطنين أمام القانون بمقتضى ميثاق العهد) • وكان هناك عنصران يمثلان هذا التضارب بين المبدأين•وهذان العنصران هما الوحدة ومايقابلها من تشتت • فبمجرد أن تفتتت وحدة الشعب ، اندفع قطاع منه الى التطرف فى عهد حكم شوا Showa ، الذى اتسم بالوطنية الزائدة وأدى ذلك التطرف الى قيام « الحرب الكبرى بشرق آسيا ، أو حرب الباسيفك » كما كان يطلق عليه آنذاك • ويتمثل العنصر الثانى فى الديموقراطيـة ، التى أصبحت معينا لاينضب من التطوير والانماء ، التى شهدتها اليابان فى ديمقراطية تايشو ، أو ديمقراطية ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية •

ويمكننا أن نرى الازدواجية التى صاحبت تفسير طبيعة الدور الذى يقوم به الامبراطور فى دستور الميجى Meiji Constitution الذى أشرف ايتوهيروبومى Ito-Hirobumi — رجل السياسة البارع (genro) ومؤسس حكومة الاستعادة — على صياغته • ووفقا لهذا التفسير ، كان بالامكان القول بأن الامبراطور يمثـل السلطـة المطلقـة التى تسمو على الدستور ، أو القول بأن الامبراطور كان مقيدا بقيود الدستور• واستعانت الحكومة بهذين التفسيرين واستثمرتهما فى (٣) اجتـذاب الكثيرين من أصحاب المذاهب السياسية المتعددة ، فانضم الى صفوفها مؤيدوا السياسة القومية المحافظة ومؤيدوا الحركة والحركات الشعبية • وتمسك المفكرون المستنيرون ورجال السياسة البـارعون (genro) بنظرية تقول بـأن الامبراطور مجرد أداة من أدوات الحكم • وتختلف هذه النظرية عن النظرية التى قدمها مينوبى تاتسوكيتشى Min‹ be Tatsukicki والتى تقول بأن الامبراطور ما هو الا أداه ضمن الأدوات الأخرى التى تستعين بها الدولة لتنفيذ أهدافها ، كما تختلف عنها فى أنها تعتمد على المبدأ النفعى •

تخرج ايتوهيروبومى فى معهد شوكا سونجيكو Shoka Sonjuku الذى أسسه يوشيدا شوين Yoshida Shoin ، وعمل على التقليل من التبجيـل الذى كان يكنه الشعب للامبراطور ، كمـا سعى الى توظـيف الامبراطور كأداة يمكن بواسطتها اقامـة دولة موحـدة قوامهـا النظـام الامبراطورى • وكان مورى اربنهرى Mori Arinory — أول وزير للتعليم فى اليابان ومؤسس ميروكوشا Meirokusha جمعية الميجى ٦)(٤)

يرى « أن الامبراطور أداة لا يمكن الاستغناء عنها ، وهو أحد مصادرنا العظيمة » (٥) التى تسهم فى بناء دولة قوية غنية ٠

وكتب المفكر المستنير فيكيوزاوا يوكيتشى Fukuzawa Yukichi فى أوائل فترة حكم الميجى Meiji يقول فى كتابه Bunmeiron no gairyaku (خلاصة الحضارة) ، الذى نشر عام ١٧٨٥ ، « ان عودة الامبراطور لممارسة سلطته لا يجب أن تكون مجرد عودة الأسرة الحاكمة الى ممارسة سلطتها والا كان الأمر يبدو وكأن هذه الأسرة الحاكمة تقف بجانب قوة المعرفة التى اكتسبها جميع أفراد الشعب » (٦) ٠ وفى كتاب Teishitsuron (فى الأسرة الحاكمة) الذى نشر عام ١٨٨٢ ، نجنب فيكيوزاوا الاشارة الى النظرة الأسطورية للتاريخ حيث قال « أشعر بالحرج لعدم درايتى بتاريخ عصر الآلهة » ٠ وبذلك أكد على فكرة امكان قيام الامبراطور « بالتوفيق بين كافة التيارات السياسية المتصارعة » ، اذ كان يرى أن ذلك من شأنه تعزيز مكانته بقدر كبير (٧) ٠ ويتضح لنا من ذلك أن ايتو Ito ومورى Mori وفيكيوزاوا Fukuzama كانوا يؤيدون نظرية الأداة أى أن الامبراطور مجرد أداة ٠

كما عرفت استعادة الميجى Meiji Restoration ازدواجية الرأى ٠ فكان هناك رأى يطالب بالاتجاه نحو الديموقراطية والعدالة الاجتماعية ، ورأى آخر يطالب بدعم القوى المطلقة تحت لواء الامبراطور ٠ واحتج أصحاب الرأى الأول على الاستبداد بالقوة ، وتساءلوا عن المعنى الحقيقى للاستعادة ٠ وظل السؤال يتردد من وقت لآخر : هل كانت استعادة الميجى ثورة كاملة ؟ وكانت الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات هى التى طرحت هذا التساؤل ٠ وعبر طوكيو تمى سوهو Tokutomi Soho عن ذلك الرأى ٠ وعندما انتشرت الأفكار الليبرالية (heiminshugi) فى التسعينيات من القرن التاسع عشر ، عبر طوكو تومى عن اعتقاده فى ضرورة اجراء تغيرات أخرى ، فقال « لقد حان الوقت للقيام بثورة استعادة أخرى » (٨) ٠ وكان تاكيكوشى يوسابيرو Takekoshi Yosaburo يقول بأن الهدف النهائى للثورة انما هو خلق مجتمع جديد تماما ، وهى مهمة خليقة بالشعب اليابانى أن يقوم بها ٠

وتأثر كيتا آكى Kita Ikki بآراء تاكيكوشى عن التاريخ والثورة والامبراطور ٠ ويتساءل كيتا فى كتاب له بعنوان Kobutairon Oyolu junsei shakaishugi « السياسة القومية والاشتراكية ، ١٩٠٦) عن المعنى الحقيقى لثورة الاستعادة ، فيقول « لم تنجح ثورة الاستعادة الا فى تحطيم الارستقراطية ، ولكنها لم تنجح فى بناء ما هدمته ،

وكل ما نجحت فى تحقيقه هو احداث دوى هائل »· وكان زعماء الاقطاعيات على رأس أولئك الذين قاموا بعملية الهدم أثناء ثورة الاستعادة ، كما كان لهم باع طويل فى قمع أتباع الديموقراطية (٩) · ويسهل علينا الآن فهم السبب الذى جعل الضباط الشباب يتبادلون فيما بينهم الكتاب الذى وضعه كيتا تحت عنوان Kaizo hoan Taiko Nippon (خلاصة خطة اعادة تنظيم اليابان) ، فى عهد حكم شوا Shôwa عام ١٩٢٠ · وقام أولئك الضباط بالانقلاب الفاشل عام ١٩٣٦ المعروف بحادث ٢٦ فبراير ·

وتصف رواية Yoakemae (قبل الفجر) للروائى شيمازاكى طوسون Shimazaki Toson عام ١٩٣٥ حياة (٧) البطل ايوما هانزو (والد طوسون) الذى انحدر من أسرة عريقة بقرية ماجوم Magome احدى قرى وادى كيسو Kiso · ويصبح البطل زعيما للقرية خلفا لأبيه ، فيقوم بواجبات الضيافة تجاه الأعيان والكبراء الذين يتوافدون الى قرية ماجوم · وكان البطل يتمسك بمذهب هيراتا Hirata الذى نادى بضرورة التعليم القومى ، فكان يأمل فى أن تعمل الاستعادة على تحقيق المساواة الاجتماعية فى اليابان ، ولكن آماله تحطمت · وعندما حالت واجباته دون مغادرته القرية للاشتراك فى حركة الاستعادة ، أصابه الجنون ، وادركته المنية وهو ملقى بحظيرة للماشية فى قرية ماجوم · وتميط هذه الرواية اللثام عن جانب خفى من جوانب استعادة الميجى Meiji Restoration ، وتتعرض لها بالنقد من وجهة نظر القرويين الذين كانوا يقطنون باحدى قرى منطقة كيسو Kiso ·

واذا خطونا خطوة للأمام ، فسنعثر على مقال طريف ليوكتا كازوتومى Kazutami Ukita الأستاذ بجامعة واسيدا Waseda University بعنوان Daini ishinmo Kokuza Gokajo (خمسة مقالات عن السياسة القومية أثناء الاستعادة الثانية) · ومهدت أفكار يوكتا كازوتومى الطريق أمام الديموقراطية التى أرسى تاشيو Taisho قواعدها · ونشر يوكتا ذلك المقال فى جريدة تايو Taiyo التى كان يعمل رئيسا للتحرير بها · وفى ذلك المقال عرض يوكتا فكرة تقديم مثل أعلى جديد يحتذى به الشعب ، وطالب بحرية الكلمة ومنح الشعب المزيد من الحقوق الانتخابية ، والغاء الفوارق بين التعليم فى الجامعات القومية والتعليم فى الجامعات الخاصة ونشر المبادىء الدستورية · ووضع يوكتا تلك الأهداف نصب عينيه عندما قام بمراجعة الفقرات الخمس من ميثاق العهد Charter Oath ـ الذى وضعه الامبراطور عقب ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ ـ وذلك حتى يتمكن من وضع سياسة قومية ترمى الى تحقيق ثورة استعادة ثانية (١٠) ·

وأنكر الامبراطور هيروهينو Hirohito فى خطابه الذى أذيع فى يناير من عام ١٩٤٦ بمناسبة حلول العام الجديد ، أية صفة أسطورية أو الهية ترتبط بشخص الامبراطور ، كما أشار الى ميثاق العهد ، حيث أكد على ادماج هذا الميثاق ضمن ذلك الخطاب الذى ألقاه على الشعب عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية • وكان الامبراطور الذى حكم البلاد خلال ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ قد أرسى قواعد السياسة الديموقراطية التى أعطت الأولوية لمطالب الشعب ، عندما صرخ قائلا « سوف تتخذ كافة الاجراءات عن طريق المناقشة المفتوحة » • وبذلك أعلن الامبراطور عن قبوله لمبدأ الديموقراطية المحلية • وأكد الامبراطور هيروهيتو على أن اليابان المهزومة فى الحرب ستحرص على تحقيق مبدأ الديموقراطية بصورة متكاملة (١١) •

ومما سبق يتضح لنا القلق المستمر الذى صاحب استعادة الميجى ، ومازال يسيطر على تاريخ اليابان المعاصر • واعتبر النقاد أن ثورة الاستعادة انما هى ثورة لم تكتمل ، وتشككوا فى نوعية تلك الثورة ومعناها والتغيرات التاريخية التى أحدثتها ، لذا طالبوا بالعمل على قيام حركة استعادة ثانية "Second Restoration" • ولكن حكم أولئك النقاد بأن ثورة الاستعادة لم تكتمل هو حكم لا يقتصر على ثورة الاستعادة وحدها ، بل كثيرا ما تنسحب صفة « عدم الاكتمال » على ثورات أخرى • بل كثيرا ما يتشكك البعض فى الأهداف التى حققتها الثورة ويتساءل ماذا كانت تعنى تلك الثورة • ويمكن القول بأن ثورة ١٩٤٩ كانت استكمالا لثورة ١٩١١ بالصين ، وأنها أخذت على عاتقها تنفيذ بقية المهام التى بدأت ثورة ١٩١١ فى تنفيذها • وعرفت دول أخرى هذا النوع من الثورات المتصلة أو التكميلية •

وتتعلق النقطة الثانية بموضوع اعادة توجيه أو اعادة تشكيل الشخصية اليابانية ، أو ما يطلق عليه « تكوين الشخص اليابانى الجديد »، وأفكار العديد من المربين والمفكرين المستنيرين المتعلقة بقضية النهوض بالبلاد ومسايرتها لطابع العصر • وعندما انطلقت اليابان نحو بناء دولة حديثة تساير طابع العصر ، عقب قيام ثورة استعادة الميجى Meiji Restoration ، وجدت نفسها تواجه مشكلة (تثقيف) الناس حتى يفهموا السياسة الجديدة التى وضعتها الدولة ، ويعملوا على تنفيذها • ويشير البروفسير ناجاى متشيو Nagai Michio الى ذلك بقوله « ان الحكومة استثمرت أعظم مواردها فى تثقيف الناس الذين سيعملون على خدمة الثورة الصناعية • وأكدت سياسة الحكومة على ضرورة اكتساب

المعرفة المتعلقة بالأساليب والأنظمة الاجتماعية والمؤسسات التى لها علاقة بالاقتصاد والسياسة ٠

وتجدر الاشارة الى أنه بجانب الجامعات الحكومية أو القومية ، فقد انتشرت حركة فكرية نشطة بين الأفراد وفى الجامعات الخاصة ، وركزت تلك الحركة الفكرية على تكوين شخصية المواطن اليابانى ، وعملت على احداث ثورة فى مشاعر اليابانيين تجاه القيم وفى نظرتهم للناس والحياة ٠ وبرز أناس من الجامعات الخاصة رفضوا أن تكون نظرتهم للنهوض بالبلاد مقصورة على الثورة الصناعية فقط ، بل اعتقدوا أن عملية تحويل المجتمع المغلق التقليدى الى مجتمع حديث انما تتطلب ثورة ثقافية ـ تكون بمثابة ثورة فى القيم ٠

وصف فيكيوزاوا يوكيتشى Fukuzawa Yukichi الحضارة ذات مرة بأنها شىء تشارك روح الشعب فى صنعه وحض فيكيوزاوا اليابانيين على ان يكون لديهم احساس مرهف للنقد ، وأن يحرروا فكرهم وسلوكهم من قيود التقاليد الجامدة ٠ كما أكد على حاجة اليابانيين الماسة الى النزعة المنطقية حتى يتمكنوا من النظر الى البيئة الطبيعية والاجتماعية نظرة عملية منطقية ٠ ولم يقصد الاكتفاء باستيعاب الانجازات العلمية والتكنولوجية الغربية ، بل كان من الضرورى ـ فى رأيه ـ أن يوجد أناس قادرون على استيعاب العلم بل وقيامهم بوضع أسس العلم الطبيعى والاجتماعى والتكنولوجيا بأنفسهم ٠ وسعى فيكيوزاوا الى الاستفادة من الازدواجية التى كانت تشمل جميع مظاهر الحياة فى اليابان ، والاتجاه بها ناحية المذهب النفعى للنهوض بالبلاد ٠ وبذلك قدم لنا رؤية للشعب اليابانى الجديد الذى يتمتع بالحرية والاستقلال والحكم الذاتى واحترام النفس ـ وهى العناصر الضرورية التى لا يمكن لمجتمع قوى متحضر الاستغناء عنها ٠

كان ناكومورا ماساناوا Nakamura Masanao واحدا من المفكرين البارزين الآخرين ٠ وأرسلته حكومة باكوفو Bakufu الى انجلترا ليتولى مسئولية فريق من الطلاب ٠ ولم يعد الى اليابان الا فى عام ١٨٦٨ ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وانهزمت قوات طوكوجاوا Tokugawa على يد قوات الامبراطور ٠ وترك ناكامورا ايدو Edo بعد سقوط حكومة طوكوجاوا ، وعمل استاذا فى أكاديمية شيزوكا Shizuoka التى تأسست حديثا ، وكان يعتقد أن النظام الجديد سيعود عليه بالخسارة ٠ كما رأى ناكامورا أن انجلترا ـ فى العصر الفكتورى ـ هى النموذج المثالى الذى يتعين على اليابان الاقتداء به ٠ وكان يقدر الضمير الانسانى الذى هو بمثابة صوت الرب داخل الانسان تقديرا كبيرا ، وحض اليابانيين على أن

يسلكوا مسلك الرجل العصامى المنتج الذى يحترم العمل الجاد ، وناشدهم بضرورة القيام بحركة اصلاح انسانية فى اليابان . وقام ناكامورا بترجمة كتاب صمويل سميلز Samuel Smiles بعنوان « ساعد نفسك » (Saigoku riskiken) ، وحقق ذلك الكتاب رواجا كبيرا فى اليابان (فقد بيعت منه مليون نسخة) ، وكان له تأثير واسع فى البلاد .

يقول ناسيما Neesima jo — مؤسس جامعة دوشيشا — بأن حفنة من الأبطال لاتمثل الدعامة التى تعتمد عليها الأمـة ، بل تكمن قوة الأمة فى قدرة شعبها على التنظيم . والشعب هو ضمير الأمة . وعبر ناسيما عن آماله فى أن يكون باليابان شعب من هذا الطراز (١٢) .

وشارك جميع المفكرين الذين تعرضنا لهم بأفكارهم فى بناء اليابان ، وأجمعوا على أهمية الموارد الانسانيه ، وأكدوا على ضرورة ظهور الرجل اليابانى المنتج ذى العقلية المستقلـة الذى يساعـد على النهوض بالمجتمع اليابانى وبناء كيان قومى مستقل وحديث ، يعمل على نمو الاقتصاد القومى وتحقيق الثورة الصناعية فى اليابان . وقد قام أولئك المفكرون بواجبهم نحو تثقيف وتدريب عينة جديدة من اليابانيين بعيدا عن نطاق الحكومة .

تتعلق النقطة الثالثـة التى أود أن أعـرض لها بموضوع اختيـار النموذج المثالى التى تسعى البلاد لتحقيقه عندما تأخذ بأسباب التقـدم ، كما ترتبط هذه النقطة بقضية الاستمرار أو الانفصـال عن التقاليـد . اعترضت مشكلة اختيار أفضـل النمـاذج المثالية الغربية التى تناسب اليابان ، وكذلك مشكلة تحديد النماذج التى يتعين على اليابان الاحتفاظ بها وتلك التى يتعين عليها نبذها ، اعترضت تيارات الفكر والتحول الثقافى التى شهدتها البلاد بعد استعادة الميجى Meiji Restoration . وتحول أولئك الذين أرادوا ادخال الثورة على وجدان ومشاعر اليابانيين تجاه القيم ، الى الغرب لنقل النماذج المثالية عنه ، ولكنهم لم يسعوا الى نقل الأفكار والمؤسسات الغربية المعاصرة . فقد غض كثيرون من مفكرى ثورة الاستعادة أنظارهم عن أفكار ونظريات القرن التاسع عشر ، ونظروا الى عهد التنوير الذى ساد أوربا خلال القرن الثامن عشر ، على اعتبار أن ذلك العهد كان يمثل أفضل النماذج المثالية التى يمكن لثورة اليابان أن تسير على هديها فيما يتعلق بالقيم .

كثيرا ما أشار تاكيكوشى يوسابيرو Takekoshi Yasaburo ويشيميرا كانزو Uchimura Kanzo — المفكر الدينى البروتستانتى — وكينوشيتا نواى Kinoshita Naoe — الذى كان لكتاباته المناوئة للحرب أثر كبير على طبقة المثقفين فى اليابان — الى أفكار أوليفر كرومويل

Oliver Cromwell الذى سطع نجمه فى سماء ثورة المتطهرين (Puritans) التى قامت فى انجلترا فى القرن السابع عشر • ونظر أولئك المفكرون الى كروموبل على أنه خير من جسد القيم الجديدة • ومن الطريف أن نذكر أن مثقفى ثورة الاستعادة لم يشاءوا أن يختاروا نموذجهم من شخصيات ولايات الشمال الأمريكى التى عاشت فى أواخر القرن التاسع عشر ، وذلك عندما وجهوا أنظارهم شطر أمريكا لاختيار أفضل النماذج منها ، بل ركزوا انتباههم على أخلاقيات وأسلوب معيشة المتطهرين (Puritans) الذين عاشوا فى مجتمع نيوانجلند فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر • وعندما بحث أولئك المفكرون عن أناس يمكن محاكاتهم فى المجتمع الانجليزى ، تغاضوا عن الطبقة الارستقراطية وطبقة أصحاب الأطيان التى عاشت فى العصر الفيكتورى ، وكان النموذج الذى يحتذونه هو الرجل العادى الذى ينتمى الى الطبقة العاملة ، ويطمح فى أن يكون « جنتلمانا » عن طريق العمل الجاد المنتج وضبط النفس •

فلا غرابة فى أن يقوم رجل مثل ناكامورا ماسانوا Nakamura Masanao بترجمة كتاب « ساعد نفسك » لصمويل سميلز • وكان قادة الفكر فى عهد استعادة الميجى يدققون فى فحصهم للمجتمعات الغربية • فقد كانوا يبحثون عن قيم معنية عند اختيارهم للنموذج الذى يسيرون على هديه • وعند اختيار اليابانيين للنموذج المثالى الغربى لنظامهم الدستورى أو للمؤسسات الاجتماعية الحديثة ، كانوا يعدلون النموذج الذى يختارونه حتى يتناسب مع احتياجاتهم • فقد كانوا يضفون عليه صبغة يابانية ، ويجعلونه يعمل بطريقة يابانية • ولم يوص أكثر مفكرى الميجى Meiji رجاحة فى العقل بنبذ تقاليد اليابان نبذا تاما •

أثار كتاب كوزاكى هيروميتشى Kozaki Hiromichi بعنوان Seikyo Shinson (بحث جديد حول تعليم الأخلاق والدولة) عام ١٨٨٦ ، اهتمام المثقفين والشباب فى أواخر القرن التاسع عشر • فقد تناول كوزاكى فى هذا الكتاب الجوانب الاجتماعية والسياسية والتعليمية للمذهب الكونفوشى بالنقد والتحليل • كما تعرض بالنقد للجانب الأخلاقى الذى يؤيد فكرة التسلسل الطبقى فى اليابان ، وامتدح الجانب التعليمى الذى يوصى بالتعليم الذاتى وضبط النفس والبحث عن الحق والعدل • وأكد كوزاكى على أن ذلك الجانب التعليمى من المذهب الكونفوشى يتماشى مع المسيحية ، وذلك رغم أن كوزاكى كان يرى ضرورة احلال المسيحية محل الكونفوشية فى خلق علاقات اجتماعية جديدة فى روح شعبية جديدة • وبعبارة أخرى ، فقد استطاع كوزاكى التعرف على بعض ملامح الاستمرارية

داخل نطاق القيم الأخلاقية التى كانت تربط المجتمع الاقطاعى الكونفوشى ، كما فرق بين الاخلاقيات التقليدية التى ينبغى نبذها ، وتلك التى ينبغى التمسك بها للحفاظ على استمرارية الثورة والتطور القومى ٠ واهتم يومورا ماساهيسا ــ أحد مفكرى الكنيسة البروتستانتيه الكبار ــ بقضية الفكر اليابانى التقليدى ٠ وبعد منافسة مدرسة وانج يانج ــ منج Wang Yang-ming الكونفوشية ، أكد يومورا على أهمية الضمير والتطلعات الأخلاقية أو الروحية التى تمثل قوى داخلية تؤثر على تكوين الفرد المستقل ٠ وقال يومورا بأن الأفكار هى التراث الروحى الذى يرثه اليابانيون عن أسلافهم (١٣) ٠

ولا ننسى الجهود الفائقة التى بذلها ناكاى تشومين Nakae Chomin لنشر الأفكار السياسية الفرنسية المتعلقة بحقوق الفرد ، فقام بترجمة كتاب العقد الاجتماعى ونظرية الحرية والحقوق الشعبية للمفكر الفرنسى روسو Rousseau ٠ ويعد زاكاى من مؤسسى الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات ٠ ودرس ناكاى المذهب الكونفوشى فى شبابه ، ووصف طاعة المرء للحدس الموجود بداخله (نداء الضمير) بأنه الذات الحقيقية ، وآمن بأن مفهوم وحدة المعرفة والعمل ضروريان لتكوين شخصية الانسان ٠ وعندما قبل تشومين مبدأ الحرية ، كان فهمه لهذا المبدأ قائما على انضباط النفس الأخلاقى المتأصل فى الفكر الشرقى ٠

ويعد كتاب Hdhimura Kanzo (ممثلو اليابان) الذى وضعه يوتشيمورا كانزو Uchimura Kanzo ، مثلا طيبا آخر ، فقد رفض يوتشيمورا الاعتراف بأن الامبراطور أو المرسوم الامبراطورى الخاص بالتعليم يمثلان قيما دينية شبه مقدسة ينبغى تبجيلها واعتبر الوطنيون أن ذلك يمثل عيبا فى الذات الملكية ، فهاجموا يوتشيمورا بسبب موقفه هذا٠ ووضع يوتشيمورا تصورا للاصلاح القائم على القيم الدينية المسيحية، ولكن ذلك الاصلاح لم يعتمد بالضرورة على القيم الجديدة كل الاعتماد ٠ وقال يوتشيمورا بأن التقاليد اليابانية تحتوى بالفعل على عناصر يمكن الاعتماد عليها لتحويل المجتمع اليابانى الى مجتمع حديث ٠ وقد استشهد فى كتابه ببعض الشخصيات التى جسدت تلك العناصر ٠ فنحن نجد رجل السياسة الذى كان يؤمن بأنه من أجل تحقيق العدالة ينبغى بذل أية تضحية ، حتى لو اقتضى الأمر الى التضحية بالدولة ذاتها (ساجو تاكاموري) ٠ ونجد السيد الاقطاعى الذى حاول القيام بالاصلاح الاجتماعى على أساس التخلص من الطفيليين ، وذلك طبقا للمبدأ القائل بأن « من لا يعمل لا يأكل » (يوسوجى يوزان) ٠ ونجد المزارع القديس الذى أحدث بقانونه الأخلاقى النبيل اصلاحا اجتماعيا بعيد الأثر فى الحياة

الريفية (نينوميا سونطوكى) • ونجد المعلم القروى الذى كان يرى أن الاصلاح انما يتأتى من الاعتقاد الراسخ بالحقيقة الخالدة السامية ، وكان ينظر الى جميع تلاميذه ــ سواء أكانوا من أبناء السادة الاقطاعيين أو من أبناء المزارعين الفقراء ــ على أنهم بشر ينبغى المساواة بينهم جميعا (ناكاى توجو) • كما نجد الرجل المؤمن الذى لم يخش قوة على ظهر الأرض (نتشيرين) • وقد ترك يوتشيمورا كانزو بصماته على التاريخ الفكرى حين استخرج من قلوب اليابانيين العناصر التقليدية التى حملت فى طياتها القيم الانسانية العامة ، كما طالب فى الوقت نفسه التقليديين بضرورة تغيير أنفسهم •

تمتع المثقفون بحرية الاستقلال عند اختيارهم للنماذج المثالية الغربية ، وعند اتخاذهم للقرارات المتعلقة بالتقاليد الثقافية والفكرية • وقد جرى فحص تلك النماذج لاختيار أفضل النماذج التى تساعد على النهوض بالبلاد • وقد بذل المثقفون جهودا خاصة للعثور على العناصر التقليدية التى تتواءم مع احتياجات اليابان الحديثة •

وتتعلق النقطة الرابعة التى أود مناقشتها بموضوع آسيا ، والتأثير المتبادل للثورات وحركات التحرير على شعوب منطقة شرق آسيا • فقد كان لاستعادة الميجى Meiji Restoration تأثير كبير على قارة آسيا • فاذا بدأنا بالصين ، فسنجد أن سن يات ــ سين Sun yat-sen قام بتأليف كتاب عام ١٨٩٤ بعنوان رسالة موجهة الى لى هانج تشانج "Li Hung-Chang" عبر فيه عن اعجابه بثورة الاستعادة ، وذكر فيه أن تلك الثورة مهدت الطريق أمام قيام الثورة الصينية ، وأن الثورة الصينية كانت الخطوة التالية التى اكتملت بها ثورة الميجى • وهو يرى أن استعادة الميجى نجحت لأن المجاهدين المخلصين (shishi) الذين عاصروا سنوات حكم باكو ماتسو Bakumatsu قد ساروا على هدى أفكار وانج يانج مينج Wang Yang ming المتعلقة بوحدة المعرفة والعمل • كما أنهم اتبعوا سياسة الانفتاح واستجابوا بصورة ايجابية للثقافة الغربية ، وكانوا يحرصون على مصلحة بلادهم •

وكان سن Sun يحلم بأن يرى اليابان والصين ــ تلك الدولتين الشقيقتين ذات الثقافة والجنس المشترك ــ تتعاونان من أجل تحرير قارة آسيا من الاستعمار الجاثم على صدرها ، ورفع شعار « آسيا للأسيويين » • وناشد اليابانيين بأن يسعوا نحو تحقيق ذلك الهدف • ولكنه ندب (١٤) حظ اليابانيين بعد أن حادوا عن اتباع الحق والعدالة الاجتماعية،وتسلحوا

بسلاح الظلم ، فقهروا الشعوب الأخرى وأخضعوها لسيطرتهم ومحقوها من الوجود (١٤) ٠

وعلى أية حال ، فقد كان لاستعادة الميجى Meiji Restoration أثر كبير على الثورة الصينية التى قامت عام ١٩١١ ٠ وكان كثير من المفكرين اليابانيين يعرفون سن Sun معرفة شخصية ، أمثال ميازاكى توتين Miyazaki Toten الذى ظل يؤيد الثورة الصينية ٠ وقد مكن ميازاكى سن يات ــ سين Sun Yat-sen من معرفة المعنى الحديث لكلمة « الثورة » ، وبذلك أدخل على اللغة الصينية أسما مركبا ٠ ونقل اليابانيون ذلك الاسم المركب عن الصينيين بعد أن أصبح جزءا من الفكر التقليدى فى الصين : ــ Kakumei (ومعناها الحرفى « تغيير الأسر الحاكمة ») وكان المعنى المرتبط بكلمة « الثورة » مستمدا من ثورة المتطهرين Puritan Revolution فى انجلترا أو الثورة الفرنسية ٠ وبذلك نرى أن اليابانيين استعاروا هذه الكلمة من الصينيين ، ثم أعادوها اليهم بعد أن ألبسوها معنى جديدا ٠

وتأثرت الهند باستعادة الميجى Meiji Restoration أيضا ٠ ففى أول اجتماع لحزب المؤتمر الوطنى فى بومباى عام ١٨٨٥ ، عمل زعماء حركة الاستقلال على توحيد صفوفهم ، ونبذوا كافة الخلافات القبلية والطائفية والدينية واللغوية ٠ ثم وقع حادث فى الفلبين كان له أثر كبير على فكر اليابانيين ٠ فقد نشر سوهيرو تيتشو Suehiro Tetcho ــ الروائى والناقد والسياسى صاحب الأفكار الليبرالية ــ رواية عام ١٨٩١ بعنوان « اضطراب فى جنوب المحيط الباسفيكى » ٠ وتناولت الرواية قصة جوزى ريزل Jose Rizal قائد الثورة فى الفلبين ، والكفاح الذى خاضته حركة الاستقلال الفلبينية لتحرير الفلبين من براثن الاستعمار الغربى ٠ وكانت هذه الرواية نتيجة لقاء عابر بين سوهيرو وريزل عام ١٨٨٨ ٠ وعندما نصح ريزل بترك الفلبين ، توجه الى اليابان ثم رحل الى الولايات المتحدة وأوربا ٠ وكان سوهيرو على متن السفينة التى كان يستقلها ريزل متوجها الى الولايات المتحدة ، بعد أن قرر الفرار من اليابان والتخلص من اضطهاد السياسيين فى بلاده ٠ وتحدث الرجلان عن القضايا التى تشغل بال كل منهما ٠ ووصف ريزل الثورة فى بلاده ودوره فيها ٠

وعرف اليابانيون مايجرى فى الفلبين عن طريق هذا الكتاب ٠ وكان هذا الكتاب دعوة لليابانيين للاشتراك فى الكفاح من أجل استقلال دول آسيا ، والقيام باصلاحات ثورية ولم يلبث أن هاجر بعض اليابانيين الى تايلاند لمساعدة الحكومة التايلاندية على تحرير الشعب من السيطرة الاستعمارية ٠ وفى نفس الوقت وضعت الحكومة اليابانية خطة لارسال

السلاح للفلبين لمساعدتها على الاستقلال • ووضع عدد كبير من المجاهدين (shishi) خطة للتوجه الى مانيلا للاشتراك فى الثورة هناك •

وهناك أمثلة عديدة تدل على التأثير المتبادل للثورة على بقية دول آسيا • وتبقى كلمة أخيرة ، وهى أن ثورة الاستعادة ظلت ثورة لم نكتمل فى أعين أولئك الذين تعرضوا لها بالدراسة والتحليل ، ولكن تبقى الاشارة الى أن كثيرين من مجاهدى الثورة قد أثروا على الحركات الثورية فى بقية قارة آسيا • واستغرقت الثورة وقتا طويلا حتى تكتمل وتطلع اليابانيون فى شوق الى القيام باصلاحات أخرى • وقد يفسر لنا هذان السببان ترحيب اليابانيين ببرنامج الديموقراطيه بعد الحرب ، ــ ذلك البرنامج الذى جعل تأثير الثورة غير المكتملة يمتد خارج حدود اليابان •

مراجع وملاحظات :

(١) Group founded in 1887, at the initiative chiefly of Tokutomi Soho. It published a journal, Kokumin no Tomo (The Nation's Friend), which was patriotic, opposed the government's Westernization policy, and spread the liberal, democratic ideas that Soho called heiminshugi.

(٢) Takekoshi Yosaburo, Shin Nihonshi (A New History of Japan), Vol. 2 (Minyusha, Tokyo, 1892); Meiji bungaku Zenshu (Collected Literature of the Meiji Period), Vol. 77 (Chikuma Shobo, Tokyo, 1965).

(٣) Inada Masatsugu, Meiji Kenpo seiritsushi (Establishment of the Meiji Constitution,) Vol .2 (Puhikaku, Tokyo, 1962) Takeda Kiyoko, "Tennosei shiso no keisei" (Formation of the Ideas Supporting the Emperor System), in Iwanami Koza, ed., Nihon rekishi (History of Japan), Vol. 16 (Iwanami Shoten, Tokyo, 1967).

(٤) The Meirokusha (Meiji 6 Society), begun in 1873, published the Meiroku Zasshi a journal of the Japanese enlightenment). It was concerned with the introduction and population of Western ideas through education and dissemination of knowledge.

(٥) Mori Arinori, "Kakugian" (Cabinet Plan), 1887, dictated by Inoue Kowashi.

(٦) Fukuazawa Yukichi, "Ikkokujinmin no chitoku o ronzu"

(On the Intellect and Virtue of a Nation's People), Bunmeiron no gairyaku (Outline of Civilization), part 2, ch. 5, 1875.

(٧) Fukuzama Yukichi, "Teishitsuron" (On the Imperial House) (1882).

(٨) Tokutomi Soho, Yoshida Shoin (Min'yusha, Tokyo, 1893).

(٩) Kila Ikki. Kokutairon oyobi Junsei shakaishugi (National Polity and Pure Socialism) (private publication, 1906); Kita Ikki chosakushu (Major Writings of Kita Ikki), Vol 1 (Misuzu Shobo, Tokyo), pp. 354-356.

(١٠) Ukita Kazutami "Daini ishin no kokuze- gokajo" (Fine Articles of the National Policy in the Second Restoration), Taiyo, no 6 (1913)

وفيما يلي المواد الخمس الرئيسية لميثاق عام ١٨٦٨ :

(أ) يشكل مجلس موسع وتتخذ فيه القرارات عن طريق المناقشات المفتوحة مع تدعيم حرية القول .

(ب) تحقيق التوافق بين الطبقات العليا والدنيا وتدعيم الاقتصاد والمالية وتوسيع حق الانتخاب واعادة النظر فى قانونه والقضاء على الفساد فى الانتخابات . (صدر قانون عام للانتخابات فى عام ١٩٢٥ بعد ١٢ عاما من ظهور هذه المادة) .

(جـ) يجب أن يحقق الموظفون المدنيون والعسكريون آمالهم حتى تهدأ خواطر الشعب ، ويلغى التفريق بين التعلم العام والخاص ويجدد نظام التعليم من أساسه .

(د) تتوقف الممارسات السيئة السابقة ، وتتخذ الاجراءات وفقا للعرف الدولى ، مع ابراز مغزى جديد للولاء الوطنى وتشجيع انتشار القيم الأخلاقية الدستورية .

(هـ) السعى وراء المعرفة فى مختلف أرجاء العالم مع تدعيم أسس الحكم الامبراطورى والسمو بقيم الشعب وارساء أسس العدل فى مختلف أرجاء العالم .

وينبغي أن نلاحظ أن مواد الميثاق الخمس قد وضعت وفقا لكتابات يورى كيمى ماتسا ، وهو مفكر من باكوتسو كان من أنصار فتح أبواب البلاد وقد تأثرت أفكاره بآراء يوكوى شونان •

(١١) Takeda Kiyoko, Tennokan no sokoku — 1945 nen zengo (The Dual Image of the Japanese Emperor : Before and After 1945) (Iwanami Shoten, Tokyo, 1978), pp. 258-261.

(١٢) Neesima (Niijima) jo, "Doshisha Daigaku setsuritsu o shu" (Ideas in Founding of Doshisha University), Neesima Pamphlet, no 1 (Doshisha University Friends' Societu, Kyoto, 1936).

(١٣) Uemura Mosahisa, "O Yomei no rîsshi" (The Conscience of Wang Yang — ming), Fukuin shinpo, no 167 (1894) ; Vol. 2 in Colleated Works (Shinkyo — shuppansha. Tokyo, 1966).

(١٤) مقالة عن اليابان كتبها داى لى تاو سكرتير يات سن وقد أصبح بعد وفاة يات سن أحد أقطاب المفكرين الذين ساندوا فى الصين الكومينتاج، وهو يعبر عن خيبة أمله المريرة فى اليابان • وقد ترجمت مقالته الى اليابانية (١٩٦٨) يقول ان اليابان قد تحلت بروح عسكرية بعد الميجى اشن وأنها اكتسبت عقلية تجارية ماكرة وان خيوط مؤامرة قام نسجت بين التجار والبيروقراطية الحكومية والعسكريين وأدى ذلك الى ما يعرف بسياسة العقرب التى هددت بالاعتداء على الصين ، أى أنه ادعى أن الصين قد وقعت بين فكى الرحى اليابانية ، اذا فكرت اليابان فى التوسع شمال أو فى التوسع جنوبا •

التاريخ الاقتصادى أثناء فترة الاستعادة

بقلم

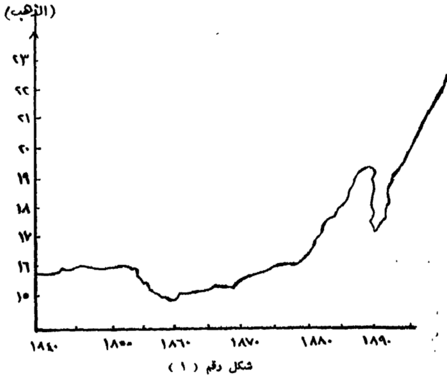
نيشيكاوا شونساكو	Nishikaka Shunsaku
وسايتو أوسامو	Saito Osamu
جامعة كيو	Keio University
وجامعة هيتو تسوباشي	Hitotsubashi University

طوكيو ـ اليابان

يبدأ التاريخ الاقتصادى الحديث فى اليابان باستعادة الميجى Meiji Restoration التى قامت عام ١٨٦٨ · ونظرا لأن استعادة الميجى لم تكن مجرد انقلاب ، فقد قضت على النظام الاقطاعى العتيق برمتة ، وأقامت دولة قومية حديثة · هذا فضلا عن أن الاستعادة قد مكنت الدولة من وضع برنامج للأخذ بأسباب التقدم ·

وهذا القول لا يعنى أن ثورة الاستعادة كانت الحد الفاصل فى التاريخ الاقتصادى اليابانى فى القرن التاسع عشر · فلا يمكن لأحد أن ينكر ـ مثلا ـ أن فتح موانىء اليابان عام ١٨٥٩ لم يقل أهمية عن ثورة الاستعادة ، بل يمكن القول ان ذلك الحدث قد جعل كثيرين من مسئولى الساموراى ـ الذين كانوا يعملون فى حكومة باكوفو Bakufu ، وأولئك الذين كانوا يقطنون الاقطاعيات القوية بجنوب غرب اليابان(seinan Yuhan) ويشغلون المناصب العليا والمناصب الدنيا ـ يؤمنون بضرورة الحاجة الى "fukoku kyohei أى النهوض بالبلاد وتسليحها تسليحا قويا ، وذلك حتى تتمكن من الوقوف على قدم المساواة مع القوى الغربية · وأدى ذلك بدوره الى اسقاط حكومة

طوكو جاوا ونظام الحكام العسكريين Tokugawa shogunate ، والقيام باصلاحات الميجى Meiji المتعددة٠ودخلت اليابان ميدان التجارة الدولية، فكان لذلك أثره على اقتصادها فعندما أقدمت اليابان على فتح الموانىء بمقتضى الانفاقيات التى عقدتها مع بعض القوى الغربية ، أدرك التجار اليابانيون أن سوقا كبيرا قد فتح أمام منتجاتهم ، وأن تجارتهم ستعود عليهم بالربح الوفير٠ وطبقا للتقديرات التى أوردها ياســوبا Yasuha فى كتاب له بعنــوان « الملامح البارزة فى النمــو الاقتصـــادى اليابانى بعد فترة حكم الميجى "Meiji Era » فان التجارة قد شهدت تحسنا يقدر بنحو ٢٠٠ بالمـائة فى الفترة من عام ١٨٥٧ الى عام ١٨٦٥ ، وبنحو ٨٠ بالمائة فى الفترة من عام ١٨٦٥ حتى عام ١٨٨٠ ٠ ويذكر لنا ج ٠ ر ٠ هوبر J. R. Huber فى مقال له بعنوان « دخول اليابان عالم التجارة الدولية وأثره على الأسعار أن الدخل القومى فى اليابان قد زاد بمقدار ٥٦ بالمائة فى الفترة من عـام ١٨٤٥ الى عام ١٨٧٩ بعد دخولهـا عالم التجارة ٠ ويجدر بنا الانتباه الى النسب المتغيرة للفضة والذهب فى السوق الدولية منذ أواخر السبعينات باعتبارها احدى العوامل التى ساعدت على دعم الصناعات التصديرية فى اليابان (انظر الشكل رقم ١) ورغم تلك التحفظات ، فمما لا شك فيه أن اقتصاد اليابان بدأ ينمو منذ أوائل الستينيات من القرن التاسع عشر ٠



شكل رقم (١)

يوضح الشكل رقم (١) نسبة الفضة للذهب فى لندن ٠ انظر كتاب تاريخ العملات فى الفترة من عام ١٢٥٢ حتى عام ١٨٩٤(Wilson and Milne) لندن ١٨٩٥ ٠ ص ١٥٩

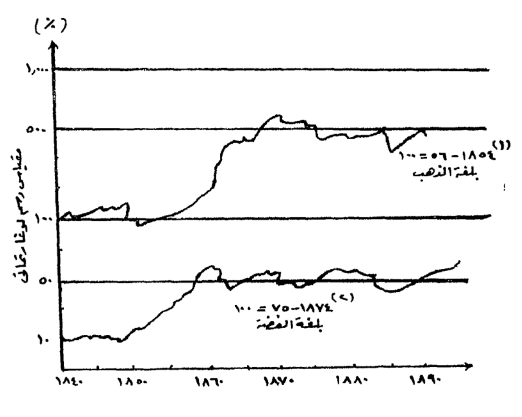
كمـا ينبغى لنا الاهتمام بفترة الثمانينات أيضـا ، لأن تلك الفترة شهدت النمو الاقتصادى الحديث بالمعنى الكوزينتسى Kuznetsian ولا يمكننا تحديد تاريخ معين لبدء النمو الاقتصادى وذلك بخلاف الاستعادة أو فتح الموانىء ، فتواريخها معروفة لنا جميعا • ولكن كل ما نستطيـع قوله هـو أن الانكماش الاقتصادى الذى عرفته البـلاد على يد متسوكاتا Matsukata قد انتهى فى الثمانينات •

ويقول اوهكاوا Ohkawa وروزوفسكى Rasovsky فى هذا الصدد : بدأ النمو الاقتصادى الحديث فى اليابان فى منتصف الثمانينات تقريبا وكانت الخمس عشرة سنة التى أعقبت الانكماش على يد ماتسوكاتا ، تمثل فترة متصلة من التطور الصناعى الحديث • وكان غزل الحرير والقطن من أهم الانجازات التى حققها القطاع الخاص ، بينما قامت الحكومة بتعبيـد الطرق ، ومد السكك الحديدية ، والأشغال العامة • وبحلول عام ١٩٠١ كان ناتج المصانع يمثل ما يقرب من ١٠ بالمائة من صافى الناتج القومى وكان اجمالى رأس المال المحلى الثابت يزيد على ١٠ بالمائة من اجمالى الناتج القومى • وكانت الصادرات تمثل ١٠ بالمائة من اجمالى الناتج القومى وتبين لنا كل هذه المؤشرات الزيادة التى شهدتها البلاد فى العقد الأول من القرن العشرين •

لذلك فمن الأسلم وصف استعادة الميجى Meiji Restoration بأنهـا فترة ، وليست حدثا منفردا فى التاريخ الاقتصادى • ويمكن القول بأن فترة الاستعادة استمرت من عام ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٥ •

وهنـاك عدة مظاهر للاستعادة • وأول هذه المظاهر هو أن فترة الاستعادة كانت فترة تضخم ونمو بالمعنى الحقيقى للكلمة • وغنى عن القول أن فتح الموانىء تسبب فى خروج الذهب من البلاد بكميات كبيرة ، وأن الاجراءات التى اتخذتها حكومة باكوفو لمواجهة هذه الأزمة المالية ــ والتى تمثلت فى خفض قيمة العملة المالية على يد مانين Man'en عام ١٨٦٠ ــ أشعلت نيران التضخم • واسـتمر التضيخم حتى عام ١٨٦٩ ، واستقرت الأسعار لفترة من الزمن ، ثم ما لبث التضخم أن أمسك بخناق البلاد مرة أخرى فى أواخر السبعينات (انظر الشكل ٢) • ورغم ارتفاع الأسعار ، فقد شهد الاقتصاد المحلى نموا حقيقيا بفضل زيادة صادرات المنتجـات الريفية ، ولا سيما حرير القز والشاى • وفى الحقيقة فان هذين السلعتين كانا تمثلان ما يزيد على ٥٠ بالمائة من اجمالى الصادرات فى الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر • وجدير بالذكر أن النمو التضخمى لم يستمر دون توقف ، فقد توقف بفضل الانكماش الاقتصادى على يـد ماتسوكاتا Matsukata ، عندما وصل النمو الاقتصادى فى اليابان الى

« نقطة الصفر » ويمكننا أن نطلق على تلك الفترة بأنها كانت فترة نمو اقتصادى ، ان لم تكن فترة نمو اقتصادى بالمعنى الحديث للكلمة ٠



يوضح الشكل ٢ الأسعار فى أوساكا Osaka

أما المظهر الثانى من مظاهر الاستعادة فهو أن فترة الاستعادة كانت فترة اصلاح ٠ فقد رفعت قيود كثيرة كانت مفروضة على النشاط الاقتصادى، رغم أن كثيرا من هذه القيود كانت قد فقدت فاعليتها بالفعل٠ وأزيلت كافة نقاط التفتيش من الطرق الرئيسية ، كما تم حل النقابات ورفع القيود التى فرضت على الحركة المهنية ، وسمح للفلاحين بزراعة أى نوع من أنواع المحاصيل يرغبون فيه ، وبيع أو شراء أية أراض زراعية ٠

وسعت حكومة الميجى Meiji الى اضفاء الطابع الغربى على كافة المؤسسات ، فعملت على تطبيق النماذج المثالية الغربية على نظام الضرائب والنظام المالى والمصرفى والبورصة ونظام الاتصال والتعليم والجيش والبحرية ٠

واخيرا تم حل نظام (باكوفو الاقطاعى ـ Bakuhan) ـ ذلك النظام الحاكم القديم · واستتبع ذلك احلال gunhen محل hoken ـ مما ساعد على الغاء السلطة والاستقلال الذاتى الذى كان يتمتع به حوالى ٣٠٠ han وحلت ضريبة الأطيان التى تدفع نقدا محل الضرائب الاقطاعية القديمة كما استتبع حل نظام باكوفو الاقطاعى ، صرف معاشات للسادة الاقطاعيين daimyo ولطبقة الساموراى السابقة ، مما خفف من العبء المالى الذى كانت الحكومة نتحمله ، وجعل طبقة الساموراى السابقة أكثر تقبلا للنظام الاقتصادى والاجتماعى الجديد ·

ونجدر الاشارة الى أن التحول من نظام (الاقطاع اللا مركزى ـ hoken -) كان تحولا ثوريا الى نظام (سلطة القوة gunken) كانت له آثار بعيدة المدى · فقد ساعد ذلك التحول على خلق دولة قومية ، ومن ثم اقتصاد قومى متماسك · وكان ذلك التحول يعنى تغيرا فى السياسة الاقتصادية ، بعد أن تغيرت عملية صنع القرار · فبعد أن كانت بالبلاد اقطاعيات كثيرة مختلفة ، تقوم كل اقطاعية منها بوضع برامج اقتصادية مختلفة ، أصبح بامكان حكومة الميجى Meiji المركزية وضع خطة اقتصادية متماسكة ومنظمة · وبذلك يمكن القول بأنه قد أصبح بمقدور الحكومة اتباع سياسة الثروة والقوة العسكرية ـ "fukoku kyohei" بعد ذلك التحول الذى طرأ على مؤسسات الدولة ·

لا يعنى هذا أن عملية الاصلاح كانت تسير فى اتجاه واحد · فلم تكن كل سياسة او كل اصلاح قامت به الحكومة فى تلك الفترة يهدف الى تحقيق أهداف سياسة fukoku kyohei الكبيرة ، بل اتبعت الحكومة سياسة الخطأ والصواب فى تلك الفترة · فأحيانا كان الاصلاح يؤدى الى اصلاح آخر · ولم يكن الاصلاح الجديد خطوة للأمام لتحقيق هدف معين فى جميع الحالات · وجدير بالذكر أن حكومة ميجى Meiji استمرت فى تطبيق بعض النظم التى كانت حكومة طوكو جاواباكوهان Tokugawa bakuhan تطبقها · فنحن لا نعرف السبب الذى دفع الحكومة الى رفض مشروع لانشاء بنك مركزى من طراز بنك انجلترا ، فى الوقت الذى وافقت فيه على اقامة نظام مصرفى لا مركزى على غرار النظام المصرفى الأمريكى عام ١٨٧٢ · كما لا نعرف السبب الذى جعل أكوبو Okubo ـ أحد قادة الميجى الأكفاء الذى كان على دراية واسعة (بزيادة الانتاج وتعزيز الصناعة ـ Shokusan Kogyo · لايعلق أهمية كبيرة على الدور الذى لعبه كوبوشو Kobusho (قطاع الصناعة) الذى أشرف على اقامة عدد كبير من المشروعات الحكومية الا فى عام ١٨٧٩ لتحل محل المشروعات والتكنولوجيا الغربية ·

وسير هـذه النقطة الأخـيرة القضية التالية : هل كانت السياسات الصناعية والنقدية التى اتبعتها حكومة ميجى **Meiji** فى بداية عهدها تمثل نقطة انطلاق حقيقية أم لا ، وهل كانت تلك السياسات ترتبط بقضية التواصل بين التاريخ الاقتصادى لاميجى Meiji والتاريخ الاقتصادى لحكم طوكوجاوا Tokugama ؟

التواصل بين التاريخ الاقتصادى للميجى Mciji والتاريخ الاقتصادى لحكم طوكوجاوا Tokugama :

لابد لنا أن نبدأ بالمعنيين المرتبطين بموضـوع التواصل . ويمكن النظر الى المعنى الأول للتواصل من منظور العصر الحـديث . كمـا يمكن النظر الى المعنى الثانى للتواصل من منظور الماضي . وقال مارك بلوتش Marc Bloch ذات مرّة ، بأن المؤرخين مولعـون بالأصـول ، فان لم يسـتطيعوا تتبـع أصـول التنميـة المعـاصرة خلال فترة الاستعادة Meiji Restoration فانهم يفتنسون عنها فى الماضى السحيق ، بغية العثور على أصول التواصل فهم قد يتعرضون مثلا لتيارات النمو الاقتصادى أثناء حكم طوكوجاوا . كما يدرك المؤرخون أنهم يصادفون أحيانا نماذج قديمة فى زى معاصر وأن استقصاءاتهم كثيرا ما تصاب بالفشل . وينسحب ذلك القول على الأوضاع التى كان يواجهها قادة الميجى Meji . وقد أفصح أولئك القادة عن رغبتهم فى صبغ البلاد بالصبغة الغربية ، وتكشفت بعض بقايا نظام طوكوجاوا Tokugawa السابق أثناء عمليات اصطباغ المؤسسـات القومية بالصبغة الغربية وأثناء قيام الحكومة بوضع سياسة البلاد .

تيارات التواصل :

تتعرض هذه النقطة للتاريخ الذى بدأت فيه اليابان نموها . وكما سبق الاشارة من قبل ، فقد كانت فترة الاستعادة فترة نمو. فهل بدأ ذلك النمو بعد أن فتحت اليابان موانيها بمقتضى المعاهدات التى أبرمتها مع بعض القوى الغربية ، أم هل بدأ النمو قبل عام ١٨٥٩ ؟

تشير الأبحاث التى أجريت حديثا الى أن النمو الاقتصادى بدأ فى العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر ، قبل أن تدخل اليابان ميدان التجارة الدولية بفترة طويلة . وتعد الاحصائيات السكانية خير دليل يؤيد هذه الأبحاث . فنحن نعرف أن عدد السكان لم يزد زيادة ملحوظة منذ عا ١٧٢١ عندما أجرى أول احصاء قومى شمل كافة أنحاء البلاد . ولكن هذا لا يعنى أن معدل السكان ظل ثابتا دون تغير حتى عام ١٨٦٨ . فاذا ألقينا

نظرة متأنية على هذه الاحصائيات ، فسنجد أن عــدد السكان انخفض انخفاضا طفيفا فى نهاية القرن الثامن عشر ، ثم أخذ فى الزيادة فى بداية القرن التاسع عشر • وشملت هذه الزيادة السكانية معظم أرجاء اليابان باستثناء مناطق كيناى Kinai وكانتو Kanto حيث توجد مدن ايدو Edo واوساكا Osaka وكيوتو Kyoto • وشـــهدت المنـــاطق الريفيـــة نمــوا حقيقيا فى عدد السكان منذ بداية القرن التاسع عشر •

وبطبيعة الحال فان هذه الحقيقة تسمح لنا بتفسير النمو الاقتصادى تفسيرات مختلفة ، كما أنها لا تعد دليلا دامغا يمكن الاستناد اليه لمعرفة التاريخ الحقيقى للنمو الاقتصادى • ولكن منذ أوائل السبعينات من القرن العشرين ، قدم لنا شيمبو هيروشى Shimbo Hiroshi دليلا جديدا فيما يتعلق بتاريخ الأســعار • فبعد أن قام بتقييم سلسلة من مؤشرات الأســـعار فى اوساكا Osaka وكيوتو Kyoto على مدى قرن أو نحو ذلك ، فقد وجد دليلا يؤكد زيادة معدل الأسعار منذ العشرينات من القرن التاسع عشر • وهو يؤكد أن الاقتصاد شهد زيادة كبيرة فى معدلات الأسعار على مدى فترة طويلة من الزمن امتدت الى فترة الميجى Meiji era • وساعد خفض قيمة العملات التى قام به بنزى Bunsei ، حينما كانت حكومة باكوفو Bakufu تسيطر على مقاليد الحكم فى البلاد ، على هذا الارتفاع فى الأسعار • ولكن شيمبو يمضى قائلا بأنه لا ينبغى النظر الى الآثار التى ترتبت على خفض قيمة العملات الذى قام به بنزى Bunsei على أنها تشبه الآثـــار المصاحبة لنظرية الكمية الكلاسيكية المتعلقة بالمال ، اذ أن هذه الآثار المترتبة على خفض قيمة العملات تشبه الآثار المترتبة على السياسة المالية التى وضعها كنزى Keynesian fiscal policy وبعد أن قام بفحص عملية اعادة ســك النقود ، اختتم مناقشته بقوله بأن حكومة باكوفو Bunsei هى التى كانت تقوم بسك النقود الاضافية ونظرا لأن حكومة باكوفو ربحت ربحا كبيرا بعد خفض قيمة العملات ، فقد ساعد ذلك على خلق فجوة تضخمية ، ولكنـــه كان حافزا على نمو الاقتصاد •

وفيمـــا يتعلق بالتساؤل المطروح حول ما اذا كان النمو الاقتصادى قد بدأ فعلا فى العشرينات أو الثلاثينات ، فان الدليل الذى يقدمه شيمبو Shimbo فى كتابه ليس كافيا • أما اميمورا Umemura ــ الذى حذا حذو شيمبو ــ فقدم لنا وصفا شاملا للنمو الاقتصادى الحقيقى فى فتـــرة باكوماتسو Bakumatsu فهو يقول بأن التضـــخم ســـاعد المقاولين على الربح لأن حركة الأجور ظلت ثابتة الى حد ما حتى عام ١٨٦٠ • ولابد أن ذلك الربح قد استخدم فى تكوين رأس المال • ورغم أن اميمورا كان يعتمد على معدلات الأجور التى كانت شائعة فى كيوتو Kyato عندما قام بجمع

البيانات المتعلقة بالأجور ، الا أنه اعتبر أن المقاولين الذين استفادوا استفادة كبيرة من التضخم وربحوا ربحا وفيرا منه ، انما هم المقاولون الذين كانوا يقطنون المناطق الريفية • وهو يقيم الدليل على أن تكون رأس المال بدأ فى القطاع الريفى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر •

كان هناك مؤشر واضح على أن الاستثمار الزراعى قد ازداد • وبدأت الحكومة فى اقامة السدود والرى وشق الترع منذ بداية القرن التاسع عشر، مما ساعد على زيادة الرقعة الزراعية أو تحسين جودة المحاصيل • وقد تمت معظم هذه الأشغال العامة فى المناطق الشرقية المتخلفة بالبلاد •

ويتعلق الدليل الثانى الذى قدمه اميمورا Umemura بحركة السفن ويرى اميمورا أن عدد السفن فى الميناءين قد ازداد فى أوائل القرن التاسع عشر ، وأن توزيع نسبة مالكى السفن الذين جاءوا الى هذين الميناءين تغيرت • ففى القرن الثامن عشر كان معظم مالكى السفن يسكنون المناطق المطلة على البحر والمتطورة تجاريا ، وزادت نسبة أولئك الملاك زيادة ملحوظة فى القرن التاسع عشر ، مما يدل على أن الاستثمار فى شحن السفن قد زاد بصورة نسبية فى مناطق سانين San'in وكوكيوريكو Hokuriku

كان للتطور فى مجال النقل ـ سواء النقل البحرى أو البرى ـ أثره على نواحى الحياة الأخرى • فقد كان هذا التطور يعنى ـ على سبيل المثال ـ سهولة نقل السماد ، الذى يساعد بدوره على تحسين جودة الأراضى الزراعية • كما كان النقل يساعد على توافر المواد الخام لدى أصحاب الصناعات المحلية وتسويق منتجاتهم • وواقع الأمر ، أن أقليم هوكيوريكو Hokuriku قد شهد تطورا فى وسائل النقل بشقيها البحرى والبرى • وسواء كان النمو الاقتصادى يرجع الى الربح الناتج عن التضخم ، وسواء كان التضخم ناتجا عن السياسة النقدية والمالية التى اتبعتها حكومة باكوفو Bakufu ، فان ذلك الأمر يخضع لكثير من المناقشة والجدل • وأغلب الظن أن النمو الاقتصادى كان فى العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر والفترة التى تلت ذلك • ومما لا شك فيه أن خطى النمو الاقتصادى اختلفت من منطقة لأخرى اختلافا كبيرا • فعلى سبيل المثال ، فقد كشف البحث الذى قمنا به عدم وجود أية زيادة فى ناتج الفرد من المنتجات غير الخدمية فى مقاطعة تشوشو Choshu فيما بين عام ١٨٤٠ وعام ١٨٧٤ •

وجدير بالذكر أن ناتج الفرد غير الزراعى ظل ثابتا فى نفس الفترة • وهكذا نجد أنه فى الوقت الذى لم تحرز فيه الأقاليم الغربية تقدما كبيرا . شأنها فى ذلك شأن مقاطعة تشوشو ، أحرزت المناطق الوسطى والشرقية من البلاد تقدما ملحوظا• وتؤيد كافة الأدلة التى ساقها أميمورا Umemura هذا القول• وقد نستفيد من تحليلنا لاتجاهات السكان الذى عرضنا له من

قبل فى هذا الموضع · واذا قمنا بتحليل الأرقام السكانية فى مناطق أخرى غير كيناى Kinai وكانتو Kanto ، كالمناطق الشرقية والغربية ، فى فترة الأربعينات ، فسنجد أن معدل الزيادة السكانية فى المناطق الشرقية الريفيـــة كان أعلى من معـــدل الزيادة السكانية فى المناطق الغربيـــة الريفيـــة ·

يستحق اختلاف معدل الزيادة فى المناطق الشرقية الريفية عنه فى المناطق الغربية ، شيئا من الاهتمام من جانبنا ، وذلك لأن المناطق الشرقية كانت المنتج الرئيسى للحرير والشاى · واعتمدت معظم صادرات اليابان على هاتين السلعتين · وكانت تلك المنطقة تمتلك مقومـات النمو ، رغـم انخفاض ناتج الفرد · وفى المقال الذى سبق الاشارة اليه ، اقتبس اميمورا Umemura بعض الأرقام التى تظهر لنا مقدار التحسن الذى طرأ على تربيـــة دودة القز فى منطقـة طوهوكو Tohoku · وازداد الاتجـــاه نحو تربية دودة القز فى اقليم سوا Suwa (ولاية ناجانو Nagano الحالية) فى العشرينات من القـرن التاسع عشر · وبدأ انتـاج الحرير يتزايد فى هذا الاقليم منذ فترةالميجى Meiji ·

ساعد الاتجاه الى التصدير على النمو الاقتصادى فى فترة الاستعادة Restoration · ولكن ذلك النمو الاقتصادى لم يكن أمرا فجائيا ، ولم يكن يمثل استجابة سلبية لحدث خارجى · فقد دخلت البلاد ميدان التجارة الدوليـــة ، مما كان له أثره على بعض المنـاطق التى كان النمو الاقتصادى فيها على وشك البدء ، أو كان قد بدأ بالفعل ، وأدى ذلك بدوره الى زيادة النمو الاقتصادى فى تلك المنـاطق · ولكننا لاننكر أن التجارة الخارجية كان لها أثر سيىء على مناطق زراعة القطن · فلم يستطع القطن اليابانى أو الخيوط اليابانية دخول ميدان التنافس فى السوق الدولية ، فتعرض المزارعون المحليون لخسارة بالغة اثر تدفق البضائع الأجنبية على البلاد · فكان لابد من اعادة تصنيع غزل القطن ، وهذا ما حدث فى المصانع فى الثمانينـات من القرن التاسع عشر · ويعطينـا ذلك مثالا على عـدم التواصل · ولكن نسيج القطن تمكن من البقاء بفضل التحول الى الخيوط المستوردة ، ثم الخيوط التى كانت تصنع محليا فى المصانع فيما بعد · ويمكن انهاء هذه النقطة بالقول بأن الاقتصاد الريفى قد استفاد من دخول البلاد ميـــدان التجارة الدوليـــة · وتركز النمو الاقتصادى الذى كان ينحو نحو التصدير فى المناطق الريفية فى فترة الاستعادة · وبذلك نرى أن هناك شيئا من التواصل مع فترة طوكوجاوا Tokugawa

استمرار نماذج (باكوفو الاقطاعية ـ Bakuhan) :

لم يتحقق النمو الاقتصادى قبل فترة الاستعادة وخلالها بسرعة ، بل العكس هو الصحيح • فقد واجهت حكومة الميجى Meiji ، ومن قبلها حكومة باكوفو Bakufu أثناء فترة انزى Ansei وماتلاها ، مصاعب كثيرة فى السيطرة على اقتصاد البلاد • وبغض النظر عن المشاكل المتعلقة باقامة أسس مالية ثابتة ، فقد كانت هناك مشكلتان كبيرتان ارتبطتا بالاستراتيجية الاقتصادية التى اتبعتها حكومة الميجى ، وهما مشكلة توافر الأموال ومشكلة آل "Shokusan Kogyo" ويعد هذا المثال نموذجا على التواصل بين الماضى والحاضر •

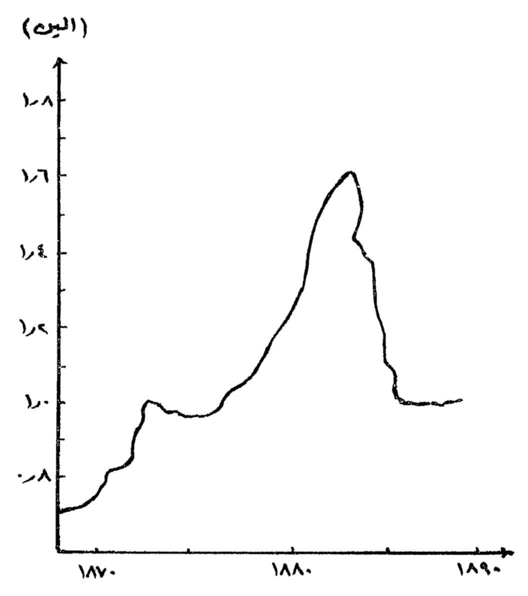
كانت حكومة باكوفو Bakufu والاقاليم التابعة لها تتحكم فى عملية توفير الأموال وفقا لنظام باكوهان Bakuhan • وكانت العملات الذهبية والفضية خاضعة لسيطرة حكومة باكوفو خضوعا مباشرا ، بينما سمحت فى الوقت نفسه لكل عشيرة اقطاعية (han) باصـدار عملتها النقدية الخاصة بها (hansatsu) للتداول داخل الاقطاعية • وفى نهاية فترة حكم طوكوجاوا Tokugawa ازداد عدد العشائر الاقطاعيـة (han) التى تصدر العملات النقدية الخاصة بها (hansatsu) ويرجع ذلك الى العجز المزمن فى الموازنة التى كانت تعانى منه الحكومة • وهناك كثير من الطرائف التى تحكى عن انخفاض أسعار العملة النقديـة (hansatsu) انخفاضا لا يصدقه عقل • ولكن يجب التأكيد على أن كثير من العشـــائر الاقطاعيـــة (han) استطاعت الحفاظ على أسعار العملات النقدية بها hansatsu عند مستويات معقولة ، وأن بعض العشائر الاقطاعية استطاعت الخروج من الأزمـات التى مـرت بها واعادت بناء سياستها المالية • وقد توارثت الحكومات اللاحقة كثيرا من الخبرات المتعلقة بكيفية السيطرة على «اقتصاد العملة الورقية» التى توافرت لحكومة طوكوجاوا

وفى الكتاب الذى الفه فيكيوزاوا يوكيتشى Fukuzawa Yukichi عام ١٨٧٨ بعنوان Tokugawa ، دافع ذلك الرجـــل بشـــدة مـن السياسة التى اتبعهـــا اكوما شـيجنوبو Okuma Shigenobu ـ وزير المالية ـ لتوفير العملات الورقية • ومنذ عام ١٨٧٧ ازدادت كمية النقود زيادة سريعة بعد أن أصدرت البنوك القومية عملات ورقية بكميات كبيرة ، وذلك بعد قيام اكوما بمراجعة لوائح البنوك القومية ، وبعد أن أصدرت الحكومة العملات الورقية لمجابهـة النفقات الباهظة التى ترتبت على قيام الحكومة بالقضاء على تمرد مقاطعـة ساتسومـا Satsuma • وقال

فيكيوزاوا بأن سياسة طبع العملة الورقية لم تكن سياسة رديئة فى جملتها . ويمكن تبرير هذه السياسة فقط اذا كان بمقدور الحكومة احكام سيطرتها على كمية الأموال التى تصدرها بحيث تتناسب هذه الكمية مع احتياجات السكان من المال . ويتساءل قائلا : كيف يتناسى الاقتصاديون اليوم أحوال العشائر الاقطاعية أو الأقاليم القديمة (hans) عندما كان يتم تداول العملات النقدية (hansatsu) فى تلك الأقاليم ؟ ففى اقطاعية ناكاتسو Nakatsu الذى ولد فيها فيكيوزاوا ، لم يجر تداول العملات الذهبية أو الفضية ، بل كانت العملات الورقية هى السائدة فقط . ووضح فيكيوزاوا أرقام السكان وكمية العملات الورقية المتداولة فى اقليم ناكاتسو ، وقارن نسبة عدد السكان وكمية العملات الورقية المتداولة . ثم قارن بين هذه النسبة ونسب عام ۱۸۷۷ . وكانت النتيجة التى استخلصها هى أن الميزان المالى الحالى لم يكن زائدا عن الحد .

ولا يهمنا ما اذا كانت النتيجة التى توصل اليها فيكيوزاوا عام ۱۸۷۸ صحيحة أم لا . ويبين لنا الشكل (۳) التدهور الذى طرأ على قيمة العملات الورقية منذ عام ۱۸۷۹ . وتكمن أهمية النتيجة التى توصل اليها فى أنها وفرت لنا بعض المعلومات المتعلقة بخبرات الاقطاعيات السابقة فى مجال تثبيت دعائم الاقتصاد القائم على العملات الورقية . توحى لنا قصته حول اقطاعية ناكاتسو بأن طبع النقود الورقية لم يكن اجراء يائسا من جانب الحكومة لتسديد ديون الاقطاعية . ولو استعان فيكيوزاوا بأرقام Kokudaka بدلا من الاستعانة بعدد السكان ، لاستطاع التوصل الى أرقام دقيقة . ولو استعنا نحن بعينة من الاقطاعيات التى تتوافر لدينا نسبة عدد السكان ونسبة العملة الورقية التى كانت متداولة بها ، لوجدنا أن هناك علاقة وطيدة بين الاثنين . وتدل الحسابات من هذا النوع على أن كثيرين من مسئولى الاقطاعيات قد اكتسبوا الخبرة المتعلقة بادارة توفير الأموال فى نهاية عهد حكم طوكوجاوا .

كانت طباعة النقود الورقية احدى سمات التاريخ النقدى فى أوائل فترة الميجى Meiji . ولكننا لاننظر اليها باعتبارها احدى قصص النجاح ، بل كأحدى الأمثلة على الأخطاء التى وقع فيها اسلاف الكونت ماتسوكاتا Count Matsukata الذى كان يعمل وزيرا للمالية منذ عام ۱۸۸۱ ، واستطاع اعادة النظام النقدى الى طبيعته ، ووضع أسس النظام النقدى الحديث بعد أن أقام بنكا مركزيا ، وهو بنك اليابان عام ۱۸۸۲ . ووفقا لهذا التقدير ، « فان الدولة تعد محظوظة عندما يأتيها قائد قدير وقت الأزمات على جناح السرعة أو ال "hanamichi" .



يوضح الشكل (٣) عملة الين الفضية وعملة الين الورقية ٠

صحيح أنه فى عام ١٨٨٠ اعترف اكوما Okuma ـ الذى حل ماتسوكاتا Matsukata محله ـ بأن الخطة التى وضعتها الحكومة لتوفير الأموال قد ابتعدت عن الهدف ، ولذلك قام بنفسه بوضع خطة لاستعادة قيمة العملات الورقية ٠ ولكن مما سبق يتضح لنا أن ماتسوكاتا قد انجز أكثر مما أشرنا اليه ، اذ يتضح لنا أن النظام المصرفى والسياسة النقدية التى اتبعتها الحكومة قبل ماتسوكاتا كانا عديمى التأثير ، ولاسيما أن تجربة النظام المصرفى القومى قد باءت بالفشل ٠

كانت البنوك الوطنية أول مؤسسات مصرفية تتخذ الطابع الغربى ٠ وحصلت تلك البنوك على تصاريح العمل عام ١٨٧٢ ٠ واضطرب الوضع المالى اثر فتح الموانىء أمام التجارة الأجنبية وانهيار نظام العشائر الاقطاعية (han) ، مما اضطر حكومة الميجى Meiji الى ارسال الأمير ايتو Prince Ito للولايات المتحدة الأمريكية ٠ ورجع الأمير ايتو الى اليابان ومعه نموذجا للنظام المصرفى الوطنى ٠ وكان نموذج النظام المصرفى الأمريكى اللا مركزى الذى أتى به ايتو يتعارض مع النظام المصرفى المركزى ٠ ورغم أن النظام المركزى كان معمولا به فى كثير من الدول الأوربية ، الا أن ذلك النظام كان يقابل بالرفض من جانب غالبية الوزراء فى الحكومة ، وفى عام ١٨٧٦ أدخل اكوما تعديلات هامة على لوائح النظام المصرفى ، وازداد عدد البنوك الوطنية التى أقيمت فى مناطق متعددة ، حتى بلغ عددها ١٥٠ بنكا فى نهاية عام ١٨٧٩ ، وبلغ الحد الأقصى الذى حددته الحكومة لاصدار البنكنوت مداه آنذاك ٠

لماذا فضل قادة الميجى Meiji هذا النظام المصرفى بعينه رغم معارضة من جانب أولئك الذين كانوا على دراية كبيرة بالنظم المصرفية الغربية ؟ للاجابة على هذا السؤال ، ينبغى لنا معرفة الأسباب التى أدت الى الاضطراب المالى فى نظر اكوما Okuma ٠ وقد أشار اكوما Okuma الى الاختفاء المفاجىء لنظام العشائر الاقطاعية (han) وانهيار المولين من التجار التقليديين أمثال اونو Ono وشيمادا Shimada ، والغاء الجمعيات التجارية القديمة (ton'ya nakama) ولكنه أكد على الغاء نظام الاقطاعيات ٠ وبذلك ألغى ٣٠٠ نظام ادارى كان يشرف على النظم المصرفية والعمليات التجارية الأخرى للناس ٠ وكان الغاء تلك الاقطاعيات يعنى الغاء المهام التى كانت تقوم بها تلك النظم الادارية ، ولم يكن الاقتصاد المحلى ليستغنى عن تلك المهام ٠ وكان فيكيوزاوا يشارك أكوما رأيه فيما يتعلق بالسياسة النقدية التى كانت تنتهجها الاقطاعيات القديمة (hans) ٠ ونظرا لأن تداول العملات النقدية (hansatsu) كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدد السكان ، فاننا لانندهش عندما نعلم أن اكوما قد اعتمد فى حساباته على عدد السكان بالولاية والضرائب التى يدفعونها ، وذلك عندما أشرف على تحديد حصة كل ولاية من البنكنوت ٠ وبعبارة أخرى ، يمكن القول بأنه كان يأمل فى أن تقوم البنوك المحلية التى تأسست بمقتضى لوائح البنك الوطنى ، بنفس المهمة التى كانت تؤديها النظم الادارية السابقة فى الاقطاعيات (hans) ازاء العملات النقدية (hansatsu) ٠ فلا عجب

فى أنه كان يفضل النظام المصرفى الوطنى اللا مركزى ، فقد كان ذلك النظام نظاما قديما يتخفى فى زى حديث ٠

ارتبطت السياسة النقدية التى اتبعها اكوما (Okuma) ارتباطا وثيقا بالسياسة التى اتبعها لزيادة الانتاج والنهوض بالصناعة (Shokusan kogyo) ٠ وبعد عودة بعثة أوكورا Iwakura من الولايات المتحدة وأوربا عام ١٨٧٣ ، شغل اكوبو Okubo ـ الذى كان ضمن أعضاء البعثة ـ منصب رئيس الوزراء الفعلى ٠ وامتزج اسلوب اكوبو الادارى الذى يعتمد على الانفراد بالحكم بالسياسة الواقعية التى اتبعها اكوما Okuma ، فأعطى ذلك دفعة جديدة لسياسة زيادة الانتاج والنهوض بالصناعة (Shokusan Kogyo) ، التى عمل قطاع الصناعة على دعمها منذ عام ١٨٧٠ ٠ ولكن هذا لايعنى أن الدور الذى كانت تلعبه الحكومة للنهوض بالصناعة قد ازداد ٠ ولم يكن البرنامج الذى وضعه كل من اكوبو Okubo واكوما Okuma مجرد حلقة من سلسلة البرامج السابقة التى كانت تستهدف دعم من بيدهم مقاليد الحكم فى البلاد ٠ قد أقام الرجلان عدة مشروعات تخضع لاشراف الحكومة ، مثل مصانع النسيج والأسمنت والبلاط ، وأظهرا اهتماما شديدا بادخال الأساليب الغربية الجديدة للاتصال وتحسين هذه الأساليب ٠ ولكن تم تخفيض الأموال المخصصة لمد خطوط السكك الحديدية منذ عام ١٧٧٥ ، وهذا يعنى أن تلك المهمة تركت للقطاع الخاص للقيام بها ٠ وعلق اكوبو واكوما أهمية كبيرة على المشروعات الخاصة ٠ وبجانب قيام الحكومة باستثمار أموالها فى المصانع وأحواض بناء السفن ، فقد أقرضت الحكومة الأموال للشركات والأفراد المغامرين على أساس خاص وبصفة مؤقتة ٠ وكانت شركة متسوى Mitsui وشركة متسوبيشى Mitsubishi ضمن شركات أخرى اقترضت من الحكومة ٠

علق اكوبو واكوما أمالهما على الصناعة المحلية والتجارة والمصانع الكبرى مثل شركة متسوى Mitsui وشركة متسوبيشى Mitsubishi لتحقيق الأهداف التى رسماها ٠ وكان لديهما من الأسباب ما يحملهما على ذلك ٠ أولا : وكما رأينا ، فقد كانت الصناعات الريفية ، خاصة صناعة الحرير الذى يصدر للخارج ، تزدهر فى تلك الفترة بوجه خاص ٠ ثانيا : تزايد قلق الحكومة بشأن الميزان التجارى منذ عام ١٨٧٠ ٠ فرغم زيادة الصادرات ، الا أن الواردات ـ التى كانت تتمثل فى البضائع الاستهلاكية كالأقمشة القطنية والسكر والكيروسين ـ ازدادت بسرعة ٠ لذلك أرادت الحكومة التوسع فى الصناعات المحلية ،

ليس فقط لأن تلك المصانع كانت تنتج البضـــائع التصديرية ، بل لأن منتجات المصانع الريفية يمكن أن تحل محل الواردات .

قد يتساءل المرء قائلا : كيف حاول اكوبو واكوما دعم النمو الصناعى الريفى ؟ كان انشاء المصانع النموذجية مثل مصانع بكرات الحرير فى موباشى Maebashi وتوميـوكا Tomioka ، ومصـــانع غزل القطن فى ايتشى Aichi وهيروشيما Hiroshima ، أحد هذه الوسائل التى ساعدت على دعم النمو الصناعى الريفى ، ولكن لم يكن من المتوقع أن تأتى عملية انشاء المصانع بنتائج مباشرة .

فى هذه الناحية ، كانت ســياسة اكوما النقدية ذات وزن كبير . وكانت خطته لتوفير الأموال لدعم المشروعات المحلية بالاسـتعانة بشبكه البنوك الوطنية ، تستهدف زيادة الانتاج والنهوض بالصناعة . ويمكن الرجوع بهذه الفكرة للوراء حتى أواخر فترة حكم طوكوجاوا .

أجريت اصـــلاحات عديدة فى كثير من الاقطاعيات منذ فترة تمبو Tempo . ومن أشـــهر هذه الاصـــلاحات تلك التى أجريت فى الأربعينات من القرن التاسع عشر ، والتى أدت الى قيام الحملات المعادية للحكام العسكريين Shogunate ، ولكن هذه الاصلاحات ازدادت فى الحقبة التى سبقت فتح الموانىء . وكانت هذه الاصـــلاحات ذات دلالة خاصة ، اذ أن كثيرين من المصلحين قاموا باصلاحات تشبه هذه الاصلاحات التى قام بها قادة الميجى Meiji . وكانت الســياسة التى تضـعها الاقطاعيات تهدف الى تحقيق التماسك الاقتصادى (fukoku kyohei) ومن ثم جاءت ضرورة الاهتمام بزيادة الانتـــاج والنهوض بالصـــناعة . وشجعت حكومات الاقطاعيات المختلفـــة على انتاج المحاصـــيل النقدية والبضائع المصنعة وتصديرها لاوسكا Osaka والمراكز التجارية الأخرى. التجارية الأخرى . ولانجاز تلك المهمة ، كانت الاقطاعيات تصدر العملات النقدية hansatsu أحيانا ، وذلك لتوفير رأس المال للمنتجين الذين يقومون بانتاج بضائعهم التصديرية .

نجحت الاصلاحات التى أجريت فى اقطاعية فوكوى Fukui وفى عام ١٨٥٨ أخذ متسواكا هيتشيرو Mitskoka Hachiro زمام المبادرة وأصدر عملات نقدية (hansatsu) لشراء الحرير الخام والبضائع الأخرى ، ثم قام بارسالها الى ناجازاكى Nagasaki . وبذلك حصـــل على مبلغ قيمته ٥٠٠٠ر٥٠ ريو ryo للاقطاعية . وجدير بالملاحظة أن زعماء القرية والتجار الأثرياء قد شـــاركوا فى هذا المشروع . ورغم عدم توفر تفاصيل هذا المشروع ، الا أن قيـــام التجار

بتوفير العملات الورقيــة للقرية كان فاتحــة خير • وبفضل ذلك النجاح تولى متسوكا مسئولية توفير الأموال لحكومة الميجى Meiji حديثــة العهد • واعتمدت سياسته على اصدار أوراق حكومية تقدر بنحو ٥٠ مليون ريــو Ryo • ولكن هذه السياسة باءت بالفشل ، وحــل اكوما Okuma محله • ولكن أفكار اكوما المتعلقة بتوفير النقود عن طريق البنوك الوطنية لتمويل الصناعة المحليـــة لم تكن تختلف كثيرا عن أفكار يورى Yuri المتعلقة باصدار العملات الورقية • فقد كان الأخير يرى ضرورة اصدار عملات ورقية للنهوض بالصناعة (Kosan shihei)

لكن ماذا عن دور الحكومة المحلية ؟ ظلت الحــكومة المحليـــة تلعب دورها فى عملية صنع القرار حتى بعد أن الغت الحكومة نظام الاقطاعيات واستبدلته بنظام الولايات (haihan chicken) • لذلك فنحن نجد فى اقليمى تشيكوما Chikuma وشيراكاوا Shirakama المؤسسات التجارية و / أو المؤسسات المالية التى تشبه المؤسسات التى أسسها متسوكا Mitsuoka فى مقاطعة فوكوى Wukui التى كانت تتجر مع ولاية ناجازاكى Nagasaki .

أبدى كثيرون من محافظى الولايات اهتماما كبيرا بزيادة الانتـــاج والنهوض بالصـــناعة على المستوى المحلى • وأظهر ميشيما متشيتسون Mishima Michitsune محافظ ولايتى فيكيوشــــيما Fukushima وياماجـــاتا Yamagata مقـــــدرة غــير عــادية على تنفيذ مشروعات تعبيـــد الطرق • وظـــل فيجيمـــورا شـــيرو Fujimura Shiro يشغل منصب محافظ ولاية ياماناشى Yamanashi لمدة ١٤ عاما • وقد أطلق عليه لقب Doro kenrei ، أى المحافظ الذى يعبد الطرق • ولكنه أظهر اهتماما شديدا بالنهوض بالصناعة خلال فترة خدمته الطويلة التى بدأت من عام ١٨٧٣ • وتــراوحت الأعمـــال التى قام بها بين توزيع بذور التوت على الفلاحين فى المناطق التى لم تعـــرف تربية دودة القز من قبل ، وبناء مصانع بكرات الحرير ومصانع الصباغة فى الولاية ، والحصول على الأموال من الحكومة المركزية للانفـــاق على المشروعات الخاصة • ونحن لانستبعد أن يكون اكوبو Okubo ــ الذى شغل منصب وزير الشئون الداخلية ــ قد سمح للمحافظين المحليين بممارسة قدر كبير من الحرية فى تخطيط وتنفيذ المشروعات المتعددة على مستوى الولاية • ان نمط العلاقة بين الحكومات المركزية ، والمحلية يقترب من نمط العلاقة التى كانت قائمة فى ظل نظام باكوهان ، وهى علاقة تختلف عن العلاقة التى نعرفها اليوم •

لقد تعرضنا حتى الآن لجانبين من جوانب التواصل فى أواخر عهد طوكوجاوا Tokugama والتاريخ الاقتصادى فى أوائل فترة الميجى Meiji • ما هى الدلالات التى ينطوى عليها الحوار السابق ؟ وقد صـــاغ البروفســـير الراحـــل الكســندر جيرتشينكرون Alexander Gerschenkron مصطلح « التخلف الاقتصادى » من أجل دراسة الدول الصناعية المتأخرة • ولكن هل لحوارنا هذا علاقة بالتخلف الاقتصـادى لليابان فى منتصف القرن التاسع عشر ؟

مما لاشك فيه أن اليابان كانت متخلفة اقتصاديا آنذاك • وتوحى لنا تقديرات كوزنت Kuznet بأن اجمالى الناتج القومى للفرد اليابانى أثناء فترة الاستعادة كان منخفضا عن اجمالى الناتج القومى للفرد فى الدول الغربيـة • ووجدت اليابان ما يستحثها على النهوض قبـــل عصر النمو الاقتصادى ، مما يعنى أنها كانت تملك مقومات النمو الاقتصادى ، رغم انخفاض اجمالى الناتج القومى للفرد • ويقول جيرتشينكرون « ان رجال الصناعة كانوا يعانون من التوتر ، فرغم العقبات التى كانت تحول دون التطور الصـــناعى ، الا أن الأمل كان يحدوهم فى تحقيق ذلك التطور الصناعى » • ولاشك أن هذا النـوع من التوتـر كان سائدا فى اليابان فى فترة الاستعادة • ولكن من المؤكد أن هذا ما كان ليؤدى الى انجـــاح التطور الصناعى الحديث بالضرورة • فالتطور الصناعى كان يتطلب وقتا طويلا • مكن التطور الذى تحقق أثنـاء فترة الاســـتعادة ــ أى تطور الصناعات المحلية التى يمكن تتبع جذورها الى أزمنة ســـابقة ــ حكومة الميجى Meiji وأصـــحاب المشروعات التجارية من توفير الوقت الكافى للتطور الاقتصادى الحديث •

تتعلق النقطة الثانية بمدى اشراف الحكومة على التطور فى اليابان • وهناك رأى يقول بأن دور الحكومة كان لاغنى عنه ، بينما ذهب رأى آخر الى ضرورة اشتراك العناصر الخاصة فى عملية التنمية الفعلية • ولكن ســـواء قامت الحكومة أو قام القطاع الخاص بتنفيذ مشروع ما ، فهذا أمر لايهم فى شىء • فعلى سبيل المثال ، عندما قام فوكوى Fukui بتأسيس هيئة تجارية حكومية ، فانه ترك أمر ادارتها للتجار • وعندما قام أحد رجال الأعمال بولاية يماناشى Yamanashi بوضع خطة طموحة لاقامة مشروع تجارى ، سعى ذلك الرجل الى الحصول على قرض من الحكومة المركزية ، وتوســل الى أحـــد المحافظين المحليين من أجل تحقيق ذلك •

واخيرا ، ربما كانت المركزية اللا مركزية هى القضية الحقيقية ٠ وكان نظام gunken ينطوى على المركزية من الناحية النظرية ، ولكن من الناحية العملية ، لم يقم قادة الحكومة ـ وربما لم يستطيعوا ـ وضع ذلك النظام موضع التنفيذ فى السبعينات من القرن التاسع عشر ٠ وبعد التحول من النظام اللا مركزى الى النظام المركزى (haihan chiken) أدرك أولئك القادة ضرورة التوازن ـ فى المجالات الاقتصادية على الأقل ـ بين المبدأ المعلن وميراث الماضى ٠ وبعد الانكماش الاقتصادى الذى تم على يد ماتسوكاتا Matsukata ، لم يعد للنظـام اللا مركزى أى تأثير ، وتغلغلت الرقابة البيروقراطية التى مارستها الحكومة المركزية داخـــل الادارات المحليــة ٠ ومن ثم ينبغى التأكيــد على عنصر «عدم التواصل» ٠

الاستعادة وتاريخ التكنولوجيا

بقلم
يوشيدا متسيكيونى Yoshida Mitsukuni
جامعة طوكيو
طوكيو ـ اليابان

عندما يتزايد الاتصال بين الثقافات المختلفة ، فالترجمة هى السبيل الأول التى تستعين به هذه الثقافات لزيادة التفاهم فيما بينها • ويصدق هذا القول على القرن الثانى عشر ، حينما شجعت أوربا نقل المعارف العلمية من العالم الاسلامى ، ويفسر لنا أهمية نشر كتاب Kaitai shinsho (الكتاب الجديد فى التشريح) على يد سوجيتا جنباكا Sugita Genpaka ومانيو ريوتاكو Maeno Ryotaku وكانت هذه المحاولة هى الأولى من نوعها لجعل التكنولوجيا والعلوم الغربية فى متناول اليابانيين بوجه عام • وكان ذلك الكتاب هو النسخة الهولندية لكتاب ألمانى عن التشريح قام بتأليفه جون آدم كولموس Johann Adam Kulmus وجد اليابانيون أن وصف كولموس لجسم الانسان يختلف عما جاء فى العلوم الطبية الصينية التقليدية ، كما أدركوا أن التشريح الغربى أكثر دقة • ومنذ لحظة ظهور الكتاب ، ساد اعتقاد راسخ بأن العلوم الغربية تفوق العلوم الصينية فى قدرتها على تفسير العالم الخارجى • فالعلوم الصينية كانت ترتكز على المذهب الكونفوشى ، كما كانت هى المادة التى يستقى منها اليابانيون معارفهم آنذاك • وبدأ كثيرون منهم يدرسون اللغة الهولندية ، وظهرت سلسلة كاملة من ترجمات المؤلفات الهولندية فى مختلف المجالات • ويتضح ذلك من خلال الأرقام الواردة فى الشكل (١) •

الموضوع	١٧٢٠ ــ ٩٩	١٨٠٠ ــ ٣٩	١٨٤٠ ــ ٥٥	١٨٥٦ ــ ٦٠	١٨٦١ ــ ٦٧	المجموع
أحوال البلدان الأخرى	١٤	١٨	١١	٤	٤	٥١
الشئون العسكرية	٨	١١	٣٩	١٩	٢٦	١٠٣
الفلك	٨	١٥	٢	١	١	٢٧
التاريخ الطبيعى	٦	٧	٢	١	١	١٧
الطب	١١	٤٧	٢٠	٢١	٩	١٠٨
الجغرافيا والمسح الطبوغرافى	٦	١٢	١٣	٢	٢	٣٥
الرياضيات والطبيعة		١٣	٧	٣	٦	٢٩
الكيمياء		١٦	١	٠	٢	١٩
السياسة والاقتصاد	٦	٤	٣	٥	٦	٢٤
اللغة	٨	٢٠	١٠	٩	٧	٥٤

يوضح الشكل (١) عدد المؤلفات الغربية التى ترجمت الى اللغة اليابانية من ١٧٢٠ الى ١٨٦٧ ٠

وأثبت الطب وعلم الأدوية الغربيان فاعليتهما فى علاج الأمراض ، فحلا محل الطب التقليدى ، وترجمت مؤلفات عديدة فى مجالات الطب ، وجاءت ترجمة العلوم العسكرية فى المرتبة الثانية بعد علوم الطب ٠ وكان التأكيد على الجانب النفعى للعلوم الطبية والعسكرية أحد سمات التكنولوجيا فى فترة باكوماتسو Bakumatsu ٠

لماذا اهتم اليابانيون اهتماما شديدا بالعلوم العسكرية ؟ يرجع السبب فى ذلك الى تأثر اليابانيين بالقوة العسكرية الغربية ــ تلك القوة العسكرية التى أدرك اليابانيون مدى تفوقها بعد هزيمة الصين فى حرب الأفيون فيما بين عامى ١٨٤٠ ــ ١٨٤٢ ، وبعد وصول اسطول الكومودور Commodore الأمريكى الى شواطىء اليابان عام ١٨٥٣ ٠ وجاء بناء الصين للسفن الحربية كرد فعل لهزيمتها فى حرب الأفيون ٠

وأدركت الصين أن سبب هزيمتها في الحرب انما يرجع الى افتقارها الى السفن البخارية المزودة بالمدافع ، وأنها لن تقوى على الصمود أمام الغرب الا اذا كان لديها سفن حربية تعمل بالبخار . لذا لم تضع وقتا فى بناء حوض للسفن فى فتشو Foochow بجنوب الصين . واستقدمت المهندسين الغربيين للمساعدة فى بناء السفن . وفى أواسط الصين افتتح مكتب تشينجنان Chiangnan للاشراف على تصنيع أنواع متعددة من الأسلحة والمعدات . وبدأت حركة منظمة لترجمة المؤلفات الغربية فى مجالات العلوم والتكنولوجيا .

لم يختلف رد فعل اليابان عن الصين . فبعد حرب الأفيون ، أدرك اليابانيون مدى تفوق الغرب فى مجال تكنولوجيا بناء السفن وصنع المدافع ، ولم تقم حكومة باكوفو Bakufu وحدها بصناعة المدافع ذات الطابع الغربى ، بل ان اقطاعيات كثيرة هى التى أسرعت بذلك . ورغم أن المدافع التى صنعت آنذاك كانت مدافع برونزية ذات طابع عتيق ، فقد تم وضع خطة لصنع مدافع حديدية حديثة فيما بعد فى مقاطعات ساجا Saga وساتسوما Satsuma وميتو Mito ونيراياما Nirayama التى كانت جزءا من أراضى الحاكم العسكرى Shogun . واعتمدت جميع تلك المشروعات على كتاب قام اولريتش هيوجنن Ulrich Huguenin — الهولندى — بترجمته عن الهولندية . وتناول ذلك الكتاب طرق صناعة المدافع ، واحتوى على رسومات وشروح مفصلة لعملية بناء وتشغيل الأفران العالية والأفران العاكسة . واستعانت الاقطاعيات بترجمات متعددة من ذلك الكتاب فى محاولة لبناء الأفران العاكسة وصناعة المدافع .

وانتهت اقطاعية ساجا Saga من بناء أول فرن عاكس عام ١٨٥٠ ، ثم قامت ببناء فرنين آخرين فى العامين التاليين ، وجلبت رمل الحديد من اوامى Iwami (ولاية توترى Tottori الحالية) ، واستخدمت الفحم النباتى كوقود . ولكن اعتماد صناعة المدفع على مجرد نظرية مكتوبة فى كتاب كان أمرا بالغ الصعوبة . ولم يتم بناء أول مدفع صالح للاستخدام الا بعد عام ونصف .

عقب وصول الكومودور بيرى Commodore Perry الى شواطىء اليابان ، قررت حكومة باكوفو Bakufu تقوية دفاعاتها الساحلية وطلبت خمسين مدفعا من اقطاعية ساجا Saga . وبحلول عام ١٨٥٥ ، كانت قد انتهت من صنع المدافع المطلوبة . وأخذت المدافع التى تعبأ من الخلف تحل محل المدافع العتيقة التى كانت تعبأ من الأمام ١٨٦٤ . وفى

الفترة من عام ١٨٤٣ حتى عام ١٨٦٧ ، كانت اليابان قد أنتجت ٣٤٦ مدفعا وفقا للطراز الغربى ، ولكن ٨٠ مدفعا منها فقط كان مصنوعا من الحديد ، أما الباقى فكان مصنوعا من البرونز ٠

وقامت اقطاعية ساتسوما Satsuma ببناء فرن عاكس عام ١٨٥٣ ، ولكن تلك المحاولة الأولى قد باءت بالفشل ٠ فقامت ببناء فرن ثان عام ١٨٥٦ وفرن ثالث عام ١٨٥٧ ٠ وكانت صناعة المدافع فى ساتسوما صناعة ناجحة ، ولكن معظم انتاجها كان مقصورا على صناعة المدافع البرونزية ، كما هو الحال فى ساجا Saga ٠ وفى اقطاعية ميتو Mito ، قام اوشيما تاكاتو Oshima Takato وآخرون ببناء الفرن العاكس عام ١٨٥٥ ، واستخدم الفحم كوقود ٠ ولضمان توافر الحديد الخام ، قام اوشيما بحفر منجم للحديد فى كامايشى Kamaishi

اعتمد أورشيما على طرق استغلال الحديد الواردة بكتاب هوجنن Huguenin عندما قام بتطوير منجم الحديد فى كامايشى ٠ وكان ذلك يعنى استخدام فرنا عاليا ، أى الاستعانة بطريقة تختلف اختلافا كليا عن طريقة تاتارا Tatara التى كانت اليابان تستخدمها من قبل ٠ وفى عام ١٨٥٧ ، قام أوشيما ببناء فرن حرارى له قاعدة جرانيتية ، واستخدم الفحم النباتى فى صناعة الحديد ٠ وكان ذلك الفرن الحرارى نموذجا مصغرا يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار ٠ وكان يتم التحكم فى تيار الهواء عن طريق منفاخ كبير يدار بواسطة ساقية ٠ وكان كل فرن صغير من ذلك الطراز يحقق ناتجا سنويا يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ طن من الحديد الزهر ٠

فى منطقة نيرایاما Nirayama الواقعة فى شبه جزيرة ايزو Izu ، قام ايجاوا هيدتاتسو Egwa Hidetatsu (١٨٠١ ــ ١٨٥٥) ببناء فرن عاكس عام ١٨٥٥ ، ولكن مسبك الفرن لم ينجح فى صنع المدفع الا بعد أن استقدم هيدتاتسو بعض المهندسين ذوى الخبرة من ساجا Saga ، وقام بانتاج بعض المدافع ، ولكن عددا قليلا منها فقط كان صالحا للاستخدام ٠ وفى عام ١٨٦٤ ، قامت حكومة باكوفو Bakufu باغلاق ذلك الفرن العاكس وركزت جهودها على صناعة الأسلحة ، فاقامت مسبكا لصنع المدافع فى ايدو Edo

جاءت السفن البخارية فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد المدافع ٠ وقد أمر شيموزا ناریاکیرا Shimazu Nariakira (١٨٠٦ ــ ١٨٥٨) ، سيد اقطاعية ساتسوما ، بترجمة كتيب عن محركات السفن البخارية ، وأجريت محاولة لبناء سفينة بخارية بالاستعانة بذلك الكتيب ٠ وجاء فى مقدمة الكتيب أن الدول الغربية تجوب شتى بقاع

العالم بحرية تامة لأنها نملك المدافع والسفن • وكانت اليابان قد تعلمت صناعة المدافع بالفعل ، وبقى أن تتعلم الأساليب الغربية فى بناء السفن • واستخدم ذلك الكتيب في استكمال بناء السفينة Unkomaru وجرى اختبارها فى ميناء ايدو Edo ، ولكن ثبت عدم صلاحيتها للعمل • وبذل شيموزا نارياكيرا جهودا مكثفة للنهوض بصناعات أخرى ، كصناعة الزجاج • ووصلت صناعة الزجاج ذروتها على يد ذلك الرجل • كما قام ذلك الرجل بتشغيل عشرة أفران يعمل عليها مائة رجل • كما قام بتشغيل مصانع الغزل والنسيج مستعينا بالمعداتِ التى تدار بقوة المياه • وقام كذلك بافتتاح ورش السيراميك والخزف والجلود والبويات• وانشئت معظم تلك الورش على شاطىء ايزو Iso باقطاعيه كاجوشيما Kagoshima وكان هناك نحو ١٢٠٠ رجل يعملون فى تلك الورش • وقد انبهر الطبيب الهولندى بومب فان ميردار فونت Pompe Van Meerdervoont (١٨٢٩ ــ ١٩٠٨) حينما رأى ما حققته الصناعة من ازدهار أثناء زيارته لليابان • وكان لدى شيموزا اعتقادا راسخا بأن العلم والفيزياء هما أساس الاقتصاد ، وسعى للنهوض باقتصاد الاقطاعية بادخال التكنولوجيا والعلوم ذات الطابع الغربى •

جلب نابشيما ناوماسا Nabeshima Naomasa (١٨١٤ ــ ١٨٧١)، سيد اقطاعية ساجا Saga سفنا غربية الطابع ، ووضع خطة لبناء مصنع لاصلاح السفن • وفى عام ١٨٥٧ ، أرسل فى طلب الآلات والمعدات من هولندا • ووصلت المعدات الى ساجا Saga فى العام التالى ، ولكن الظروف المالية الصعبة التى عانت منها اقطاعية ساجا حالت دون بناء المصنع • وقدم نابشيما المعدات لحكومة باكوفو ، ولكنها لم تستخدمها • وكان على تلك المعدات أن تنتظر تشكيل حكومة الميجى Meiji الجديدة حتى يمكن تشغيلها • وافتتح نابشيما مكتبا لاستخراج المعادن ، وأجرى أبحاثا على السفن البخاريه والقاطرات البخارية وصمم نماذج للمحركات•

وتبين لنا هذه الأمثلة أن سادة الاقطاعيات قد أخذوا زمام المبادرة ، فادخلوا التكنولوجيا عندهم • وبدأ أولئك السادة مسيرة البناء انطلاقا من المبدأ القائل بأنه ينبغى لليابان أن تمتلك القدرات العسكرية • وكان السبيل الوحيد لامتلاك هذه القدرات العسكرية يتمثل فى الحصول على السفن البخارية والأسلحة التى تمكن اليابان من صد أى هجوم عسكرى من جانب القوى الغربية • وقام أولئك السادة بتنفيذ معظم المشروعات دون الأخذ فى الاعتبار الحالة المالية للاقطاعية ، مما عرض الحكومات المحلية لمتاعب مالية جسيمة • وكانت وفاة سيد الاقطاعية أو وقوع بعض

الاضطرابات السياسية يؤثر على خطة التنمية ، ويجعلها تسير فى اتجاه جديد .

زادت معدلات التضخم فى أواخر سنوات حكومة باكوفو Bakufu وارتفعت أسعار المصادر المحلية . وكان ذلك يعنى أن تكاليف التنمية الذاتية ستستمر فى الارتفاع . وكان انتاج المدفع المصنع محليا الذى يبلغ وزنه مائة رطل ، يكلف اقطاعية ساتسوما حوالى ٥٠٠ ريو Ryo أى أن تكلفته كانت تزيد على تكلفة مدفع مستورد من الولايات المتحدة . هذا فضلا عن أن معدل الانتاج كان بطيئا ، فقد ذكر أحد التقارير أن الوقت اللازم لانتاج العدد المطلوب من المدافع سيتراوح بين ثمان أو تسع سنوات .

كان التغيير السياسى يتم بخطى سريعة داخل وخارج البلاد أثناء فترة حكم باكوماتسو Bakumatsu . وبذلت الحكومة جهودا مكثفة لمسايرة ذلك التغيير . وفى النهاية تخلت حكومات الاقطاعيات عن سياسة التنمية التدريجية والاكتفاء الذاتى ، وبدأت تستورد الأسلحة والسفن البخارية . وقد استغل كثيرون من التجار شغف الاقطاعيات فى الحصول على الأسلحة والسفن البخارية ، فباعوا لليابان أسلحة نارية عتيقة وسفنا قديمة من أوربا والولايات المتحدة . ومع ذلك فقد ظلت الحكومات المحلية والمركزية تسعى للحصول على أحدث أنواع الأسلحة ، فقد أدرك اليابانيون أن الغلبة فى ميدان القتال انما تتحقق فقط لمن يمتلك السلاح المتطور . واستوردت اليابان حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ قطعة سلاح من الغرب .

وكما ركزت الاقطاعيات جهودها للنهوض بالصناعة وصناعة الأسلحة ، احتضنت حكومة باكوفو Bakufu صناعة الأسلحة ذات الطابع الغربى ، فأنشئت ستة مصانع لانتاج السلاح . واستولت حكومة الميجى Meiji الجديدة على تلك المصانع . وتلك المصانع هى مصنع سيكيجوتشى Sekiguchi لانتاج المدافع (أطلق عليه اسم ترسانة طوكيو فيما بعد) ، وحوض سفن اشيكاوا جيما Ishikawajima (وخضع للقطاع الخاص فيما بعد) ، ومصنع يوكوسوكا Yokosuka (ترسانة يوكوسوكا البحرية) ، ومصنع حديد ناجازاكى (حوض سفن ناجازاكى ومتسوبيشى) ، وترسانة اكابين Akabane البحرية ، وكانت تضم معدات اصلاح السفن التى قدمتها اقطاعية ساجا Saga لحكومة باكوفو Bakufu ، ومصنع ايتاباشى Itabashi لصناعة البارود .

كان مصنع ناجازاكى ومصنع يوكوسوكا أكبر هذه المصانع . وقد أنشأت الحكومة هذين المصنعين لبنـــاء السفن ، واستقدمت الحكومة المهندسين الأجانب لبناء السفن والاشراف على تشغيلها . وقامت حكومة باكوفو باستيراد كافة الآلات والمعدات التى استخدمت فى بناء السفن . وسارت حكومة الميجى Meiji على نفس الدرب الذى ســارت عليه حكومة باكوفو Bakufu السابقة ، فجلبت المهندسين الغربيين من الدول المتقدمة ، كما قامت باستيراد المعدات التى تحتاجها المصـــانع من تلك الدول . وساعدت هذه الخطوة التى اتخذتها الحكومة على توطيد أسس الصناعة الحديثة والتكنولوجيا فى اليابان .

وساعدت هولندا فى بناء مصنع حديد ناجازاكى . وقررت حكومة باكوفو Bakufu بناء اســطول على الطراز الغــربى ، بعد أن اضطرت الى توقيع اتفاقيـــة مع الكومودور بيرى ، افتتحت بمقتضـاها الموانىء اليابانية . وأيدت هولندا فتح الموانىء ، وعرضت على الحكومة تقديم أية مساعدة تحتاجها لبناء الأسطول ، اذ أنها كانت تسعى للحصول من الحكومة على امتيازات لم تحصل عليها الولايات المتحدة أو الدول الأخرى من قبل ، كما كانت تسعى الى اقامة علاقات وطيـــدة مع اليابان . فى عام ١٨٥٥ ، استكملت المفاوضات بشأن بنـــاء الأسطول ، وافتتحت مدرسة للتدريب البحرى فى ناجازاكى . ووصل أول فريق تدريب من الجيش الهولندى ، وقدمت هولندا لليابان سفينة Soembing التى بلغ قوة محركها ١٥٠ حصانا . وفى نفس الوقت وضعت الحكومة خطة لبناء حوض لاصلاح السفن الحربية ، وأرسلت فى طلب المعدات اللازمة من هولندا . وفى عام ١٨٥٧ ، وصلت المعدات اللازمة الى ميناء ناجازاكى . كما وصل فريق ثان للتدريب البحـرى . وقام كل من ريـدر هويجنن فان كاتنديجيك Ridder Huijssen Van Kattendijke ، قائد الفريق ، و هـ . هاردز H. Hardes ، المهندس المشرف ، باختيـــار موقع المصنع . وشرعت الحكومة فى بناء المصنع تحت توجيه هاردز . واستكمل بناء مصنع سبك المعادن عام ١٨٦١ ، وكان المصنع يتكون من ثلاثة أقسام ، وهى قسم طرق المعادن وقسم البناء وقسم صهر المعادن . وكانت معدات المصنع تشمل آلة بخارية قوتهـــا ٢٩ حصانا ومخرطة ميكانيكية قوتها ١٨ حصـــانا ومطرقة بخـــارية . وكلفت تلك المعدات حكومة باكوفو Bakufu مبلغا ضخما قيمته ٥٨٫٠٠٠ ريو Ryo وحتى بعد رحيـــل فريق التدريب ، بقى هادرز مع عشرة آخرين لاسداء النصح فى المسائل الفنية . وقد اثنى كل من سير روثر فورد الكوك Sir Rutherford Alock أول وزير بريطانى لدى اليابان ، و ف . أف . ارمينجون Arminjon.

المبعوث الايطالى ، على حوض السفن المجهز تجهيزا جيدا ، وعلى الانجازات التى حققها هاردز • وكان الكوك يعتقد أن الهولنديين سوف يصابون فى يوم ما من انفجار لغم من صنع أيديهم •

فى عام ١٨٦٣ ، استأجرت حكومة باكوفو Bakufu ١٤ مهندسا هولنديا ، وشرعت فى بناء حوض للسفن حتى تتمكن من صنع سفن حربية تسير بقوة البخار • وبذلك اضطرت مرة أخرى الى استيراد معدات من الخارج • وواصلت حكومة ميجى Meiji تنفيذ ذلك المشروع ، ولكنها لم تنته من بناء حوض السفن الا فى عام ١٨٧٩ •

فى شرق اليابان شرعت الحكومة فى بناء حوض سفن يوكوسوكا Yokosuka ، ووضعت خطة للحصول على المساعدة من الحكومة الفرنسية • وشجعت فرنسا اليابان على بناء حوض للسفن بالقرب من ايدو Edo ، وأرسلت فريقا من العسكريين لتدريب جيش حكومة باكوفو Bakufu على الأساليب الغربية • كما أرسلت مهندسا يدعى فرنسوا ليونس فبرنى Francois Léonce Verny عام ١٨٦٥ • وقام ذلك الرجل بوضع خطة بمجرد وصوله لليابان ، اقترح فيها بناء مصنع فى مدينة يوكوهاما Yokohama لاصلاح السفن والتدريب وتوفير الخبرة فى مجال العمل ، كما اقترح انشاء مصنع كبير لصهر المعادن وبناء حوض للسفن • ووقع اختياره على حوض سفن ميناء طولون بفرنسا ليكون المثال الذى تحتذيه اليابان • وعاد الى فرنسا لقضاء بعض الوقت بها ، ثم عاد الى اليابان عام ١٨٦٦ ومعه المعدات وبرفقته المهندسون اللازمون ، وشرع فى تنفيذ المشروع فى الحال • وأعدت الأرض لبناء أول حوض للسفن فى عام ١٨٦٧ • وبعد المصادمات التى صاحبت فترة حكم الاستعادة Restoration ، آلت ملكية مصنع صهر المعادن لحكومة الميجى Meiji الجديدة عام ١٨٧١ • واستمر البناء طوال الفترة التى ظلت فيها حكومة الميجى Meiji تسيطر على مقاليد الحكم فى البلاد • واستكمل بناء أول حوض للسفن فى ذلك العام • وكان هناك ٣٥ مهندسا فرنسيا يعملون فى ذلك المشروع • ولم يقتصر دور حوض السفن على صناعة السفن فقط ، بل كانت تتم فيه صناعة المنارات الحديثة ومعدات المناجم • وغادر فيرنى اليابان عام ١٨٧٦ •

لم تتقبل حكومة باكوفو bakufan مساعدات هولندا وفرنسا فحسب ، وانما كانت تتلهف للحصول على المعلومات المتعلقة بأحوال العالم الخارجى • ففى عام ١٨٦٠ ، أرسلت بعثة دراسية تتكون من

٧٧ طالبا للدراسة فى الولايات المتحدة • وقام أولئك الطلاب بتسجيل ملاحظاتهم عن الحضارة الأمريكية • فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تقع فيها عيونهم على حضارة تختلف اختلافا كليا عن حضارتهم • ثم أرسلت حكومة باكوفو Bakufu بعثة دراسية أخرى تتكون من ٣٦ رجلا لأوروبا فى عام ١٨٦٢ بغرض اجراء مباحثات دبلوماسية ، ومعاينة المؤسسات والحضارة الغربية • وأعد أفراد البعثة تقريرا عن أحوال المؤسسة والصناعة والأسلحة •• الخ فى الدول التى زاروها • كما كان أفراد البعثة يتطلعون الى تعلم الأنظمة العسكرية وصناعة الأسلحة فى الغرب ، وكتبوا ملاحظات مفصلة عن نظم الانتاج والمعدات الموجودة بترسانة وولويتش Woolwich وترسانة اينفيلد Enfield فى انجلترا، حيث كان يصنع مدفع ارمسترنج Armstrong

وأثناء ذهاب أفراد البعثة الى أوربا وعودتهم منها ، كانوا يمرون بالمراكز التى أنشأها الاستعمار ، مما جعلهم يقفون على حقيقة التوسع الغربى فى آسيا • فبدءوا يشعرون بالحذر ، وأصبحوا أكثر ادراكا لما ينبغى أن تقوم به اليابان حتى تظل دولة مستقلة • وما تزال اليابان تحتفظ بالكثير من الملاحظات اليومية التى دونها أفراد البعثة ، وتضمنت هذه الملاحظات وصفهم لطبيعة التوسع الغربى فى الشرق وصراع القوة بين الدول الغربية لفرض هيمنتها • وقد رأى أفراد البعثة أن القوة العسكرية والدبلوماسية الناجحة تعد من العوامل التى تساعد على كسب المعركة •

فى عام ١٨٦٤ ، أرسلت اليابان مبعوثا لفرنسا ، وتلته بعثة دبلوماسية عام ١٨٦٥ للتفاوض بشأن المسائل المتعلقة باقامة مصنع حديد يوكوسوكا الذى سبق الاشارة اليه • وأرسلت حكومة باكوفو Bakufu مجموعة ضخمة من منتجاتها لتعرض فى المعرض الدولى الذى أقامته باريس عام ١٨٦٧ • فكانت منتجاتها تشمل المنتجات الزراعية والمنسوجات والمنتجات المدبوغة والدهانات والسيراميك والورق والكتب • وكانت اليابان تهدف من وراء عرض منتجاتها الى فتح طرق تجارية جديدة ، كما كانت ترمى الى عرض منتجاتها التقليدية • وعادت هذه الخطة بالنفع على اليابان ، اذ أنها جعلت الغرب يتنبه لوجود اليابان • والتزمت حكومة الميجى Meiji بنفس الخطة حينما اشتركت اليابان فى المعرض الدولى بفينا عام ١٨٧٣ ومعرض فيلادلفيا المئوى عام ١٨٧٦ ومعارض أخرى • ولم يكد يطرأ أى تغير يذكر على الأفراد الذين كانوا يشرفون على تنظيم المعارض •

فى القرن التاسع عشر ، كانت المعارض الدولية بمثابة غرف عرض تعرض فيها الدول المشتركة بضائعها • وافتتح نابليون الثالث معرض باريس بكلمة قال فيها « ان هذا المعرض فرصة للتنافس بين شعوب العالم فى مجال الخبرة والصناعة ، كما كان الاغريق يتنافسون فى المباريات الأولمبية لاظهار القوة الجسدية » •

وكان معرض باريس الذى أقيم عام ١٨٦٧ يتكون من سبعة أجنحة بيضاوية الشكل • وفى الجناح الخارجى عرضت المنتجات المرتبطه بالصناعة التى تعتمد على الآلة • وخصص الجناح الأوسط لعرض الفنون • وكانت معظم الآلات المعروضة تدار بالبخار ، حتى بلغت قوة هذه الآلات ١٠٠٠ر١ حصان ، فكان ذلك ايذانا بحلول عصر قوة البخار • وكان المعرض يضم كثيرا من الآلات التى تعمل بالكهرباء كالتلغراف والفنارات الكهربية ، فكان ذلك ايذانا باقتراب حلول عصر الطاقة الكهربية • وعرضت المانيا ــ تلك الدولة الناشئة ــ الكثير من المعدات العسكرية التى كانت تضم المدفع الضخم الذى قامت شركة كروب Krupp بصناعته ، وبلغ وزنه ٥٠ طنا ، فأثار دهشة كل من رآه •

تنافست الدول الغربية فيما بينها تنافسا شديدا لتحقيق أهداف التصنيع ، فترك ذلك أثرا عميقا لدى أفراد البعثة اليابانية • وقد ارتبك شيبوساوا ايتشى Shibusawa Euchi (١٨٤٠ ــ ١٩٣١) ــ الذى أصبح فيما بعد أحد رواد عالم التجارة فى اليابان ــ لكثرة الآلات التى رآها فى المعرض • وكتب يقول ان المعرض قد نقله الى عالم الأحلام ، ولكنه أبدى اهتماما خاصا بآلات الغزل والمعدات الزراعية والأجهزة العلمية التى عرضتها الولايات المتحدة وانجلترا • واذا كان الوفد اليابانى قد أصيب بالدهشة لما رآه من معروضات الدول الغربية ، فقد شعر بالارتياح عندما أثنت الصحافة المحلية فى الغرب على حسن تنظيم المعرض اليابانى ، فوصفته بانه كان أفضل معارض دول آسيا اعدادا وتنظيما • كما امتدحت جمال الفنون وروعة المنتجات اليدوية • وعرفت أوربا أن اليابان تشترى الكثير من السفن البخارية ، وأنها تبذل الكثير من الجهد لادخال المخترعات الغربية • وقامت بعثة أخرى بزيارة انجلترا ، وكان شيبو ساوا Shibusawa ضمن أفرادها • وزار أفراد البعثة ترسانة وولويتش Woolwich وجريدة التايمز وبنك انجلترا والقصر البلورى ومراكز تدريب الجيش •

وواصلت حكومة الميجى Meij سياسة حكومة باكوفو Bakufu السابقة ، فأرسلت البعثات للخارج لدراسة ومراقبة أحوال الدول المتقدمة

وجمع المعلومات . وتعد البعثة التى أرسلتها اليابان الى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا عام ١٨٧١ بقيادة اواكورا تومومى Iwakura Tomomi (١٨٢٥ – ١٨٨٣) خير مثال على ذلك . وكانت تلك البعثة كبيرة العدد ، فقد كانت تتألف من حوالى ٥٠ فردا ، وكان قادتها من الشخصيات البارزة فى الحكومة الجديدة ، أمثال اواكورا ، وكيدو تاكيوشى ، واكوبوتوشيمتشى ، وايتوهيروبومى . وكان من بين هذه الشخصيات من اتيحت له فرصة زيارة الدول الغربية فى الفترة التى سبقت حكم الاستعادة Restoration . وكان متوسط عمر أفراد البعثة ثلاثين عاما ، لذا فقد كانوا ينتمون لجيل يسهل عليه تقبل الثقافات الأخرى . ورافقت بعثة اواكورا Iwakura مجموعة من الطلاب بلغ عددهم ٥٩ طالبا ، توجهوا الى مناطق متفرقة من الولايات المتحدة وأوربا . وطبقا للتقديرات ، فقد بلغ عدد اليابانيين بالخارج نحو ٥٠٠ يابانى ، اتيحت لهم فرصة معاينة الحضارة الغربية عن كثب .

وكان معظم المسئولين الذين تولوا مسئولية الشئون العملية فى بعثة اواكورا Iwakura من البيروقراطيين الذين عملوا فى حكومة باكوفو Bakufu السابقة . وكانوا ينتمون لخبراء التنظيم الصناعى الجدد الذين ظهروا فى السنوات الأخيرة لحكم طوكوجاوا Tokugawa . وفى عام ١٨٥٥ ، أقامت حكومة باكوفو معهد بانشو شيرابيشو Bansho Shirabesho لترجمة ودراسة وتدريس اللغات الغربية والعلوم . وعمل الأشخاص القادرون من مختلف الاقطاعيات بالتدريس فى ذلك المعهد . وأظهر أولئك الرجال قدرة فائقة فى مجال اللغات ، وكونوا البيروقراطية الجديدة فى حكومة باكوفو Bakufu وترفعت تلك البيروقراطية الجديدة عن الاهتمام بالمصالح الضيقة للاقطاعيات القديمة . وفى عام ١٨٦٢ ، اتخذ معهد بانشو شيرا بيشو اسما جديدا له هو اسم يوشو شيرابيشو Yosho Shirabesho وتساوى فى المرتبة مع معهد شوهيكو Shokeiko للتعاليم الكونفوشية . ولم تجر الأبحاث باللغة الهولندية فحسب ، بل أجريت باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية . وبدأت دراسة الكيمياء والرسم والعلوم الطبيعية والرياضيات بالبلاد . ونظرا لأن أولئك الرجال لم يرتبطوا بروابط الولاء لحكومة باكوفو Bakufu ، فقد تمتعوا بمكانة عالية بين أفراد الطبقة البيروقراطية ، وذلك بفضل معرفتهم بأحوال الغرب . كما كانوا خبراء محايدين فى التنظيم الصناعى ، وكان يتم الحكم على قدراتهم على أساس الكفاءة وحدها .

قام أعضاء معهد يوشو شيرابيشو بترجمة خلاصة التعليقات التى

كانت توردها الصحف الأجنبية ، وقدموها لكبـــار المسئولين فى حكومة باكوفو Bakufu · وبذلك أصبح أولئك المسئولون على دراية بكـــافة أنواع النقد التى كانت الدول الأخرى تكيله للحكومة اليابانية · كما كانوا فى وضع يؤهلهم لانتقاد الجهاز الحكومى الذى يعملون فيه فى كثير من الأحيـــان ·

اللغة هى احدى مهارات الانسان · وكما ارتفع مقام البيروقراطين بفضل مهاراتهم اللغوية ، وكانوا محايدين ، فقد ارتفع مقام مهندســـو الانتاج التكنولوجى ، فأصبحوا من ذوى الخبرة فى مجال التنظيم الصناعى · فعلى سبيل المثال ، نجد أن اوشيما تاكاتو Oshima Takato كان أحد رجال الساموراى باقطاعية نانبو Nanbu ، وقام ببناء أول فرن عاكس فى اقطاعية ميتو Mita كما قام بتطوير منجـــم حديد كامايشى Kamaishi · وكان هناك كثيرون من الرواد فى مجالات التكنولوجيا · وتخطت جهود أولئك الرواد المصالح الضيقة لمقاطعاتهم · وكان تاكيدا اياسبورو Takeda Ayasaburo (١٨٢٧ ـ ١٨٨٠) أحد أولئك الرواد ، وكان من موظفى حكومة باكوفو Bakufu ، ونال تقدير الحكومة باعتباره خبيرا فى مجال التكنولوجيا العسكرية · ولعب دورا فى فتح موانىء اليابان · وعاد بعد فترة الى ايدو Edo حيث لعب دورا رئيسيا فى تصنيع السلاح بمصنع سيكيجوتشى Sekiguchi للمدافع ، وفى الترسانات الأخرى · وحرص على عدم الاشتراك فى الصراع القائم بين حـــكومة باكوفو والقوات المعـــادية للحكام العســـكريين Shogunate · فقد كان يعتقد اعتقادا راسخا بأن مهمته يجب أن تقتصر على صنع السلاح فقط ، ولا يجب أن تمتـد الى الحرب فى ميدان القتال · لذا فقد تعرض لكثير من النقد من جانب المؤيدين لحكومة باكوفو Bakufu ، ولكنه تمسك بموقفه المحايد كأحد الخبراء فى مجال التنظيم الصناعى · وتحول الى العمل تحت لواء حكومة الميجى Meiji الجديدة فيما بعد ·

وكانت شخصية انيوموتو تاكياكى Enomoto Takeaki شخصية مختلفة تماما (١٨٣٦ ـ ١٩٠٦) ، وان كان من خبراء التنظيم الصناعى · وولد انيوموتو فى أسرة تنتمى الى طبقة الساموراى الدنيا ، ولكنه ارتفع الى صفوف الطبقة البيروقراطية بفضل انجازاته فى فترة حكم باكوماتسو Bakumatsu · وكان ترتيبـه الثـانى بين الطلاب الذين تخرجـوا من المدرســة البحرية فى ناجازاكى ، ثم ذهب الى هولنـــدا للدراسة · وكان اينموتو يختلف عن تاكيدا ، فقـــد كان يدين بالولاء الشـــديد لحكومة باكوفو Bakuiu ، باعتبـــاره من صفوة

البيروقراطيين . وانضم الى العمل لدى حكومة الميجى Meiji ، عقب سقوط حكومة باكوفو وانهيار النظام العسكرى بعد معركة هاكودت Hokodate ، شأنه فى ذلك شأن معظم خبراء التنظيم الصناعى الذين عملوا لدى حكومة باكوفو Bakufu ، ثم انضوا تحت لواء حكومة الميجى Meiji الجديدة .

لذلك فقد كان من الطبيعى أن تلتزم حكومة الميجى Meije بسياسة التصنيع التى وضعها خبراء التنظيم الصناعى ، عندما كانت حكومة باكوفو تسيطر على مقاليد الحكم فى البلاد . وعمل قادة حكومة الميجى Meiji على تركيز السلطة السياسية فى أيديهم ، وذلك بعد ان تفرقت بين أيدى الكثيرين من الحكام الاقطاعيين فى الاقطاعيات بما يتماشى مع النظام اللا مركزى الذى اتبعته حكومة باكفو ، الذى حولته حكومة الميجى Meiji لنظام مركزى .

كانت الوحدة احدى سمات التكنولوجيا والصناعة أثناء حكم استعادة الميجى Meiji Restoration ومن أجل زيادة الوحدة وتماسك السلطة ، عملت الحكومة على استكمال شبكة التلغراف القومية ، وتصنيع القاطرات البخارية محليا . وسعت الحكومة لتحسين كفاءة أنظمة النقل وتوزيع المعلومات فى كافة أنحاء البلاد ، كما أسست وزارة الأشغال العامة عام ١٨٧٠ . وتعددت مهام هذه الوزارة . وتمثلت هذه المهام فى القيام بالأبحاث فى مجال الهندسة ، والنهوض بالتصنيع ، وتأميم وادارة المناجم ، وصناعة السفن واصلاحها ، وتوفير معدات السفن ، ومد السكك الحديدية وادارتها ، وأنظمة التلغراف . وفى جميع هذه المحاولات ، كان الغرب هو النموذج المثالى الذى تحتذيه اليابان .

عملت حكومة الميجى Meiji على اتباع سياسة الحكومة السابقة ، فواصلت سياسة التنمية الصناعية ، والسير بخطى واسعة ، فاستقدمت المهندسين الغربيين واستعانت بالآلات الغربية . وعملت الحكومة كذلك على استيراد التكنولوجيا فى جميع المجالات ، وسعت الى الاستفادة من مهارات المتخصصين الأجانب فى تعليم اليابانيين . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل قامت بوضع الاطار العام للدولة ، وتخطيط البنيان الادارى والاقتصادى الذى تعمل الدولة من خلاله . ويمكن لنا القول بان اليابان كانت أشبه ما تكون بمعمل التجارب فى نظر مثقفى أوربا فى القرن التاسع عشر . فقد كانت اليابان دولة تختلف عن أية دولة أخرى فى قارة آسيا . ولهذا السبب فقد كان الخبراء الأجانب الذين استقدمتهم الحكومة اليابانية من أكفأ الرجال فى بلادهم . وأصبح من

المعروف لدى الغرب منذ اقامة المعرض الدولى فى لنـدن عام ١٨٦٢ ، أن اليابان دولة لم يسبق للأوربيين التدخل فى شئونها قط ، كما أنها دولة ذات نظام ثقافى متكامل بشكل فريد • وكان ادخال الحضارة الغربية الى اليابان مثار اهتمام كثيرين من المثقفين الأوربيين •

سعى كثيرون من المتخصصين فى مجالات العلم والتكنولوجيـا الى الذهاب لليابان أثناء فترة الميجى Meiji • وكانت اليابان تقبل معظمهم دون تردد • وكانت التكنولوجيا الحديثة ماتزال فى طور النمو فى منتصف القرن التاسع عشر ، وكان التغيير والتطوير يسـيران بخطى ثابتـة • أما فى مجال صناعة السفن ، فلم تعد السفن تصنع من الخشب فقط ، بل أصبحت تصنع من الخشب والحديد معا ، ثم أصبحت تصنع بكاملها من الحديد • وكانت الطاقة الكهربية ماتزال فى مهدها • وتم الاعتراف بالعلم والهندسـة كمهنتين مستقلتين فى نهـاية الأمر • وأخذ التطور التكنولوجى يعتمد على عملية المحاولة والخطأ والتجريب •

لم تكن وزارة الأشغال العامة وحدها صاحبة شعار « زيادة الانتاج والنهوض بالصناعة » ، بل شاركتها وزارة الشئون الداخلية فى رفع ذلك الشعار • وبخلاف وزارة الأشـغال العامة التى اعتمدت اعتمادا كاملا على تطبيق النماذج المثالية الغربية ، نجد وزارة الشئون الداخلية تعتمد على الزراعة كأساس لها ، وتسعى لادخـال عنصر التصنيع على الصناعات الحرفية التقليدية فى الريف • بل ان هذه الصناعات الحرفيـة تطورت كثيرا بعد ادخال الاسلوب الصـناعى الغربى عليهـا • واسـتفاد النظام الزراعى كثيرا بعد أن قامت محطات التجارب الزراعية باختيـار السماد والنباتات المحسنة • وأجرى تحسينا على نوعية الحرير الخام ـ الذى كان أهم منتج تصدره اليابان ـ وذلك بتطبيق الأساليب الايطالية والفرنسية • وقد أثنى كثيرا على الحرير الخام اليابانى فى المعرض الدولى الذى أقيم فى فيينا عام ١٨٧٣ • واقترنت الأساليب الفرنسية فى لف خيوط الحرير على بكرات الحرير بالأساليب التقليدية ، فنتج عن ذلك ابتكار اسلوب جديد فى لف خيوط الحرير • وانتشر ذلك الاسلوب الجديد انتشـارا واسعا بين أصحاب الصـناعات الحريرية الصغيرة • وأدخلت وزارة الشئون الداخلية الأساليب الغربية فى مجالات أخرى مثـل عزل ونسج الأقمشة الصوفية ، كما سعت الى توفير النماذج المثالية التى تساعد على الارتقاء بالأساليب المحلية •

فى عام ١٨٧٧ ، أقامت وزارة الشئون الداخلية معرضا قوميا فى حى يونو Ueno بطوكيو ، على غرار معرضى باريس وفينـا • وطبقت اليابان مبدأ التنافس الصناعى بين دول العالم فى المعارض الدولية على

المستوى المحلى فى ذلك المعرض . وبلغ عدد المعروضات ٨٠٫٠٠٠ قطعة ، وبلغ مجموع العارضين ١٦٫٠٠٠ عارض ، وزار المعرض ٤٠٠٫٠٠٠ زائر . وعرضت كثير من آلات الغزل وبكرات لف الحرير ، ولكن جميع تلك الآلات كانت تدار بقوة المياه . وكانت الآلة الوحيدة التى تدار بقوة البخار من تصميم وزارة الأشغال العامة . وكان ذلك المعرض نموذجا مصغرا لدولة فى أوائل عهدها بالتصنيع . وكانت الشموع والمصابيح الزيتية ومصابيح الغاز معروضة بجانب نول النسيج المستورد من فرنسا ، ولم يختلف ذلك النول كثيرا عن النول التقليدى . وأقيمت تلك المعارض خمس مرات أثناء فترة حكم الميجى Meiji تحت رعاية الحكومة . وساهمت تلك المعارض فى التوسع الصناعى فى كافة أنحاء البلاد .

بذلت الوزارتان جهودا كبيرة لتعليم الهندسة . وأقامت وزارة الأشغال العامة كلية الهندسة (Kobu Daigakka) عام ١٨٧٧ ، وهو العام الذى أقيم فيه المعرض القومى . وكان يجرى تدريس الهندسة المتخصصة فى هذه الكلية ، وكانت هذه الكلية تفخر باتباع نظام مثالى فى تدريس الهندسة المهنية لم تسبقها اليه أية دولة أخرى فى العالم . ولكن تدريس هذا البرنامج الهندسى كان مكلفا جدا ، حتى أن الحكومة اضطرت الى وقفه بعد سنوات قليلة . وقامت اليابان بتعليم التكنولوجيا الحديثة وفقا لبرنامج تعليمى مخطط . وساهم المتخصصون والمستشارون الأجانب فى ادخال نظم التكنولوجيا . وساعد النظام التعليمى – الذى أكد على الجانب العملى للتعليم – على تطوير التكنولوجيا الصناعية أثناء فترة حكم الميجى

هذا المقال هو صورة موجزة لاتجاهات التكنولوجيا فى الفترة السابقة لحكم الاستعادة وبعدها . وفيما يتعلق بالتكنولوجيا ، فقد حدثت الاستعادة فى المجال السياسى فقط ، وواصلت حكومة الميجى Meiji حركة التصنيع التى بدأت أثناء فترة حكم طوكوجاوا وبدأ الاتجاه نحو التصنيع والتصدير أثناء فترة حكم باكوماتسو . وعمل خبراء التنظيم الصناعى الذين جاءوا بعد ذلك على استمرار ذلك الاتجاه .

واستأجرت وزارة الأشغال العامة الخبراء الأجانب لنشر التكنولوجيا فى طول البلاد وعرضها . وبدأت عملية انتقاء التكنولوجيا ، بعد قيام حكومة الاستعادة ، لاختيار ما يتناسب منها مع أحوال البلاد الاجتماعية والطبيعية ، وأصبح من المعروف لدى اليابانيين أن التكنولوجيا الحديثة ليست ظاهرة خاصة ، بل يمكن لأية دولة الاستعانة بها ، ولكن لم تقم اليابان بمواءمة التكنولوجيا مع البيئة اليابانية الا فى بداية القرن العشرين .

الانتقال من مرحلة نقل التكنولوجيا الى مرحلة الاستقلال التكنولوجي

بقلم
هاياشى تاكيشى
Hayashi Takeshi
معهد التنمية الاقتصادية
طوكيو ـ اليابان

عناصر ومراحل تواجد التكنولوجيا :

سبق أن عرفنا التكنولوجيا بأنها نظام للخبرات والمعرفة · ونحن نختار هذا النظام عن قصد كوسيلة توفر لنا الانتاج وتعطينا منتجا ما (كالسلع والخدمات والمعلومات) · والمعرفة التى تكمن وراء التكنولوجيا الحديثة لا تقوم الا على المبادىء العلمية وحدها ، ولكن يمكن لأى شعب فى أى عصر استخدام المبادىء العلمية بلا وعى ـ أى بلا قصد ـ لتكوين العادات والتقاليد ، وبدون الحاجة الى الرجوع لمصطلحات العلم الحديث ·

وبما أن التكنولوجيا هى تطبيق للمبادىء العلمية ، فانها ترتبط بمشاكل التنمية اليوم ، كما أنها تعمل فى ظل قيود معينة · وتتمثل هذه القيود فى الظروف الطبيعية والموارد المتاحة وأساليب العمل ووسائل النقل والطاقة · ومن الناحية النظرية ، فلابد أن تتزامن التكنولوجيا مع الثقافة ، ولكن واقع الأمر ، هو أن أشكال التكنولوجيا تتعدد وتختلف من بلد لأخر · واذا كانت النزعة العالمية تغلب على العلم سواء بشكل نظرى أو عملى ، فالحال يختلف بالنسبة للتكنولوجيا · وبما أن التكنولوجيا ليست عالمية ، فهى تميل للجانب النفعى أو العملى ·

تكمن مزايا التكنولوجيا الحديثة فى امكانية نقلها من بيئة لأخرى · ولكن نقل التكنولوجيا من مكان لآخر يتطلب توافر بعض الظروف

والاشتراطات الأساسية ، ولهذا السبب فاننا نجد أن أداء التكنولوجيا يختلف طبقا للزمان والمكان ٠

تعتمد التكنولوجيا فى وجودها على خمسة عناصر اساسية هى : (١) المواد وتشمل الطاقة (٢) القوة العاملة (٣) الآلات (٤) الادارة (٥) الأسواق ٠ ونحن نخطىء اذا أشرنا الى العنصر الثالث فقط أى الآلات وحدها ، عند مناقشتنا لقضية التكنولوجيا والتنمية ٠ وتكنولوجيا الانتاج لا تعمل بصورة صحيحة فى غياب أى عنصر من العناصر الخمسة ٠ وتنخفض المحصلة النهائية للانتاج ، اذا انخفض العامل المشترك الذى يوحد بين هذه العناصر الخمسة ذلك لأن طريقة عمل التكنولوجيا تعتمد على الترابط الداخلى بين العناصر الخمسة ٠

لابد من توافر العناصر الخمسة لدى أى قطاع صناعى ٠ ففى حالة الطاقة مثلا ، يمكن عدم توليد الطاقة الكهربية فى المصنع ذاته ، بل يمكن الحصول عليها من مصنع آخر ٠ كما أنه لا يتحتم على بعض الصناعات التى تنتج وتبيع المواد ، كالحديد والصلب ، أن تنتج منتجات مكتملة الصنع ، بل يمكن لهذه المنتجات أن تكون على درجات متفاوتة من التصنيع ٠ ولكن اهمية العناصر الخمسة تبقى كما هى بالنسبة لكل قطاع ، بل ان اهميتها تظل كما هى حتى بالنسبة للمتخصصين فى صناعة الآلات التى تدير مصانع الانتاج ٠ فتوافر هذا العنصر يقتضى بالضرورة توافر العناصر الأربعة الباقية ٠ ويمكن أن يتحقق الاستقلال التكنولوجى عندما تترابط العناصر الخمسة معا ٠ وتتميز التكنولوجيا الصناعية الحديثة بوجود الروابط الأفقية والرأسية والمتعددة الجوانب والمتعددة الطبقات بين القطاعات الصناعية ٠

باستعراضنا للعناصر الخمسة الأساسية التى تعتمد عليها التكنولوجيا ، يسهل علينا معرفة العقبات التى تواجه التصنيع والنهوض بالبلاد ، كما يمكننا تحديد مدى ارتباط هذه العقبات بأى عنصر من العناصر الخمسة ٠ ويعتمد عطاء الوحدة الانتاجية على مدى توازن وتناسق العناصر الخمسة داخل الوحدة ٠ كما يمكن الحصول على أداء أفضل عن طريق تعديل وتقييم هذه العناصر ٠ واذا أجرى أى تحسين أو تغيير على اى عنصر من العناصر الخمسة ، فلابد أن يشمل ذلك العناصر الأربعة الباقية ٠ واذا كان التحسين على مستوى عال ، فسوف يزيد عطاء الوحدة الانتاجية بصورة كبيرة ٠

يساعد الالمام بهذه العناصر الخمسة على ما اذا كان نقل التكنولوجيا سيكون أمرا سهلا أم صعبا ٠ فعلى سبيل المثال ، فانه يصعب على دولة ما أن تستورد تكنولوجيا تحتاج لموارد لا تمتلكها هذه الدولة ، ويزداد

الأمر صعوبة حين تحاول تطوير هذه التكنولوجيا ٠ وقد تمتلك بعض الدول هذه الموارد ، فتستخدم تكنولوجيا محلية قد تكون عتيقة الطراز من حيث طبيعتها وحجمها ٠ وفى هذه الحالة ، فانه حتى لو لم تتمكن الدولة من استبدال العناصر الخمسة العتيقة بعناصر خمسة حديثة ، فيمكننا أن نجد ترابط بين الاثنين مما يساعد الدولة على نقل التكنولوجيا بسهولة ٠

لتحقيق التنمية عن طريق نقل التكنولوجيا ، هناك خمس مراحل لابد من اجتيازها للوصول الى الاستقلال التكنولوجى ٠ وهذه المراحل هى : (١) اكتساب الأساليب التشغيلية (٢) توافر المهارات الفنية والصيانة (٣) أساليب الاصلاح والتحسينات الطفيفة (٤) التصميم (٥) الانتاج المحلى أو ادارة أنظمة جديدة للتنمية ٠ وفيما يتعلق بالمرحلة الأولى ، فان تشغيل الاله دون الحصول على تدريب مناسب ، يؤدى الى خطورة بالغة لكل من العامل والآلة ذاتها ٠ فالأساليب التشغيلية لا تتأتى الا بالمران المستمر ٠ ومن هنا تأتى أهمية المرحلة الثانية ٠ فباستمرار المران وزيادة الخبرة ، تتوافر للعامل المهارات الفنية وأساليب العمل المتقدمة الأكثر تعقيدا ٠ كما تجدر الاشارة الى أن عمر الآلة وكفاءتها يعتمدان على الصيانة المناسبة ٠ ومن ثمة فان المرحلة (١) و (٢) ترتبطان ارتباطا لا ينفصم ٠ فكلما زاد تقدم التكنولوجيا،كلما تعقدت صيانة الآلة٠ولابد للعامل أن يكون على دراية تامة بطرق الاصلاح الدورى للآلة واستبدال الأجزاء المستهلكة أو التالفة ٠ ولا تتأتى السيطرة الكاملة على التكنولوجيا الا من خلال الصيانة فالصيانة هى لب الادارة التكنولوجية ٠ ويعى كل مهندس بأنه لا توجد آلة ، ولا يوجد مصنع يعمل بنفس الكفاءة التى أرادها له مهندسو التصميمات عند بناء المصنع بشكل مستديم ٠ أما اذا كان مستوى الأداء منخفضا ، فهذا يعنى عدم التمكن من السيطرة على الأساليب التشغيلية بصورة متكافئة ، أو قد يعنى ضرورة القيام بتحسينات على التصميم الأصلى ٠ وقد بين لنا التاريخ أن استقرار وتطبيع التكنولوجيا فى بيئة جديدة يحتاج دائما لوقت طويل ٠ وبعدئذ تأتى المرحلة الثالثة حيث تحتاج التكنولوجيا الى عمليات الاصلاح والتحسينات ٠

نظرا لأن نظريات التصميم بالمرحلة الرابعة موحدة قياسيا ، فانه من السهل تعلم ونقل هذه النظريات باعتبارها نوعا من الخبرات العلمية والهندسية ٠ وبما أن التصميم موحد قياسيا ، فسوف يزداد استخدامه على المستوى العالمى ٠ ويتحقق الاستقلال التكنولوجى عندما تتوافر القدرة على ادخال عدة تحسينات بسيطة على العمليات الهندسية ، وتتوافر قدرات هندسية منظمة تتناسب مع الأساسيات التكنولوجية المحلية ، وتتوافر المعرفة المتعلقة بالمبادىء العلمية ٠

وكما نرى ، فان الاستقلال التكنولوجى فى حقل ما انما يعتمد على تطوير القطاعات التكنولوجية الأخرى المرتبطة به . كما أن تكنولوجيا صناعية محددة قد تكون بمثابة القوة الدافعة التى تساعد على وضع برنامج يسير فى هذا الاتجاه . وبعبارة أخرى ، يمكن القول بأنه يمكن اختيار تكنولوجيا معينة ، وبالتالى اختيار صناعة معينة . ويمكن نقل التكنولوجيا بمـا يتماشى مع خطط التنمية القوميـة . وينبغى اعطاء الأولوية لهذه الصناعة ، كمـا ينبغى مواءمة أى تعديل يجرى على هـذه الصناعة مع الصناعات الأخرى المرتبطة بها ، بحيث يتم هذا التوائم على مراحل . وفى أثناء ذلك يمكن للدولة النهوض بصناعتهـا ، فيتحقق لهـا الاستقلال التكنولوجى . ويستتبع ذلك نقل وتطبيق التكنولوجيا الحديثة . وهذه هى مرحلة « الاعتماد على الذات » .

سلكت اليابان طريقـا مختلفـا عن الطريق الذى سـلكته روسيا والصين . فقد اختارت المضى فى طريق الرأسمالية متى يتسنى لهـا الأخذ بأسباب التقدم . ولم يكن أمامها خيار آخر . ولهذا السبب ، فاننا نجد بعض التشابه المخيف بين التصنيع الرأسمالى فى اليابان وتجارب الدول الأوربية . وكما هو الحال فى أوربا ، فقد تطورت الصناعة الثقيلة فى اليابان على أساس تطور الصناعات الخفيفة . وأثناء هذه المرحلة ، كانت هناك فترة سار فيها كل شىء فى طريق الاعداد للحرب . ولكن سرعان ما غيرت اليابان مسارها بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، فغدت تمتلك اليوم تكنولوجيا فائقة التقدم ، وأصبح بمقدورها تطوير تكنولوجيا جديدة . وتغيرت الأحوال فى اليابان ، فبعد أن اضطرت اليابان الى استيراد التكنولوجيا من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية فى الماضى ، أصبح بمقدورها تصدير التكنولوجيا لهذه الدول وللدول الأخرى . وكان الطريق الذى سلكته اليابان لتحقيق تقدمها الحالى طريقا شاقا ومؤلما . ولم يتحقق هذا التقدم الا بعد انقضاء ما يزيد على قرن من الزمان ، مرت اليابان خلاله بتجارب مريرة . وتعد اليابان قدوة تحتذيها الدول النامية الأخرى ، فبما أن اليابان ـ تلك الدولة التى كانت نامية ذات مرة ـ قد استطاعت تحقيق كل هذا التقدم ، فيعنى ذلك أن هذا ممكنا لأى دولة ، نامية أخرى ، فلا بأس أن تحذو الدول الأخرى حذوها .

تجربة اليابان

أشرت فيما سبق الى أن اليـابان قـد اختـارت المضى فى طريـق الرأسمالية ، وأن هذه الرأسمالية تشابهت مع الرأسمالية التى اتبعتها الدول الأوربية . فما سبب هذا التشابه ؟ قد لا يكون من السهل علينا الاجابة على هذا السؤال فى سياق تناولنا لمشاكل التنمية ، وذلك نظـرا

لأنه لم تجر فى اليابان أبحـــاث علمية مستفضية حــول هذا الموضوع حتى الآن ٠

اليابان قبل العصر الحديث

هناك عدة عوامل أدت الى وجود تشابه بين اليابان والدول الغربية٠ فقد تشابهت اليابان مع انجلترا ، فقد كان تعداد السـكان واحدا فى البلدين تقريبا وقت قيام الثورة الصناعية فى كل منهما ٠ واذا كان الأمر يتطلب تحليل البنية الاجتماعية اليابانية ، وخاصـة التركيب الطبقى ، حتى يمكن تقييم اليابان تقييما دقيقا ، فان ذلك يعد مؤشرا على أن اليابان كان قد أصبح لديها سوق قومية متكاملة وقت قيام الثورة الصناعية ٠ واذا افترضنا أن حجم اليابان كان متكافئا مع معدل السوق المحلية ، فيمكننا القول بأن التكامل الاجتماعى ذا المستوى العالى فى اليابان ــ تلك الدولة الجزرية ــ ساعد على توفير الظروف الملائمة للأخذ بأسباب التقدم ٠

كما يجدر بنا أن نلاحظ أن اليابان قد مرت بتجربة المجتمع الاقطاعى الناضج دون أن تتعرض للتدخل الأجنبى ٠ وكان من الطبيعى أن يختلف النظام الاقطاعى فى اليابان عن الأنظمة الاقطاعية التى عرفتها أوربا من الناحيتين الاجتماعية والتاريخية ٠ ولكن وصول اليابان لمرحلة النضج قبل العصر الحديث قد ساعدها على مواجهة المؤثرات الخارجية ومسايرة طابع العصر والأخـذ بأسباب التقدم ٠ فما كانت اليابان لتقدر على مواجهـــة الغرب ، اذا لم تكن قد مرت بالتغيرات السياسية والاجتماعية الكبرى ، التى تمثلت فى قيام حكومة استعادة الميجى ٠

لم تقع الثورة السياسية عام ١٨٦٨ بين عشية وضحاها أو بدون تحذير سابق ، بل كانت تمثل ذروة الأحداث التى أخذت تتطور على مدى عشرات السنوات ، شأنها فى ذلك شأن بقية الأحداث التاريخية ٠ وبدأت ارهاصات التغيير الاقتصادى والتكنولوجى فى الظهور منذ عام ١٨٢٠ ، ولكن التحول كان يتحين الفرصة للظهور ٠ فكان عليه الانتظار حتى وصول الأسطول الأمريكى الى خليج ايدو عام ١٨٥٣ بقيادة الكومادور بيرى ، قادما من الهند الشرقية ، فاضطرت اليابان الى فتح أبوابها على مصراعيها أمام التجارة الدولية ، بعد أن هدد الأسطول باستخدام القوة العسكرية اذا لم ترضخ لطلبه ٠ وكشف ذلك الحادث عن عدم مقدرة حـكومة طوكوجاوا Tokugawa على مواجهة التطورات الجديدة ، وعجل بسقوطها ٠

لفت وصول الأسطول الأمريكى الذى أطلق اليابانيون عليه اسم « السفن السوداء » أنظار اليابانيين الى أهمية التكنولوجيا ٠ وبعد هزيمة الصين على يد القوة الغربية فى حرب الأفيون ــ وكانت حضارة الصين

قد أسهمت بدور كبير فى تطور اليابان ـ أدرك بعض المثقفين فى اليابان قوة التكنولـوجيا العسكرية الحديثة • وكانت بعض المعلومات المتفرقة المتعلقة بالتكنولـوجيا والعلوم العسكرية تدخل اليابان عن طريق مينـاء ناجازاكى • وكان هذا الميناء هو النافذة الوحيدة التى تطل منها اليابان عـلى العـــالم • وسمحت حـــكومة طوكوجاوا لهولنـــدا والصـــين فقط بدخول هذا الميناء • وكانت فئة قليلة العدد من الأطباء والخبراء العسكريين هى القادرة على قراءة الكتب الهولندية المتعلقة بالموضـوعات التقنية • وكانت تلك الفئة قد درست اللغة الهولندية (ولم تكن تحظى بمكانة عالية فى المجتمع) • وأقبل المثقفون على قراءة المؤلفات الغربية التى تناولت موضـــوعات العلوم والتكنولوجيا ، بعد أن قامت البعثات التبشرية بترجمتها للغة الصينية • وكان تأثير أولئك المثقفين كافيا لدفع الجهود نحو صناعة المدافع واقامة الأفران العاكسة بعد أن تمت الاستعانة بالمعلومات الواردة فى الكتب المترجمة • وتجاهلت الاقطاعيات القوية فى الجزء الجنوبى الغربى من اليابان الحظر الذى فرضته حـــكومة باكوفو على استيراد الكتب الغربية ، فجلبت كتب العلوم والتكنولوجيا الغربيـة (وحصلت على الأموال التى تدفعها فى شراء تلك الكتب عن طريق تجارة التهريب • وأخذت هذه الاقطاعيات بزمام المبادرة فيما بعد لتكوين حكومة الميجى Meiji الجديدة ، وتولى كثيرون من الرجـال الموهـوبين بهـذه المقاطعات مناصب هامة فى تلك الحكومة •

وجهـا الاستعادة

كثيرا ما يضج المثقفون بالشكوى فى الدول النامية حينما نبدأ فى مناقشة تجربة اليابان المتعلقة باستعادة الميجى Meiji Restoration فهم لا يعنيهم الماضى ، ولا يهتمون الا بعلوم وتكنولـوجيا اليوم • ولكن التكنولوجيا لا تعنى الآلات وحدها • وبدون عناصر التكنولوجيا الخمسة التى أشرنا اليها فيما سبق ، لا يمكن للتكنولوجيا أن تؤدى وظيفتها • واليد العاملة (المهندسون والعمال) هى احدى هذه العناصر الخمسة • ولا يظهر العمال المهرة الا بعد مرور فترة طويلة من الزمن ، اذ لا يمكن لقاطع الأشجار فى يوم أن يتحول الى صناعة السفن فى اليوم التالى • ولا يمكن للمزارع أن يصبح عاملا على مخرطة ميكانيكية فى يوم وليلة ، كما لا يمكن لعامل المصنع أن يتحول الى فلاحة الأرض فى فترة وجيزة • فالمزارع تتوافر لديه معلومات غزيرة ومهارات كثيرة تتعلق بالمحاصيل والتربة وتربية المواشى والرى وأساليب الزراعة والحفاظ على المحاصيل وطرق تخزينها ، كما تتراكم لديه خبرات غزيرة فى هذه النواحى • هذا فضلا عن أن المزارع ذاتى العمل ، فهو لا يعمل لدى طرف ثان • وبتوافر

كل هذه الخبرات ، يستطيع المزارع أن يبدأ العمل فى قطاع ثالث كالتجارة مثلا ، أكثر مما يستطيع العمل بأحد المصانع ، اذ لا يمكن للمرء العمـل فى المصانع الحديثة الا بعد اكتساب المهارات • ولا تتأتى هذه المهارات الا بالتدريب الشاق • واذا لم يلتزم العامل بتطبيق قوانين العمل الجماعى دون تهاون ، فلن يعرض نفسه فقط لمخاطر الاصابة الجسدية أو حتى الموت ، بل قد يعرض زملاءه فى العمل لمثل هذه المخاطر •

يتطلب تحول الأمة من الزراعة الى الصناعة سنوات طويلة من العمل الشاق • وقد قمت فيما سبق بتصنيف المراحل الخمس التى لابد أن تجتازها الأمة حتى يتحقق لها الاستقلال التكنولوجى بعد نقل التكنولوجيا• وقد تستطيع أمة حديثة العهد بالتطور الصناعى أن تجتاز كل مرحلة من هذه المراحل بسرعة حين تستفيد من خبرات الأمم الســابقة ، بل وحين تعثر على طرق أفضل • ولا تحتاج هذه الأمة قضاء الكثير من الوقت ، كما كان الحال بالنسبة للأمم السابقة ، ولكنها لن تستطيع أن تحذف أو تتخطى أية مرحلة من المراحل الخمس ، اذا ما أرادت تحقيق الاستقلال التكنولوجى الحقيقى •

اذا عدنا لتجربة اليابان ، فلم يلبث المزارعون ، الذين كانوا يهتمون بزراعة الأرز فى المقام الأول — أن اعتادوا على العمل التعاونى المنظم فى مجال بناء وصيانة ورقابة وحدات الرى اللازمة لزراعة الأرز • وتزايد اهتمام اليابانيين بأساليب الانتـاج فى أوائل القرن التاسع عشر ، بعد أن تعرضوا لزيادة الضغوط السكانية ، وقاموا بتجديدات كثيرة فى مجال الانتاج • ولم يعد المزارعون الأثرياء الذين توافر لديهم الوقت والمال هم وحدهم الذين يهتمون بالتكنولـوجيا الجديدة دون ســواهم ، فقد أظهر صغار المزارعين المستأجرين رغبة شديدة فى التعلم • رلم تصدر عنهم أية بادرة لرفض التكنولوجيا • ووصل الانتاج الى أقصى درجة يمكن بلوغها بعد الاستعانة بأساليب التكنولوجيا القائمة ، ولم يبق أمام اليابان سوى ادخال نظام التكنولوجيا الجديد • وكان هناك اجماع قومى على ضرورة نقل التكنولوجيا الجديدة • وكان ذلك يعنى تحول المجتمع اليابانى من مجتمع زراعى الى مجتمع صناعى ، وكان لابد من تغيير بنية المجتمع ومبادئه تغييرا شاملا • وكان المجتمع اليابانى فى حاجة الى ثورة سياسية • وجاءت هذه الثورة فى صورة استعادة الميجى Meiji Restoration
وفى ظل النظام الجديد حصل أفراد الشعب على الحق فى اختيار مكان اقامتهم ، وفى اختيار العمل الذى يناسبهم ، فتركت لهم حرية العمل فى التجارة أو الزراعة • وساعدت هذه الحريات الاجتماعية والاقتصادية على ازدهار الرأسمالية فى اليابان •

أما الوجه الآخر للميجى Meiji فهو أن الحرية السياسية ، وخاصة اشتراك الشعب فى السياسة ، قد تأخرت بعض الشىء . وتمثلت مطالب الشعب للاشتراك فى السياسة فى الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات (Jiyu minken undo) وقامت الحملات فى القرى والمدن الكبرى بجميع أنحاء البلاد احتجاجا على مركزية الحكم وسيطرة أقلية صغيرة على مقاليد الحكم فى البلاد . وتزعمت طبقة الساموراى السابقة ـ التى كانت تشكل أقل من ١٠ بالمائة من مجموع السكان ، والتى الغت الحكومة الجديدة مكانتها الاجتماعية وموارد رزقها ـ قيادة تلك الحملات . ثم تولى المزارعون الأثرياء قيادة تلك الحملات بعد ذلك . وأقامت الحكومة نظام الانتخاب القومى عام ١٨٨٩ ، ولكن لم يتم الغاء القيود المفروضة على حق الانتخاب ، بما كانت تتضمنه من نصوص قانونية تتعلق بحجم الضريبة والعقارات والدخل والخلفية التعليمية ، الا فى عام ١٩٢٥ ، وأصبح لجميع الذكور ، ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٥ عاما فما فوق ، الحق فى الانتخاب . ولم تحصل النساء على حق الانتخاب الا فى عام ١٩٤٥ . حينما تساقطت البقية الباقية من مؤسسات الميجى Meiji عقب هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية .

قبل أن تتحقق أية حرية سياسية حقيقية ، كان لابد من قيام الثورة الصناعية وما صاحبها من نمو القوى الاجتماعية بصورة تدريجية (الصحافة وحركة العمالة) . ولم توطد حكومة الميجى Meiji سلطتها ونمد نفوذها طول البلاد وعرضها ، الا بعد مضى عشرين عاما على قيامها ، ولم ترسخ مكانتها الا بعد قيام الحرب اليابانية الصينية عامى ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ . وكانت الحكومة فى حاجة الى ثلاثة عقود حتى توطدت شرعيتها السياسية .

دعمت الحكومة مركزها باتباعها سياسة التقدم ومسايرة طابع العصر ، وذلك حتى تتمكن من دفع حركة التنمية الرأسمالية . وتضمن تدفق رأس المال المتراكم لدى طبقة المزارعين الأثرياء على القطاع غير الزراعى (١) . وما كان لذلك أن يتم لو لم تشرف الحكومة على عملية نقل التكنولوجيا ، ولو لم تتخذ الحكومة قرارا يسمح للشركات الأجنبية بتطوير المناجم واستخراج المواد الخام من باطن الأرض وامتلاك وتشغيل السكك الحديدية .

تحمس أصحاب الرأى لتلك السياسة القومية ، وايدوا سياسة التنمية التكنولوجية التى اتبعتها الحكومة ، فأدخلت الحكومة التكنولوجيا ـ ليس فقط فى مجال العلوم العسكرية ـ وانما فى جميع المجالات الأخرى التى شملت السكك الحديدية وصناعات الحديد والصلب والاتصالات

والتعليم العالى ، وذلك بعد أن استعانت بالخبراء الأجانب وأعطتهم أجورا خيالية ؛ بل ان أجورهم كانت تفوق أجور الوزراء . وبما أن الحكومة لم تكن تنظر بعين الرضا لجميع الأعمال التى كان يؤديها الخبراء الغربيون ، ونظرا لتزايد الطلب على الخبرة الفنيـة ، فقد قامت الحـكومة المركزية والاقليمية (والمؤسسات الخاصة فيما بعد) بارسال كثيرين من الناس للدراسـة فى الخارج . وعاد أولئك الناس لليابان للاسهام فى التنمية الصناعية والتعليمية بنصيب وافر (٢) .

اعداد المهندسين اليابانيين

كانت السياسة التى اتبعتها حكومة الميجى Meiji بشأن تدريب العاملين سياسة ناجحة تماما . وكان عالم الأمس يختلف عن عالم اليوم اختلافا بينا ، فقد كان عدد الخبراء محدودا نسبيا ، وكان أولئك الخبراء ينتقلون من مكان لآخر . وكانوا يعملون فى أكثر من مكان فى وقت واحد فى بعض الأحيان ، فقد كانوا يجمعون بين العمل فى الحكومة والعمل فى المؤسسات الخاصـة والجامعات أيضا . ونتيجة لذلك ، فقد ظهر نوع جديد من المهندسين فى اليابان . وكانوا يستطيعون القيام بعـدة مهام ، لأنهم كانوا على دراية واسعة بأساليب الآلات . كما كانوا يساعدون فى سـد العجز الناتج عن نقص كبـار الميكانيكيين . وقاموا كذلك بتدريب العمال في مواقع العمل . وكانوا يتابعون آخر التطورات فى مجال التكنولوجيا ويقومون بدور مهندسى التصميمات ، فيطبقون أحدث المعلومات على عمليات الانتاج . ولم تكن هناك فروق واضحة بين هندسة التصميم وهندسـة التشغيل . وانتقل المهندسون بين العمل فى هذين النوعين من الهندسة ، فأصبحوا مهندسين متمرسين ، وقسموا عملية التصنيع ، وأعادوا تنظيمها ، وأدخلوا التحسينات على الأدوات والمعدات حتى يسهل استخدامها وتصبح أكثر كفاءة وقدرة على الانتاج . كما درس المهندسون جميع النواحى المتعلقة بالتكنولوجيا . وبذلك توطدت دعائم التكنولوجيا الأجنبية فى اليابان . ولم تساعد التحسينات التى قام بهـا المهندسون اليابانيون على تطبيع التكنولـوجيا فحسب ، وانما كانت قاعدة الانطـلاق لتحقيق التطـور التكنولوجى المستقل .

فعلى سـبيل المثال ، فقـد قام مهندس المانى يدعى ل . بيانتشى L. Bianchie ببناء مصنع للحديد الزهر . وكان ذلك الرجل حجة يعتد بها فى مجال الحديد . وكان التصميم الذى وضعه لبنـاء الفرن العالى باهظ التكاليف ، ولكن سرعان ما انهار بعد شهور قليلة من بنائه ، وذلك لأنه لم يول اهتماما كبيرا للفروق الشاسعة بين أنـواع الوقود والحديد

الخام فى كل من اليابان وأوربا • ولم يتغلب المهندسون الغربيون على تلك المشكلة ، بل قام بحلها المهندسون اليابانيون أنفسهم (٣) •

وقام المهندسون اليابانيــون بعد ذلك بتطوير أسلوب تبخير ميــاه الينابيع والبحيرات لتحويل خام الحديد المنخفض الجودة الى حديد صالح للاســتخدام • وفى الستينيات من القرن التاسع عشر قام المهندســـون اليابانيون بوضع التصميمات لاستكمال بناء مصانع الصلب لتحويل خام الحديد المنخفض الجودة الى حديد صلب • وبذلك ساهموا فى تحويل اليابان الى دولة رائدة فى تكنولوجيا صناعة الصلب بالعالم • ويرجع سر نجاح هذه الصناعة الى التدريب الذى كان يتلقاه المهندسون اليابانيون منذ فترة حكم الميجى Meiji • ولا يمكن اغفال دورهم بأى حال •

وهناك عاملان ساعدا على ظهور المهندسين اليابانيين بأعداد وفيرة • وتمثل العامل الأول فى أن العلم والتكنولوجيا قد أصبحا ضمن المناهج الدراسية فى معاهد أوربا فى فترة حكم استعادة الميجى Meiji Restoration ، لذلك تمكن اليابانيون من تعلم نظرية الهندســـة بشـــكل منتظم (٤) • وتمثل العامل الثانى فى أن معظم الآلات كان يجرى تجميعها يدويا آنذاك ، فكان يسهل تصنيع أو استبدال الأجزاء التالفة من هذه الآلات باتبــاع الطرق التقليدية التى كانت متبعة فى الحـدادة والنجارة وأساليب طرق المعادن • وبمجرد فهم طريقة عمل الآلة ، كان بالامكان استبدال الأجزاء الخشبية منها بأخرى معدنية (٥) •

وكان من الطبيعى أن تفوق النماذج الأصلية النماذج المقلدة من حيث الأداء وعمر الآلة وقدرتها على الانتاج ، ولكنها كانت باهظة التكاليف ، ولم يكن من السهل اصلاحها • كما لم يكن من السهل الحصول على بعض أجزائها • وطرحت الآلات المقلدة التى كانت تشـــبه الآلات الأصلية من حيث طريقة عملها فى الأسواق بكميات وفيرة • وشجعت تلك الآلات على انتشار التكنولوجيا •

فى عام ١٨٩٧ كان لآلات النسيج السبق فى قيام الثورة الصناعية فى اليابان • وكانت هذه الآلات عبارة عن أنوال مصنوعة من الخشب • وبدأت الأجزاء المعدنية تحل محل الأجزاء الخشبية بالتدريـج ، حتى تم اختراع الآلات الاتوماتيكية عام ١٩٢٦ ، فأصبحت الآت النسيج تصنع بكاملها من المعدن • ويمكن القول ان تكنولوجيا الغرب الناضجة ساعدت التكنولوجيا اليابانية الحديثة على اجتيــاز مرحلة المراهقــة والوصول الى مـرحلة النضج • وبينما استخدمت الآلات الحديثة فى مصانـع الغـزل والنسيج ، فقد تزايد الطلب فى الأسواق المحلية على الأقمشة التقليدية ذات المساحة الضيقة،لا الأقمشة العريضة ذات الطابع الأوربى (وكانت اليابان

تنتج الأقمشة العريضه لتصديرها) • وبذلك تركت عملية نسج الأقمشة للقطاع التقليدى ، وأصبحت التكنولوجيا الجديدة ذات طابع محلى ، وامتزجت مع التكنولوجيا التقليدية • وتزايد الانتاج باتباع الأساليب التقليدية بعد أن تزايد الاستهلاك المحلى للأقمشة اليدوية ، فكان انتاج هذا النوع من الأقمشة اليدويه يتم بعد التعاقد مع صاحب العمل • وساعد ذلك على زيادة الروابط التى تربط بين التكنولوجيا الجديدة والقديمة • فلولا هذه الروابط ، لعانت التكنولوجيا المستوردة من العزلة ، وما كان لها أن تساعد فى بناء السوق المحلية ودعمها ، أو أن تسهم اسهاما كبيرا فى قيام الثورة الصناعية باليابان •

تكوين شبكة تكنولوجيا وطنية :

فى العشرين سنة الأولى من القرن العشرين،شمل التطور التكنولوجى جميع الصناعات الرئيسية كصناعة الصلب والاتصالات والصناعات الثقيلة والصناعات الكيماوية ، وبذلك تكونت فى اليابان شبكة تكنولوجيا وطنية ، فبلغ المستوى التكنولوجى فى اليابان نفس المستوى الذى حققته أوربا فى القرن التاسع عشر • وكانت البلاد قد شهدت تغيرات كبيرة فى استخدام الطاقة فى القطاعات الصناعية المتقدمة • فحل البخار محل الساقية التى تدار بالماء • ثم عرفت اليابان القوة الكهربائية ، واقتصرت مصادر الطاقة على الخشب والفحم النباتى ثم الفحم الحجرى • وأخيرا عرفت اليابان مصادر الطاقة الكهربية الناتجة عن تساقط المياه ، ولكنها لم تتخل عن مصادر الطاقة القديمة ، بل ان القطاعات المتقدمة ظلت تستخدمها الى جانب مصادر الطاقة الكهربية • فعلى سبيل المثال ، نجد أن الفحم النباتى عالى الجودة لم يستخدم فى صناعة الصلب نظرا لطول فترة الحرارة الناتجة عنه فحسب ، بل أنه ساعد على تطوير أساليب معالجة الحرارة التقليدية المستخدمة فى تشكيل وطرق المعادن ، والحفاظ على تلك الأساليب •

قدمت الحرب العالمية الأولى فرصة كبيرة للتكنولوجيا اليابانية حتى تتطور دون أن تلقى منافسة من جانب التكنولوجيا الغربية • فأحرزت تكنولوجيا صناعة الآلات والكيماويات وطرق المعادن تقدما ملحوظا فى أثناء تلك الفترة ، وأخذت اليابان تصدر الآلات للأسواق الأسيوية منذ ذلك الحين •

اتسعت الفجوة بين مستويات التكنولوجيا فى كل من أوربا واليابان فى مجال الآلات الكهربية والصناعات الكيماوية والصناعات الثقيلة فى سنوات الحرب العالمية الأولى ، ولكن الفترة التى استغرقتها اليابان فى

نقل التكنولوجيا لسد تلك الفجوة كانت أقل عن ذى قبل ، اذ أن اليابان كانت قد تمكنت من اقامة شبكة تكنولوجية أساسية ، ولم تكن فى حاجة لاستيفاء جميع الشروط المسبقة التى يتطلبها نقل التكنولوجيا مرة أخرى • ويرجع الفضل فى ذلك للروابط التكنولوجية التى أوجدتهـا اليابان بين جميع قطاعات الانتاج •

فى عام ١٩٦٠ ، بدأت دول عديدة ، ومنها الدول الناميـة ، تظهـر اهتماما بالتكنولوجيا اليابانية • فقد نهضت اليابان بسرعة فائقة ، ونفضت عنها غبار الدمار الذى احاق بها بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، ولكنها لم تبدأ من لاشىء • فرغم أن جميع المصانع والآلات كانت قد دمرت تقريبا أو تعطلت أثناء الحرب ، فقد بقيت لليابان قوتها العاملة ، فقد نجا بعض أصحاب الخبرة من أهوال الحرب التى خاضتها اليابان ، ليواصلوا تطوير التكنولوجيا بعد انتهاء الحرب • وبذلك لم تختلف اليابان عن المانيا التى خاضت غمار حربين عالميتين • وبدأت جميع التكنولوجيا والمهارات التى كانت قد حشدت لخدمة المجهود الحربى فى اليابـان ، تتجـه نحو خدمة الأحوال المعيشية للأمة مرة أخرى • وهذه حقيقة قد يتناسها الكثيرون أحيانا • فقد أوجد الأشخاص المهرة روابط تكنولوجية كثيرة ، وعملوا على تطويرها • وكان الدور الذى لعبه المهندسون والمقاولون بعد الحرب لا يقل أهميـة عن الدور الذى لعبوه أثنـــاء فتـــرة حـــكم الميجى Meiji •
ولم تمض فتـرة طـويلة بعـــد الحـرب حتى أخذت المؤسسات الخاصة بزمام المبـــادرة ، فكان لهـــا السبق فى ارتيـــاد مجـــال التكنولوجيا المتطـــورة بعيـــدا عن أى تدخـــل من جانب الحـكومة • وكمـا كان الحال فى مراحـل التصنيع المبكرة فى فترة حكم الميجى Meiji ، فقـد عملت الحكومة على تنفيذ برامج تدريب لمهندسى التكنولوجيا الذين كانوا يجوبون جميـع انحاء العالـم لجمع المعلومـات ، ويخططون لتطبيق هذه المعلومات فى مجال الصناعـة ، وانشغلوا بتنسيق سياسة التكنولوجيـا والصناعة على المـدى البعيد • هذا فضـــلا عن انتشار التعليم فى الميادين العلمية والتكنولوجية ، اذ أن التكنولوجيا الحديثة والمتطورة تتطلب عمال ومهندسين على مستوى عال من التعليم • ويعمل الجيل الذى تلقى تعليمه بعد الحرب على مواصلة النهوض بالتكنولوجيا الحديثة •

التطور التكنولوجى بعد الحرب العالمية الثانية :

كان من الطبيعى أن تستورد اليابان بعض التكنولوجيا بعد الحرب • وبشر ادخال أساليب الانتـاج بالجملة بقدوم مـرحلة جديدة فى تاريـخ الصناعة اليابانية • وزاد التنافس الصنـاعى بين الدول بصورة كبيرة ،

مما أدى الى الصدام الاقتصادى من آن لآخر . ويجدر بنا ملاحظة أن العمال اليابانيين قد شاركوا مشاركة فعالة فى مجال الرقابة على الانتاج وجودته. ولفتت الميزات التى منحتها هذه الظاهرة للصناعة اليابانية انظار دول كثيرة للاسلوب اليابانى فى مجال الادارة وتكنولوجيا الادارة . كما استرعت شركات التجارة العامة فى اليابان ــ التى لا مثيل لها فى أية دولة آخرى ــ اهتمام العالم بأسره . ولكن هذه الشركات كانت عبارة عن تجمعات مالية ، كما كانت نتاجا للمجتمع والثقافة ، وكانت تمثل أنظمة تكنولوجية لم يكن من السهل انتقالها لدولة آخرى . ويمكن لأية دولة تجد ميزة فى مثل هذه الأنظمة ، وترغب فى تطبيقها ، أن تقوم بدراسة المبادىء الأساسية لهذه التكنولوجيا ، ثم تقوم بادخال أنظمة تتناسب مع ظروفها . وهذا شىء يمكن لأية دولة القيام به .

لا يمكن لأى نقاش يتناول التطور التكنولوجى فى اليابان بعد الحرب العالمية الثانية أن يتجاهل البيئة الدولية . فعلى سبيل المثال ، ازدهرت مصانع الصلب المتكاملة على طول الساحل اليابانى بفضل توافر المواد عالية الجودة بكميات كبيرة على مدى فترة طويلة من الزمن ، بصورة لم يسبق لها مثيل . وتتطلب التغييرات التى طرأت على الموارد الدولية قيام اليابان بتغيير أنظمة التكنولوجيا القومية بها ، اذ لم تعد تكفيها الموارد التى اعتمدت عليها فى سنوات التصنيع الأولى ، وذلك بعد أن أصبحت دولة متقدمة صناعيا ، مما سيضطرها الى اجراء تحولات بنيوية على المدى البعيد، أى أنها ستتخلى عن التقسيم الرأسى للعمل ، وتتجه نحو التخصص الصناعى الأفقى على المستوى الدولى . ويبقى سؤال حيوى ، وهو هل ستتمكن اليابان من تطوير تكنولوجيا جديدة تماما أثناء مرحلة التحول هذه ؟

الخاتمة :

ان الخلاصة التى قدمتها بشأن تجربة اليابان غير كافية فى حد ذاتها .وأنالم أتعرض لقضية هامة ، الا وهى ازدواج بنية التكنولوجيا اليابانية . لقد ازدهرت مؤسسات كبيرة فى القطاعات التكنولوجية التى ساعدت على النمو القومى . وسعت هذه القطاعات التكنولوجية الى التطور دون النظر الى مسألة الربح . وأثناء عملية التطور ، انقسمت عمليات التصنيع المحدودة الى اجزاء مختلفة لاختصار الوقت المطلوب لاكتساب المهارات . وكانت عمليات التصنيع المحدودة تعمل بصورة منفصلة عن العمليات الكبيرة التى سعت الى تقليل تكاليف التشغيل الى أقل حد ممكن. وخضعت هذه العمليات المحدودة والمصانع الصغيرة والمتوسطة لسيطرة

رأس المال • وعندما كان التطور التكنولوجى يحقق مستوى كبيرا ، أثبتت المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، كصناعة معدات الآلات مثلا ، ما لديها من قدرة وقوة ، وذلك باستخدام التكنولوجيا المتقدمة الاستخدام الأمثل • وما تزال معظم هذه المصانع بمثابة الواقى الطبيعى الذى يمتص الضربات التى يتعرض لها رأس المال الكبير والمصانع الضخمة •

وهناك مشكلة أخرى تتمثل فى قيام نسبة كبيرة من العمال اليابانيين بالعمل لبعض الوقت أو فى موسم العمل فقط أو لدى مقاولين من الباطن ، ليس فقط فى صناعات الصلب والسيارات ، بل فى المؤسسات الكبرى • ويعمل أولئك العمال بجانب العمال المنتظمين ، ولكن هناك فوارق كبيرة فى الأجور والأرباح الهامشية بين الفريقين ، وذلك رغم أن الفريق الأول هو الذى يمثل القاعدة الأساسية لقوة اليابان التكنولوجية • ولن يقال أن اليابان قد أخذت بأسباب التقدم فعلا ، الا بعد قيامها بتسوية هذه المشكلة •

قد تكون مشكلة التلوث من أخطر المشاكل المصاحبة للتصنيع التى تواجه اليابان • فحينما تحظى التنمية والتكنولوجيا بالأولوية ، يصبح التلوث أمرا لا بد منه ، فتتلوث المياه والتربة والنباتات أولا ، مما يؤدى الى قتل الأسماك وتلف المحاصيل ومصادر غذاء الانسان وفقدان الموارد العامة كالأخشاب والفحم النباتى • وتؤدى هذه المشاكل بدورها الى حدوث الفيضانات والكوارث الطبيعية الأخرى التى تأتى على الأخضر واليابس • ولكن الانسان يعى جيدا أن هذه الكوارث يمكن تجنبها ، اذا امكنه السيطرة على التكنولوجيا بصورة صحيحة •

تزداد حوادث العمل وتصبح الأمراض المهنية مزمنة فى الشركات التى تتسبب فى احداث التلوث • ويسود فى المصانع اليابانية مبدأ اخلاقى يقول للعامل : « عليك بتحمل نفقات الغذاء والاصابة » • وبذلك أصبح العاملون يعتبرون أن سلامتهم أثناء العمل جزء لايتجزأ من مهاراتهم • ولكن الصناعة الحديثة تسبب أمراضا مهنية ليست لها علاقة بمهارات العمال • ولا يمكن تحقيق التنمية فى مجتمع يحرص على منح المواطن حقوقه الانسانية ، دون القضاء على التلوث والأمراض المهنية • وستختفى جميع هذه المشاكل بمجرد الاعتراف الدولى بأن جميع الناس متساوون - واذا قدر لهذا أن يحدث ، فلا بد من وجود وسيلة يضمن بها المواطن حقوقه عندما يتصدى للمعاملة السيئة ، أو عندما يدعى للتصدى لها •

مراجـــع وملاحظـــات :

(١) For further details see the informative work edited by Nahamura Takafusa and Umemura Mataji, Matsukata Zaisei to shokusan — kogyo seisaku (Matsukata's Fiscal Policy and the "Increase Production and Promote Industry" Campaign) (United Nations University, Tokyo, 1983), which grew out of the UNU Japanese Experience project.

(٢) لعبت الأسواق والمعارض دورا هاما فى نشر التكنولوجيا

(٣) See Iida Ken'ichi's paper prepared for the United Nations University's Human and Social Development Programme, Project on Technology Tranfer, Transformation and Development : The Japanese Experience ; published in Entrepreneurship : The Japanese Experience, no. 3 (1982) : 7-16; discussion of the Bianchie project, pp. 9-10.

(٤) See the series of the works by the late Professor Hiroshige Toru, including Kagaku no shakaishi (A social History of Science) (Chuo Koronsha, Tokyo, 1973).

(٥) See the forthcoming Gijutsushi to gijutsu seisaku (The History of Technology and Technology Policy) by Nakaoka Tetsuro and Uchida Hoshimi, from a NUN project in collaboration with the Institute of Developing Economies.

فهـــرس

●● كتب صدرت عن مشروع الألف كتاب (الثانى)

	اسم الكتاب	المؤلف
١	ـ أحلام الأعلام وقصص أخرى	برتراند رسل
٢	ـ الألكترونيات والحياة الحديثة	ى . رادونسكايا .
٣	ـ نقطة مقابل نقطة	الدس هكسلى .
٤	ـ الجغرافيا فى مائة عام	ت . و . فريمان
٥	ـ الثقــافة والمجتمــع	رايموند وليامز
٦	ـ تاريخ العــلم والتكنولوجيا . ج ٢ . القرن الثامن عشر والتاسع عشر	ر . ج . فوربس
٧	ـ الأرض الغامضــة	ليستر ديل راى
٨	ـ الرواية الانجليزية	والتر آلن
٩	ـ المرشد الى فن المسرح	لويس فارجاس
١٠	ـ آلهــة مصر	فرانسوا دوماس
١١	ـ الانسان المصرى على الشاشة	د . قدرى حفنى وآخرون
١٢	ـ القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة	أولج فولكف
١٣	ـ الهوية القومية فى السينما العربية	هاشم النحاس
١٤	ـ مجمـــوعات النقــود صيانتها .. تصنيفها .. عرضها	ديفيد وليام ماكدوال
١٥	.. الموسيقى ـ تعبير نغمى ـ ومنطق	عزيز الشوان
١٦	ـ عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	
١٧	ـ ديلان توماس مجموعة مقالات نقدية	
		جون لويس
١٩	ـ الرواية الحديثة . الانجليزية ـ والفرنسية ج ١	بول ويست
٢٠	ـ المسرح المصرى المعاصر . أصله وبدايته	د . عبد المعطى شعراوى
٢١	ـ على محمود طه . الشاعر والانسان	أنور المعداوى
٢٢	ـ القوة النفسية للأهرام	بيل شول وأدنبيت
٢٣	ـ فن الترجمــة	د . صفاء خلوصى

اسم الكتاب	المؤلف
٢٤ ـ تولستوى	رالف نى ماتلو
٢٥ ـ ستندال	فيكتور برومبير
٢٦ ـ رسائل وأحاديث من المنفى	فيرنر هيزنبرج
٢٧ ـ الجزء والكل (محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)	فيكتور هوجو
٢٨ ـ التراث الغامض ماركس والماركسيون	سدنى هوك
٢٩ ـ فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف ٠ ع أدنيكوف
٣٠ ـ ادب الأطفال ٠ (فلسفته ـ فنونه ـ وسائطه)	هادى نعمان الهيتى
٣١ ـ احمد حسن الزيات ٠ كاتبا وناقدا	د ٠ نعمة رحيم العزاوى
٣٢ ـ أعلام العرب فى الكيمياء	د ٠ فاضل أحمد الطائى
٣٣ ـ فكرة المسرح	فرنسيس فرجون
٣٤ ـ الجحيم	هنرى باربوس
٣٥ ـ صنع القرار السياسى فى منظمات الاداره العامة	السيد عليوة
٣٦ ـ التطور الحضارى للانسان (ارتقاء الانسان)	جوكوب برونوفسكى
٣٧ ـ هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟	د ٠ روجر ستروجان
٣٨ ـ تربية الدواجن	كاتى ثير
٣٩ ـ الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	ا ٠ سبنسر
٤٠ ـ النحل والطب	د ٠ ناعوم بيتروفيتش
٤١ ـ سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
٤٢ ـ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د٠ لينوار تشامبرز رايت
٤٣ ـ كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د ٠ جون شتدلر
٤٤ ـ الصحافة	بيير البير
٤٥ ـ أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلي	الدكتور غبريال وهبه
٤٦ ـ الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها	د ٠ رمسيس عوض
٤٧ ـ حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د ٠ محمد نعمان جلال
٤٨ ـ الفكر الأوروبى الحديث جـ١	فرانكلين ل٠ باومر

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٩ ـ الفن التشكيلي المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شوكت الربيعى
٥٠ ـ التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د : محيى الدين أحمد حسين
٥١ ـ نظريات الفيلم الكبرى	تاليف : ج٠ دادلى أندرو
٥٢ ـ مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
٥٣ ـ الحياة فى الكون كيف نشات وأين توجد ؟	د ٠ جوهان دورشنر
٥٤ ـ مبادرة الدفاع الاستراتيجى حرب الفضاء (دراسة تحليلية لأسلحة واستراتيجيات حرب الفضاء)	طائفة من العلماء الأمريكيين
٥٥ ـ ادارة الصراعات الدولية (دراسة فى سياسات التعاون الدولى)	د ٠ السيد عليوة
٥٦ ـ الميكروكمبيوتر	د ٠ مصطفى عنانى
٥٧ ـ مختارات من الأدب اليابانى (الشعر ـ الدراما ـ الحكاية ـ القصة القصيرة)	مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء والمحدثين
٥٨ ـ الفكر الأوروبى الحديث ٠ ج ٢ (الاتصال والتغير فى الأفكار) من ١٦٠٠ ـ ١٩٥٠	فرانكلين ل ٠ باومر
٥٩ ـ تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة	جابرييل باير
٦٠ ـ أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	أنطونى دى كرسبنى وكينيث مينوج
٦١ ـ الفكر الأوروبى الحديث ٠ ج ٣	فرانكلين ل ٠ باومر
٦٢ ـ كتابة السيناريو للسينما	دوايت سوين
٦٣ ـ الزمن وقياسه	زافيلسكى ف ٠ س
٦٤ ـ أجهزة تكييف الهواء	ابراهيم القرضاوى
٦٥ ـ الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتر ر٠ داى
٦٦ ـ سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى ٠	جوزيف داهموس
٦٧ ـ التجربة اليونانية	س ٠ م بورا
٦٨ ـ مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	د٠ عاصم محمد رزق
٦٩ ـ العلم والطلاب والمدارس	رونالد د٠ سمبسون و نورمان د٠ أندرسون
٧٠ ـ الشارع المصرى والفكر ٠	د٠ أنور عبد الملك

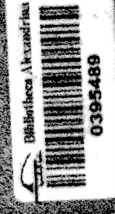
الاسم	المؤلف
٧١ ـ حوار حول التنمية	والت روستو
٧٢ ـ تبسيط الكيمياء	فريد هيس
٧٣ ـ العادات والتقاليد المصريه	مون بوركهارت
٧٤ ـ التدوق السينمائى	آلان كاسبر
٧٥ ـ التخطيط السياحي	سامى عبد المعطى
٧٦ ـ البذور الكونية	فريد هويل شندرا ويكرا ماسيخ
٧٧ ـ دراما الشاشة	حسين حلمى المهندس
٧٨ ـ الهيروين والايدز	
٧٩ ـ صور أفريقية	دوركاس ماكلينتوك
٨٠ ـ نجيب محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس
٨١ ـ الفكر الأوروبى الحديث جـ ٤	فرانكلين ل٠ بلومر
٨٢ ـ الكمبيوتر فى مجالات الحياة	د٠ محمود سرى طه
٨٣ ـ دراما الشاشة جـ ٢	حسين حلمى المهندس
٨٤ ـ المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
٨٥ ـ وظائف الأعضاء من الألف إ	بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
٨٦ ـ الهندسة الوراثية	ويليام بينز
٨٧ ـ تربية أسماك الزينة	ديفيد الدرتون
٨٨ ـ كتب غيرت الفكر الانسانى	أحمد محمد الشنوانى
٨٩ ـ الفلسفة وقضايا العصر جـ١	جمعها : جون ٠ ر ٠ بورر وميلتون جولد ينجر
٩٠ ـ الفكر التاريخى عند الاغريق :	أرنولد توينبى
٩١ ـ قضايا وملامح الفن التشكيلى	د٠ صالح رضا
٩٢ ـ التغذية فى البلدان النامية	م٠ هـ٠ لنج واخرون
٩٣ ـ الفلسفة وقضايا العصر جـ٢	جمعها : جون ٠ ر٠ بورر وميلتون جولدينجر
٩٤ ـ بداية بلا نهاية	جورج جاموف
٩٥ ـ الحرف والصناعات من مصر الاسلامية	د ٠ السيد طه أبو سديرة
٩٦ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون جـ١	جاليليو جاليليه
٩٧ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون جـ٢	جاليليو جاليليه
٩٨ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون جـ٣	جاليليو جاليليه

اسم المؤلف	اسم الكتاب
٩٥ ـ الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية	د٠ السيد طه ابو سديرة
٩٦ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون جـ ١	جاليليو جاليليه
٩٧ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون جـ ٢	جاليليو جاليليه
٩٨ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون جـ ٣	جاليليو جاليليه
٩٩ ـ الارهاب	أريك موريس ، آلان هو
١٠٠ ـ اخناتون	سيريل الدريد
١٠١ ـ القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
١٠٢ ـ الفلسفة وقضايا العصر جـ ٣	جمعها : جون ر٠ بورر ميلتون جولد ينجر
١٠٣ ـ الأساطير الاغريقية	كوفلان
	ر٠ج٠ فوبس ،
١٠٤ـ العلم والتكنولوجيا	١٠ج٠ ديكسترهوز
١٠٥ـ التوافق النفسى	توماس أ٠ هاريس
١٠٦ـ الدليل البيليوجرافى	اختيار لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ٠
١٠٧ـ لغة الصوره	روى آرمز

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٦٨٣ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 3109 — 0


Bibliotheca Alexandrina
0395489